مكتبة علم اللغة

دراسات في فقه اللغة العربية

تأليف
الدكتور السيّد يعقوب بكر

- العربيّة لغة ساميّة عالميّة
- دراسات مقارنة في النحو العربي
- دراسات مقارنة في المعجم العربي

مكتبة لبنان
ساحة رياض الصلح
بيروت

دراسات في فقه اللغة العربية

دراسات
في
فقه اللغة العربية

تأليف

الدكتور السيّد يعقوب بكر

الأستاذ بجامعتي القاهرة وبيروت العربية

مكتبة لبنان

ساحة رياض الصلح

ص.ب ٩٤٥ - بيروت

١٩٦٩

مكتبة لبنان
ساحة رياض الصلح
بيروت

طُبع في لبنان بمطبعة «المطبعة»، فؤاد بيبان وشركاؤه – جونيه (الشير)

إهداء

إلى مجمع اللغة العربية بالقاهرة

تقديراً له واعترافاً بفضله .

السيد يعقوب بكر

الفهرس

صفحة

الفهرس

مقدمة

هذه أبحاث في اللغة العربية كتبتها في مناسبات مختلفة وأجمعها اليوم في هذا الكتاب الذي أرجو له حسن القبول . وينقسم الكتاب إلى ثلاثة أبواب . فالباب الأول يتناول اللغة العربية من حيث هي لغة سامية تشترك مع بقية اللغات السامية في خصائص لغوية معينة تتعلق بالأصوات والصيغ والتراكيب، ثم من حيث هي لغة عالمية تتجاوز في تأثيرها وتأثرها نطاق اللغات السامية إلى نطاق أوسع وأرحب يشمل اللغات المختلفة التي اتصلت بها العربية شرقاً وغرباً .

فانتماء العربية إلى أسرة اللغات السامية يفرض على الباحث النحوي الذي يبغي التعمق والتمحيص أن ينهج في دراسته نهجاً مقارناً يربط اللغة العربية بغيرها من اللغات السامية . هذا مفروض على الباحث المتعمق الممحّص، لا على الدارس المتعلم المستطلع . فقواعد اللغة العربية ثابتة راسخة لا تختلف على مرّ العصور، ولينهل منها القارىءُ العربي وغَير العربي ما يشاء، فهي ورد صاف ينقع غلة الشاربين . ومن يبغ وضع كتاب في النحو يراد به تعليم الطلاب والدارسين فلا جناح عليه إذا لم يعرّج على اللغات السامية الأخرى، بل يحسن به ألا يمرّ بها في رحلته الهينة هذه . أما الباحث الذي يريد التعمق في خفايا النحو وتمحيص مسائله ليخرج لنفسه أو للناس بشيء جديد في تفسير النحو فلا غنى له عن أن يطّلع على بقية اللغات السامية لعله يجد في ظواهرها ما يوضح له الخفي من أسرار النحو العربي . وأحترز هنا مرة أخرى وأقول إن قواعد اللغة العربية ثابتة راسخة وإن اجتهاد مثل

هذا الباحث المتعمق لن يمسّ هذه القواعد وإنما سيقتصر على تفسيرها، وباب التفسير مفتوح لمن اكتملت له العدّة .

وقد شئت أن أطرق ميدان التفسير النحوي، فكتبت مادة الباب الثاني . وحرصت في اختيار موضوعاته على أن تمثل أبواب النحو المختلفة بمعناه الحديث : باب الأصوات phonology ، وباب الصيغ morphology ، وباب التراكيب syntax . ورجعت في دراستي إلى اللغات السامية كلما كان ذلك لازماً ، وهو لازم في الكثير الغالب .

فهذا الباب تطبيق عملي لما أزعمه من وجوب الرجوع إلى اللغات السامية على كل من يتصدى لتفسير النحو العربي تفسيراً علمياً عميقاً . وهنا تمتلىء نفسي بذكرى أستاذنا المرحوم إبراهيم مصطفى ، صاحب «إحياء النحو» (القاهرة ١٩٣٧) ، فقد كان الرائد الأول في هذا الميدان وصاحب الفضل الأول على من سلكه بعده . وإن العطف العميق الذي كان يسبغه على تلامذته من نفسه الفياضة لا تزال في النفس منه بقية طيبة يستشعرها المرء وينعم بها ويجد فيها بعض السلوى والعزاء .

ثم إن الرجوع إلى اللغات السامية واجب على من يدرس متن اللغة العربية دراسة فيها عمق وتمحيص . وقد عني أصحاب المعاجم العربية على مرّ العصور بجمع مواد اللغة العربية وإيراد الشواهد عليها، وبذلوا في هذا جهوداً مشكورة لا ينكرها إلا الجاحدون . لقد قدّم لنا أسلافنا الكرام المادة اللغوية، وعلينا اليوم أن نعالجها من نواح عدة . علينا أن ننسقها من جديد على حروف المعجم بدلاً من طريقة الأبواب والفصول . وعلينا أن نحقق الشواهد، ثم أن نستكملها لتمثل جميع العصور ولا سيما عصور الاحتجاج . وعلينا أن ننظر في معاجم اللغات السامية الأخرى لنرى المواد المشتركة بينها وبين اللغة العربية، ونتلمس وجوه الشبه أو الخلاف في دلالات هذه المواد . وفي العربية ألفاظ معرّبة كثيرة ألف فيها القدامى كتباً كثيرة أشهرها كتاب المعرب للجواليقي ؛ وهذه الألفاظ المعربة منقولة

من لغات مختلفة : من لغات سامية أخرى كالعبرية والأرامية (التي يسميها أصحاب المعاجم العربية القديمة باسم النبطية)، ومن لغات غير سامية كالفارسية واللاتينية واليونانية (التي يسمّيها أصحاب المعاجم العربية القديمة باسم الرومية) ؛ فلا بد في دراسة الألفاظ المعربة أن نتلمس الأصول التي أخذت عنها . وعلينا أخيراً استحداث ألفاظ جديدة للمسميات الجديدة في العلم والحضارة ، فالعربية كانت لغة العلم والحضارة في القرون الوسطى، وما أجدرها أن تستطيع التعبير عن مطالب العلم والحضارة في هذا القرن الذي نعيش فيه .

هذا كله منوط بجهود علمائنا اللغويين وهم كُثْر والحمد لله ، وبجهود مجامعنا اللغوية العتيدة في القاهرة ودمشق وبغداد . وقد أخرج لنا مجمع اللغة العربية بالقاهرة بضعة مجلدات تشتمل على مصطلحات جديدة في العلم والحضارة ، ولكن لا يزال أمامه شوط طويل لاستكمال النقص وسدّ الحاجة . وأخرج لنا أيضاً « المعجم الوسيط » في جزأين كبيرين ، وقد رتبت فيه المادة اللغوية القديمة على حروف المعجم مزوّدة ببعض الشواهد، وأضيف إليها طرف من المصطلحات الجديدة . ويعمل المجمع منذ زمن طويل لإعداد معجم كبير ، والجزء الأول منه (وهو خاص بحرف الألف) رهن الطبع الآن . ويمتاز هذا المعجم بوفرة الشواهد على المادة اللغوية القديمة ، وكثرة المصطلحات الجديدة التي أدرجت فيه . وهو يمتاز أيضاً بالإشارة في صدر كل مادة إلى ما قد يكون لها من نظائر في اللغات السامية الأخرى، وبالإشارة إلى الأصول السامية وغير السامية التي أخذت عنها الألفاظ المعربة . وقد ندبني المجمع منذ عام ١٩٦١ لكتابة المادة السامية في المعجم الكبير ، فله الشكر الجزيل على أن أتاح لي فرصة المشاركة بجهدي المتواضع في عمله الكبير.

وقد تحدثت عن بعض جهود مجمع القاهرة لأنني على صلة به . وأترك الحديث عن جهود مجمعي دمشق وبغداد لمن هم أعلم مني بها، وهي جهود محمودة . ولا يزال أمام مجامعنا عمل كثير ، فنرجو لها التوفيق .

وأعود إلى ما قلته من أن الرجوع إلى اللغات السامية واجب على من يدرس متن اللغـة العربية دراسة فيها عمق وتمحيص . فمعرفة دلالات المادة في اللغات السامية المختلفة تعين على تبين الأصلي والفرعي منها وعلى تتبع التطور من دلالة إلى دلالة . وظاهرة الأضداد مثلاً ، وقد ألف فيها القدامى كثيراً من الكتب ، يمكن أن تدرس من جديـد في ضوء اللغات السامية . فالفعل عَمِل مثلاً بمعنى جدّ ودأب في العربية ، وبمعنى «عانى» في العبرية، والعناء نتيجة الجد والدأب؛ فالتضاد في اللغة قد يكون إذن انعكاساً للتضاد الطبيعي بين العلة والمعلول . ثم إن التضاد بين دلالة مادة في لغة سامية ما ودلالة المادة نفسها في لغة سامية أخرى يوحي بأن ظاهرة الأضداد في العربية ترجع في جانب منها إلى اختلاف اللهجات العربية فيما بينها . ومن أمثلة التضاد بين اللغات السامية (غير « عمل » السابق الذكر) الفعل وثب، فهو بمعنى قفز في العربية ولكنه في العبرية بمعنى جلس، وهذا معناه في لغة حمير أيضاً كما يقول القدامى . والعسر في العربية الفقر والمسغبة ، ولكنـه في العبرية (‘ošer [عُشِر]) الغنى والثراء . وأبى في العربية رفضَ وفي العبرية (’āḇā) شاءَ .

ودراسة الألفاظ المعربة لا غنى فيها عن الاطلاع على اللغات التي استقيت منها . فكم اضطرب القدامى في تحديد الأصل الذي أخذت منه اللفظة المعربة، وذلك لأنه لم تكتمل لهم العدة؛ ولكننا اليوم في عصر تفتحت فيه أبواب المعرفة، فلنقطع الشك باليقين . وكم ظن بعض القدماء أن لفظاً ما عربي أصيل، ولم يفطنوا إلى أنه معرب ولا ريب، كالزمخشري الذي ظن أن النُّمِّيّ بمعنى الفلوس من مادة نمم، وكمن زعم أن الأسطرلاب مركب من أسطر جمع سطر ولاب اسم رجـل مع أن الأسطرلاب كما يقول الخوارزمي « اسم يوناني اشتقاقه من لسان العرب جهل وسخف » ؛ انظر حديثنا عن الأسطرلاب والنمي في ص ١٢٦ — ١٢٧ و١٥٦ — ١٥٨ .

وهذان اللفظان كما ترى من الألفاظ المعربة التي درستها في الباب الثالث

من هذا الكتاب . وقد درست في هذا الباب أيضاً بعض المواد اللغوية المشتركة بين العربية وغيرها من اللغات السامية؛ وحرصت في هذه الدراسة على استقراء ما في المعاجم العربية المختلفة، وإيراد الشواهد على المعاني المختلفة، ثم المقارنة بين الدلالات العربية والدلالات السامية الأخرى . وإلى مجمع اللغة العربية بالقاهرة الفضل الأول في حفزي إلى إعداد هذه الدراسات المعجمية lexicographical : ما يتعلق منها بالألفاظ المعربة التي أخذتها العربيـة عن لغات أخرى سامية أو غير سامية ، وما يتعلق منها بالمواد اللغوية التي نجد لها نظائر (لا أصولاً) في اللغات السامية الأخرى .

وهكذا ينقسم كتابنا هذا إلى دراسات في النحو العربي تعتمد على مقارنة العربية بغيرها من اللغات السامية، ودراسات في المعجم العربي تتناول مواد لغوية عربية لها نظائر في اللغات السامية الأخرى وألفاظاً معربة عن لغة سامية أو غير سامية . فالباب النحوي (وهو الباب الثاني) يقوم على أن العربية لغة سامية . والباب المعجميّ (وهو الباب الثالث) يقوم على أن العربية لغة سامية عالمية . والباب الأول الذي يتحدث عن العربية من حيث هي لغة سامية عالمية يعتبر في الواقع مقدمة للبابين اللاحقين .

وعلى هدى هذين البابين يمكن أن نسير . إن مجال الدراسة رحب واسع الآفاق، فالمسائل النحوية واللغوية التي تتطلب المقارنة باللغات السامية الأخرى أكثر من أن تُحصى . وقد بذلتُ جهد المُقِلّ، وقد أُثنّى بجهد آخر متواضع، ولكن يرجى من غيري المزيد .

ويسعدني في ختام هذه المقدمة أن اسجل شكري الخالص للقائمين على « مكتبة لبنان » لتفضلهم بنشر هذا الكتاب، وللقائمين على « المطبعة » الغرّاء في جونيه الزهراء لتفضلهم بطبعه في هذه الصورة المونقة .

إذا نحن أثنينا عليك بصالح   فأنت كما نثني وفوق الذي نثني

السيد يعقوب بكر

بيروت، ١١ كانون الثاني (يناير) ١٩٦٩ .

إرشادات لاستعمال الكتاب

المراجع :

المرجع الذي لا تتكرر الإشارة إليه يثبت في نص الكتاب كاملاً . أما المرجع الذي تتكرر الإشارة إليه فهو مثبت في قائمة المراجع بآخر الكتاب، ويكتفي في ثنايا النص بالإشارة إلى اسم صاحبه (مكتوباً بحروف عربية حتى وإن لم يكن عربياً) (١) . فإذا كان للمؤلف أكثر من كتاب جعلت لكتبه المثبتة في قائمة المراجع أرقام مسلسلة، فإذا أريدت الإشارة في النص إلى المرجع الأول أو الثاني منها ذكر اسم المؤلف وبعده رقم ١ أو ٢ (٢) وهلم جراً . ففي ص ١١٠ مثلاً إشارة إلى بارت ٦ (ص ٥٢) أي إلى ص ٥٢ من المرجع السادس المذكور أمام Barth في قائمة المراجع الإفرنجية .

كتابة الكلمات السامية :

تكتب الكلمات السامية (غير العربية) بحروف لاتينية كما يفعل المستشرقون ثم بحروف عربية (بين قوسين) زيادة في الإيضاح . وهذا بيان النظام الذي اتبعته في الكتابة اللاتينية :

---

(١) صدرت قائمة المراجع الإفرنجية بكشف يتضمن أسماء مؤلفيها بالعربية مرتبة على حروف المعجم العربي، وأمام كل اسم أصله الإفرنجي .

(٢) روعي ألا تكون مثل هذه الأرقام بين قوسين حتى لا تختلط بالأرقام التي تشير إلى الهوامش في أسفل الصفحة .

الحروف الصامتة Consonants

الحرف	الرمز	ملاحظة
ـ الهمزة	ʾ	
ـ الباء الشديدة	b	
الباء الرخوة	ḇ	(تنطق نطق الحرف v في الإنجليزية والفرنسية)
ـ الجيم الشديدة	g	
الجيم الرخوة	ġ	(تنطق نطق الغين العربية)
ـ الدال الشديدة	d	
الدال الرخوة	ḏ	(تنطق نطق الذال العربية)
ـ الهاء	h	
ـ الواو	w	
ـ الزاي	z	
ـ الحاء	ḥ	
ـ الخاء	ẖ	
ـ الطاء	ṭ	
ـ الياء	y	
ـ الكاف	k	
الكاف الرخوة	ḵ	(تنطق نطق الخاء العربية)
ـ اللام	l	
ـ الميم	m	
ـ النون	n	
ـ السامخ	s	(سين صرفة)
ـ العين	ʿ	
ـ الپاء (الشديدة)	p	
ـ الفاء	f	
ـ الصاد	ṣ	
ـ القاف	q	
ـ الراء	r	

— السين العبرية ś (نطقها الأصلي بين السين والشين)
— الشين š
— التاء الشديدة t
التاء الرخوة ṯ (تنطق نطق الثاء العربية)

الحركات Vowels

— الفتحة a
الفتحة الطويلة (القامص) ā
— الكسرة i
— الكسرة الطويلة ī
— الصيرى ẹ (كسرة مائلة إلى الفتح)
الصيرى الطويلة ẹ̄
— السجول e (فتحة مائلة إلى الكسر)
السجول الطويلة ē
— الضمة (القبّوص) u
الضمة الطويلة (الشّورق) ū
— الحولم o
الحولم الطويلة ō
— القامص حاطوف o
— الشوا المتحركة ₑ (سكون متحرك أو مقلقل ؛ Murmellaut بالألمانية)
— الحاطيف پتح ă
— الحاطيف سجول ĕ
— الحاطيف قامص ŏ
— الحركة المركبة من فتحة تليها واو ساكنة au (مثل لَوْ lau) } diphthongs
الحركة المركبة من فتحة تليها ياء ساكنة ai (مثل أَيْ ai) }

١

الباب الاول

العربية لغة سامية عالمية

---

١) أسرة اللغات السامية ومكان اللغة العربية فيها

سُمِّي الساميون كذلك نسبة إلى سام الذي ورد ذكره في الأصحاح العاشر من سفر التكوين في التوراة، وهو أصحاح يسجّل الصلات بين الشعوب المختلفة التي كان يعرفها كاتبه، يسجلها في صورة سلاسل أنساب تنحدر من أبناء نوح . ففي هذا الجدول من الأنساب نجد قائمة أبناء سام تضمّ أرام وأشور وعبر، أي الأراميين والأشوريين والعبريين . ولهذا استعمل العلماء الأوربيون قرب نهاية القرن الثامن عشر لفظ الساميين اسماً مشتركاً لتلك المجموعة من الشعوب التي ينتمي إليهــا الأراميون والأشوريون والعبريون، والتي تتضح قراباتها من لغاتها دون لبس أو إبهام . وبعد ذلك اتسع استعمال اللفظ وعُدِّل نتيجة لازدياد معلوماتنا بعد أن كشف علم الآثار عن شعوب أخرى لها صفات مماثلة، وبعد أن صار من الممكن أن نحدد بقدر أعظم من الدقة العلمية الصفات المميزة أو الأساسية التي تكون بها اللغة لغة سامية، والشعب شعباً سامياً، والحضارة حضارة سامية.

وقبل القرن الثامن عشر كان يُشار إلى لغات آسيا وشعوبها باسم جامع هو اللغات أو الشعوب الشرقية . ولكن القرابة بين بعض اللغات

السامية كانت تلاحظ من حين إلى حين . فقد كانت تلاحظ مثلاً حين تجمع أحداث التاريخ بين الشعوب التي كانت تتحدث بتلك اللغات . فاليهود في أسبانيا مثلاً ، حين اتصلوا بالعرب المتوغلين في أوربا عبر شمال إفريقية ، استطاعوا ملاحظة الشبه بين لغتهم ولغة العرب الفاتحين .

(انظر موسكاتي ١ ، ص ٤٢ — ٤٣ ، وملاحظتنا في ص ٢٣٩ ؛ وموسكاتي ٢ ، ص ٣) .

.....

ولغتنا العربية تنتمي إلى الفرع الجنوبي من اللغات السامية الغربية . وهذا الفرع يشمل ايضاً :

١) العربية الجنوبية القديمة في جنوب الجزيرة ، وكانت تنقسم إلى لهجات : السبئية والمعينية والقتبانية والحضرمية والأوسانية . وآثارها تتراوح في القدم بين القرن الثامن قبل الميلاد والقرن السادس الميلادي، وإن كانت نقطة البداية موضع جدل كثير (موسكاتي ٢ ، ص ١٤) .

٢) المَهْرِيّة والشِّحْرِيّة والسوقطرية ، وهي لهجات غير عربية تتردد اليوم في بعض أنحاء جنوب الجزيرة العربية ، ولا سيما في مَهْرة والجزر المجاورة كسوقطرة خاصة .

٣) اللغات السامية في الحبشة : الإثيوبية أو الجعز (اللغة القديمة المقدسة)(١) والأمهرية (اللغة الرسمية) وتِجْرِينْيا وتِجْرِي (لغتي الحديث في الأجزاء الشمالية من البلاد) ، الخ.

وهكذا يشمل الفرع الجنوبي من اللغات السامية الغربية شمال الجزيرة (مهد العربية)، وجنوبها، والحبشة .

---

(١) كانت في الأصل لغة الساميين الذين هاجروا من جنوب الجزيرة وأسسوا في القرن الأول الميلادي مملكة في شمال الحبشة عاصمتها أكسوم (المدينة المقدسة في البلاد) .

ويشمل الفرع الشمالي من اللغات السامية الغربية الشام، وهو ينقسم بدوره إلى شعبتين أساسيتين : الكنعانية والأرامية .

فالشعبة الكنعانية هي مجموعة اللغات التي كان يُتحَدَّث بها في المنطقة التي تسميها التوراة كنعان، وهي تشمل فلسطين وجزءاً من سوريا . وإلى هذه المجموعة اللغوية تنتمي :

١) العبرية ، لغة العبريين (١) .

---

(١) مرت العبرية بعدة أطوار . فنجد أولا عبرية التوراة، وهي تمتد على وجه التقريب من ١٢٠٠ إلى ٢٠٠ ق.م ؛ وتنقسم إلى مرحلتين : مرحلة متقدمة تنتهي حوالي ٥٠٠ ق.م ، ومرحلة متأخرة يظهر فيها أثر الأرامية . ولا ريب في أن عبرية التوراة كانت تنقسم إلى لهجات كشأن اللغات جميعاً؛ ويشير سفر القضاة ١٢ : ٦ إلى أن أبناء قبيلة إفرايم كانوا ينطقون الشين سامخاً (سينا صرفة)، فيقولون سبولت مكان شبولت « سنبلة » .

وبعد عصر العهد القديم تبلورت عبرية جديدة اشتد فيها أثر الأرامية ، تبدأ (في القرنين الثاني والأول ق.م) في بعض أسفار الأپوكريفا (كسفر بن سيرا) ولفائف البحر الميت التي كشفت حديثاً، وتستمر في كتابات الأحبار خلال القرون الأولى بعد الميلاد : المشنا والتوسفتا والمدراش وتسمى هذه العبرية عبرية المشنا نسبة إلى المشنا ، أهم ما كتب بها .

وفي القرون الوسطى نجد عبرية القرون الوسطى، وكانت لغة صناعية ليس لها طابع واحد؛ وقد نظمت بها أشعار وألفت بها كتابات فلسفية وتفاسير للتوراة . ويتجلى أثر العربية في عبرية القرون الوسطى، كما يتجلى أثر الأدب العربي فيما كتبه الشعراء والكتاب العبريون خلال تلك القرون .

وقد استمرت عبرية القرون الوسطى حتى القرن الثامن عشر . وفي بداية القرن التاسع عشر هجر الكتاب العبريون عبرية القرون الوسطى المضمحلة، وعادوا إلى عبرية التوراة، ولكن لم يلبثوا أن وجدوا أنها غير كافية للتعبير عن الحاجات المعقدة للحياة الفكرية الحديثة . وبعد كثير من المحاولات الشاقة تبلورت العبرية الحديثة التي يستعملها اليهود الآن . ولعبرية التوراة فيها مجال أفسح مما كان لها في عبرية المشنا وعبرية القرون الوسطى . فنحو العبرية الحديثة هو نحو عبرية التوراة مع بعض تغييرات مأخوذة عن عبرية المشنا وعبرية القرون الوسطى . والعبرية الحديثة تستعمل ذخيرة التوراة اللفظية كلها تقريباً، ولكنها أخذت بمقتضى الضرورة كثيراً من ألفاظ عبرية المشنا وعبرية القرون الوسطى . هذا إلى أن العبرية الحديثة كونت كثيراً من

٢) الفينيقية ، لغة نقوش المدن الفينيقية القديمة (بين القرنين العاشر والأول ق.م)؛ وتتفرع عنها البونيّة ، لغة نقوش المستعمرات الفينيقية في حوض البحر المتوسط (بين القرنين التاسع والثاني ق.م) .

٣) المؤابية ، لغة المؤابيين في شرقي الاردن ، ولم يبق من آثارها سوى نقش الملك مِيشَع الذي يرجع إلى منتصف القرن التاسع ق.م.

٤) الأوجاريتية ، لغة مدينة أوجاريت القديمة شمال اللاذقية ، ويقوم مكانهـــا الآن رأس الشَّمْرة . وكانت أوجاريت عامرة بالسكان في القرن التاسع عشر ق.م، ثم بلغت أوج ازدهارها في القرن الرابع عشر، ولكن دمرها في القرن الثالث عشر «أقوام البحر» القادمون من جزر بحر إيجه (بروكلمان ١ ، ص ٤٣ أسفل) .

٥) وهناك أيضاً ألفاظ كنعانية في الرسائل التي كشفت في تل العمارنة بمصر، وهي الرسائل التي تبادلها الفرعونان أمينوفيس الثالث وأمينوفيس الرابع مع أمراء سوريا وفلسطين في النصف الأول من القرن الرابع عشر ق.م وهذه الرسائل مكتوبة بالأكدية، اللغة الدولية في ذلك العصر .

والشعبة الأرامية(١) هي طائفة من اللهجات وجدت أولاً في شمال سوريا ، ولكنها بعد ذلك توغلت بعيداً في المناطق المحيطة بها . فنجد

الألفاظ والتعابير والمصطلحات الفنية مستوحية اللغة الألمانية خاصة في أول الأمر ثم الإنجليزية والعربية بعد ذلك .

انظر بير Hebräische Grammatik : G. Beer، الطبعة الثانية (بقلم R. Meyer)، الجزء الأول (برلين ١٩٥٢) ص ١٨–٢١؛ ومقدمة سيجال M. H. Segal لقاموس جروسمان Compendious Hebrew-English Dictionary : R. Grossman (تـل أبيب ١٩٤٤)؛ وموسكاتي ٢ ، ص ١٠ (الفقرة ٣ : ١٣) .

(١) انظر موسكاتي ١، ص ١٨٠ – ١٨٢، و٢، ص ١٠ – ١٢ .

أولاً الأرامية القديمة التي تتمثل في نقوش ترجع إلى ما بين القرنين العاشر والثامن ق.م، ثم نجـد الأرامية الدولية Reichsaramäisch التي استعملت أيام إمبراطوريات أشور(١) وبابل وفارس (٢) (من القرن السابع إلى القرن الرابع ق.م) (٣)، والأرامية التي كتبت بها بعض نصوص العهد القديم (٤)، وهي نصوص تتراوح بين القرنين الخامس والثاني ق.م على سبيل الاحتمال. وحوالي عصر المسيح نستطيع التمييز بين فرعين للأرامية. فالفرع الأول، وهو الأرامية الغربية، يمثل تطوراً لا يبعد كثيراً عن الأرامية القديمة؛ وهو يشتمل على عدة لهجات: النبطية التي تمثلها نقوش البتراء (من القرن الأول ق.م إلى القرن الثالث الميلادي)؛ والتدمرية التي تمثلها نقوش تدمر (من القرن الأول ق.م إلى القرن الثالث الميلادي أيضاً)؛ والأرامية اليهودية التي يمثلها ما كتبه يهود فلسطين بعد عصر العهد القديم (بين القرنين الثاني والخامس بعد الميلاد) من التَّرجُوم والتلمود الأورشليمي والمدراش؛ والأرامية السامرية التي ترجمت إليها أسفار موسى الخمسة (في القرن الرابع الميلادي على سبيل الاحتمال)؛ ثم الأرامية المسيحية التي كان يستعملها نصارى فلسطين بين القرنين الخامس والثامن الميلاديين. والفرع الآخر، أي الأرامية الشرقية،

---

(١) سفر الملوك الثاني ١٨ : ٢٦ : «فقال إلياقيم بن حلقياهو وشبنا ويوآخ (ممثلو الملك حزقياهو، ملك يهوذا، خلال الحصار الأشوري لأورشليم عام ٧٠١ ق.م) لربشاقي (القائد الأشوري): تحدث إلى عبيدك باللغة الأرامية، لأننا نفهمها؛ ولا تتحدث معنا بلغة اليهود في مسامع الشعب الذي على السور».

(٢) عزرا ٤ : ٧ : «وفي أيام أرتحشستا كتب بشلام ومثرداث وطابئيل وسائر رفقائهم إلى أرتحشستا ملك فارس؛ وكتابة الرسالة مكتوبة بالأرامية ومترجمة بالأرامية».

(٣) أوراق البردى وكسر الخزف التي وجدت في مصر والتي ترجع إلى القرنين الخامس والرابع ق.م لها أهمية خاصة، وتسمى اللهجة الأرامية التي كتبت بها «الأرامية المصرية».

(٤) التكوين ٣١ : ٤٧ (كلمتان)؛ إرميا ١٠ : ١١؛ عزرا ٤ : ٨ – ٦ : ١٨؛ ٧ : ١٢ – ٢٦؛ دانيال ٢ : ٤ – ٧ : ٢٨.

يختلف عن الأرامية القديمة اختلافاً أبعــد مدى ، وتمثله لهجة نقوش مدينة الحُضْر (في أرض الرافدين إلى الشمال الغربي من مدينة أشور القديمة)(١)؛ والسريانية (لغة كنيسة الرُّها، ولها أدب وافر يمتد من القرن الثالث الميلادي إلى القرن الثالث عشر) ؛ ثم لغة التلمود البابلي (بين القرنين الرابع والسادس بعد الميلاد)؛ والمندعية، لغة الجماعة الغُنُوصيّة Gnostic المعروفة باسم المندعيين، وآثارها تمتد من القرن الثالث إلى القرن الثامن بعد الميلاد .

هذا كله عن السامية الغربية بشطريها الشمالي والجنوبي . أما السامية الشرقية فهي الأكّدية أو البابلية – الأشورية في أرض الرافدين قديماً . وتبدأ النصوص الأكدية في الألف الثالث ق.م، فهي أقدم ما لدينا من نصوص سامية . واللغة الأكدية اسم جامع أطلقه البابليون (في جنوب أرض الرافدين) على لغتهم البابلية ولغة إخوانهم الأشوريين (في شمال أرض الرافدين)؛ وهي كذلك في اصطلاح العلماء المحدثين، يطلقونها على اللهجات البابلية والأشورية المختلفة، فإذا أرادوا التمييز قالوا البابلية القديمة والأشورية الوسطى الخ. وأكد في الأصل اسم المدينة التي بناها سَرجُون في الجزء الشمالي من أرض بابل حوالي ٢٣٥٠ ق.م لتكون عاصمة لدولته، وهي أول دولة سامية شهدتها أرض الرافدين .

هذه هي مجموعة اللغات السامية التي تنتمي إليها لغتنا العربية . وهذه الأسرة اللغوية جزء من مجموعة أوسع من اللغات اصطلح على تسميتها

---

(١) ورد ذكرها في قول البريق الهذلي :

ألم تسل عن ليلى وقد نفد العمر   وقد أقفرت منها الموازج فالحضر

انظر الباب الثالث (أزج) .

اللغات السامية – الحامية(١) . واللغات الحامية التي تشارك في هذه المجموعة الواسعة هي :

١) المصرية (وسليلتها القبطية) في مصر القديمة،

٢) والليبية – البربرية في شمالي إفريقية غربي مصر،

٣) والكوشية (الصومالية ولغة الجلا الخ) . «واللغات الكوشية تشمل تقريباً كل القرن الشرقي في إفريقية حتى خط عرض ٤ جنوباً، وتحيط بالمنطقة الإثيوبية السامية التي نجد في داخلها أيضاً بعض الجيوب الكوشية؛ وتمتد المنطقة الكوشية شمالاً حتى أرض مصر بين النيل والبحر الأحمر» (٢) .

فاللغات الحامية كانت تشمل شمال إفريقية كله، ولا تزال تشمل الأجزاء الخارجية من شرق إفريقية .

فالعربية تنتمي إلى الأسرة السامية التي تندرج في الأسرة السامية – الحامية . والعربية الفصحى، عربية الشعر الجاهلي والقرآن الكريم، ليست أقدم أطوار اللغة العربية . فكشوف النقوش في وسط الجزيرة العربية وشمالها والصحراء السورية المتاخمة لها، تلك الكشوف التي بدأت في النصف الثاني من القرن الماضي، قد أزاحت النقاب عن ثلاث طوائف متشابهة من النقوش المحفورة في الصخور، خطوطها قريبة الصلة بخط النقوش العربية الجنوبية القديمة من سبئية ومعينية، ولكن لهجاتها شديدة القرب من العربية الفصحى وهذه الطوائف هي :

---

(١) «العلاقة بين الوحدات المختلفة للمجموعة السامية – الحامية لا يمكن تفسيرها بأنها تطور ثانوي وهذا يجعل فكرة وجود مجموعة لغوية سامية – حامية أصلية فكرة شديدة الإقناع» (موسكاتي ٢، ص ١٦) .

(٢) لغات العالم، ص ١٦٥ .

١) النقوش التي اصطلح على تسميتها النقوش الثمودية ، وقد كشفت في أماكن مختلفة من شمال الجزيرة ووسطها،

٢) والنقوش اللِّحيانية وهي في الغالب من منطقة العُلا بالحجاز،

٣) والنقوش الصَّفَوية التي وجد معظمها في الجنوب والجنوب الشرقي من دمشق، وقد سميت كذلك نسبة إلى جبال الصَّفا المجاورة .

هذه أقدم آثار اللغة العربية السابقة للعربية الفصحى . وتقسم النقوش الثمودية عامة إلى مجموعات تتراوح في زمانها بين القرن الخامس قبل الميلاد والقرن الرابع أو الخامس الميلادي، أي تشمل فترة طويلة تستغرق تسعة قرون أو عشرة (١) .

وتقسم النقوش اللحيانية إلى مجموعتين : النقوش اللحيانية القديمة، والنقوش اللحيانية المتأخرة . ولا يزال تاريخ المجموعتين موضع خلاف، ولكن وينت، يؤيده علماء آخرون، يُرجع المجموعة الأولى إلى القرن الخامس قبل الميلاد والمجموعة الثانية إلى النصف الأول من القرن الرابع قبل الميلاد على وجه الاحتمال (٢) .

وتمتد النقوش الصفوية تقريباً من القرن الأول قبل الميلاد إلى بداية القرن الرابع الميلادي .

فالثمودية واللحيانية والصفوية، أسلاف العربية الفصحى، تشمل معاً فترة من الزمن تقارب ألف عام .

---

(١) وينت، ص ٥٠ — ٥٣ .

(٢) وينت، ص ٥٠ — ٥١ .

وأقدم نص للعربية الفصحى نفسها نقش محفور على قبر في النَّمارة (إلى الجنوب الشرقي من دمشق) يرجع إلى ٣٢٨م، ولكنه مكتوب بالخط النبطي . أما الخط العربي، وهو مشتق من الخط النبطي، فيظهر بعد ذلك في ثلاثة نقوش عربية أخرى : نقش زَبَد (إلى الجنوب الشرقي من حلب) ويرجع إلى ٥١٢ — ٥١٣ م، ونقش حرّان (جنوبي دمشق) ويرجع إلى ٥٦٨م، ونقش أمّ الجِمال جنوبي بُصْرَى ويرجع إلى الفترة ذاتها .

هذه النقوش الأربعة أقدم ما كتب بالعربية الفصحى؛ أولها يرجع إلى القرن الرابع الميلادي، والثلاثة الأخرى ترجع إلى القرن السادس الميلادي . والنقش الأول يمثل التطور من الثمودية واللحيانية والصفوية إلى العربية الفصحى . والنقوش الثلاثة الأخرى يفصلها عن الشعر الجاهلي والقرآن الكريم قرن كامل من الزمان لم يصل إلينا منه أثر عربي مكتوب، ولكن لا شك في أن العربية الفصحى تطورت خلاله تطوراً عظيماً وصل بها إلى درجة رفيعة من الكمال .

وقد قرر الإسلام مستقبل العربية . فكان انتشاره إيذاناً بانتشارها لغة خطاب بين الناس، وبقيام أدب عربي عريض . ومنذ ذلك الحين لم تنقطع العربية عن الاستعمال لغة حديث ولغة أدب . فقاومت تقلبات الزمان طوال ١٣٠٠ عام . عاشت بعد سقوط بغداد في أيدي المغول عام ١٢٥٨م؛ وعندما قضى الأسبان على إمارة غرناطة عام ١٤٩٢ م، لم تضمحل العربية في المغرب .

فالعربية إذن لغة ذات تاريخ طويل . ويبدأ هـذا التاريخ في القرن الخامس قبل الميلاد إذا أدخلنا في اعتبارنا النقوش الثمودية والنقوش الشبيهة بها، أو في عام ٣٢٨م بنقش النمارة . ويستمر تاريخ العربية بعد ذلك في خط متصل حتى يومنا هذا .

هذا التاريخ المتصل لم يقدَّر مثله إلا لقلة قليلة من لغات العالم .

٢) خصائص اللغات السامية[١]

بين اللغات السامية تشابه كبير في الأصوات والصيغ والتراكيب والمفردات لا يمكن معه أن ننسب تقاربها إلى حدوث اقتباسات فيما بينها في العصور التاريخية، وإنما لا سبيل إلى تفسير هذا التقارب إلا بافتراض أصل مشترك لها .

فالجانب الصوتي من اللغات السامية يتميّز بغنى ملحوظ في طائفة الحروف الصامتة consonants ، ففيها حروف كثيرة مخرجها من الحنجرة والحلقوم واللهاة، وفيها ما نسميه بالحروف المطبقة التي يصحب نطقها قبض الحنجرة . فهذه الحروف التي تتميز بها اللغات السامية ، والتي لا نكاد نجد لها نظيراً في اللغات الأوربية، يمكن أن تُدرج كلها تحت صفة عامة هي أن اللغات السامية أكثر من غيرها رجوعاً إلى الوراء بمـا يمكن أن نسميه « مركز الجاذبية » centre of gravity في نظام النطق .

ولكن نظام الحركات فقير في أنماطه . ولا يعبّر عن الحركات رسماً كما في اللغات الأوربية، وإنما يستنبطها القارئ من وضع الحروف الصامتة لا غير . والحبشية هي اللغة السامية الوحيدة التي تعبر عن الحركات رسماً، فالحرف في صورته البسيطة ينطق مصحوباً بفتحة، ثم يغيّر شكل الحرف ستة تغييرات معينة للدلالة على الحركات الست الباقية . وفي الحبشية ٢٦ حرفاً وعلى هذا تكون صور الحروف مع حركاتها ١٨٢ (٢٦ × ٧) .

وتقوم الصيغ على نظام الجذور، وهي في معظمها من ثلاثة حروف . فهذه الحروف تعبر عن المعنى الأساسي للكلمة، ثم يحدَّد معنى الكلمة الدقيق

---

(١) انظر موسكاتي ١ ، ص ٤٤ — ٤٨، وملاحظاتنا ٢ و٣ و٧ و٩ (ص ٢٣٩ — ٢٤٠، ٢٤٦) .

ووظيفتها بإضافة الحركات، وكذلك بإضافة مقاطع من حروف في صدر الكلمة أو وسطها أو آخرها . فالحروف الثلاثة ك ــ ت ــ ب ، مثلاً ، هي الجذر ومعناه الأساسي «الكتابة» . فالجذر شيء تجريدي في النحو، ولكن الكلمات في واقع اللغة تُصاغ بإضافة حركات أو مقاطع حروف في الصدر أو الوسط أو الآخر . فنقول في العربية كَتَبَ وكتبتُ وكاتِب وكِتاب ومَكْتب ، وهكذا طائفة عظيمة من الصيغ الفعلية والاسمية . والمعاجم الخاصة باللغات السامية لا تُرتّب على حسب الكلمات المفردة كمعاجم اللغات الأوربية، ولكن على حسب الجذور . فالكلمة مكتب مثلاً لا ترد تحت الميم، ولكن تحت الجذر ك ــ ت ــ ب . وسنتحدث عن الجذور في شيء من التفصيل في بداية الباب الثاني .

وكان الاسم معرباً في الاصل، ولكن لم يحتفظ بنظام الإعراب إلا قليل من اللغات السامية كالعربية . فالاسم المفرد كان يرفع بالضمة ويجر بالكسرة وينصب بالفتحة، والمثنى كان يرفع بالألف وينصب ويجر بالياء المفتوح ما قبلها ، والجمع كان يرفع بالواو وينصب ويجر بالياء المكسور ما قبلها .

ويراعى في الجر بالإضافة أن يكون المضاف خالياً من أداة التعريف . وكثيراً ما تطرأ على المضاف تغييرات داخلية؛ فالموت في العبرية في حالة الإطلاق hammāwet (هَمَّوِت) ، ولكن إذا أضفناه إلى الملك قلنا : mōt hammelek (مُوت هَمِّلِك) .

واللغتان الساميتان الجنوبيتان، أي العربية والحبشية، تمتازان بنمط خاص من الجمع هو ما يسمى جمع التكسير . فإلى جانب الجمع السالم الذي يعبّر فيه عن الجمع بنهاية تلحق الاسم ، كما هي العادة في اللغات الأوربية ، تصوغ هاتان اللغتان الجمع أيضاً بتغيير الاسم تغييراً داخلياً، ويكون هذا عادة بتغيير الحركات . ففي العربية مثلاً نجمع كتاباً على كُتُب

بتغيير الحركات وحدها . وهذا النوع من الجمع هو في الواقع اسم جمع، وهذا هو السبب في أن هذه الظاهرة فريدة في بابها على نحو ظاهر . وسنتحدث عن جمع التكسير تفصيلاً في الباب الثاني .

وطريقة الساميين في بناء الكلمات قد يعجب منها المتكلمون بالإنجليزية والألمانية أقل مما يعجب منها المتكلمون بإحدى اللغات الرومانسية مثلاً . ففي الإنجليزية صيغ فعلية مثل sing-sang-sung ، واسم مثل song ؛ حتى الجموع قد تصاغ على نحو مماثل كالجمع men للمفرد man . ولكن بينما نجد هذا النوع من البناء، حتى في الإنجليزية، مقصوراً على كلمات معينة، نراه شيئاً طبيعياً في اللغات السامية . ومن الأمثلة الطريفة أن الكلمة الإنجليزية inch «بُوصة» اقتبسها بعض العرب في صيغتها المفردة فقالوا إنْش (بكسر فسكون) ، ثم جمعوها على أُنُش (بضم الهمزة والنون) ، وهو جمع طبيعي واضح تماماً في نظر العرب .

واللغات السامية لا تعرف الكلمات المركبة أسماء أو أفعالاً، مثل describe (de + scribe) «وَصَفَ» في اللغة الإنجليزية = beschreiben (be + schreiben) في اللغة الألمانية، و circumstance (circum + stance) «حالة» في اللغة الإنجليزية = Umstand (Um + Stand) في اللغة الألمانية، وإن كان المضاف والمضاف إليه في اللغات السامية يرتبطان بعضهما ببعض ارتباطاً وثيقاً يكاد يحيلهما في بعض الأحيان كلمة واحدة . انظر بروكلمان ٢ ، جـ ١ ، ص ٤٨١ — ٤٨٤ .

ويمتاز الفعل السامي بسلسلة من الأوزان المزيدة التي تعبر عن معان مشتقة من المعنى الأساسي، وتُصاغ بتغيير الجذر تغييرات ثابتة ؛ وهكذا يعبّر عن شدة الفعل أو تكراره ، وعن السببية ، وعن البناء المجهول والمطاوعة والمشاركة في الفعل . والطبيعي ألا نشير إلى الفعل السامي بصيغة

مصدره ولكن بصيغة ماضي الغائب منه، فهي أبسط صيغه؛ فإذا ترجمناه إلى اللغة الإنجليزية دللنا عليه بصيغة المصدر في هذه اللغة . فالفعل to write يعبر عنه في العربية بالصيغة «كتب»، وإن كانت هذه الصيغة تعني في الواقع he has written . فإذا مددنا الحركة الأولى قلنا كاتَبَ، وهي تدل على المشاركة، أي أن يكتب شخصان كل منهما إلى الآخر . وإذا أضفنا في الصدر همزة مفتوحة وأسقطنا حركة الفاء قلنا أَكْتَبَ، ومعناها أن يملي شخص على آخر شيئاً يكتبه . فليس من العسير أن نرى أنه يمكن إحداث تغييرات كثيرة في الجذر ك ــ ت ــ ب، ومعناه العام «الكتابة» .

وللغات السامية نظام في تصريف الفعل يختلف اختلافاً تاماً عما في اللغات الهندية ــ الأوربية، فليس فيها إطلاقاً صيغ أزمنة بالمعنى الصحيح، أي صيغ خاصة تدل على حدوث الفعل في الحاضر أو الماضي أو المستقبل فهي لا تميز إلا بين الحالة والحدث أي بين نشاط (مستمر أو اعتيادي) وحدث (تمّ) . ولنمثل لذلك بالنظام المتبع في العربية وسائر اللغات السامية الغربية . فإذا كان الحدث في الزمن المشار إليه (وهذا الزمن يستنتج من السياق) تاماً أو تم أو سيتم أو اعتبره المتكلم تاماً، أي اذا كان حقيقة تمّ وقوعها، استعملنا الماضي . ولكن إذا لم يعتبر الحدث في الزمن المشار إليه حقيقة تمّ وقوعها، بل اعتبر حدثاً لم يتمّ أو حدثاً اعتيادياً أو حدثاً يُراد فعله ، استعمل المضارع .

ونظام التركيب في اللغات السامية يميز بين ما نسميه الجمل الفعلية والجمل الاسمية . ففي الجمل الفعلية، وهي الصورة العادية للتعبير عن حدث أو مرحلة في حكاية، يُوضع الفعل في الصدر ثم يتبعه الفاعل، مثل قال زيد لأبيه ، بتقديم «قال» على «زيد» ، بخلاف الوضع في Zaid said to his father . ولكن في الجمل الاسمية يوضع المسند إليه في الصدر ، وتكون بقية الجملة مسنداً يخبرنا بشيء عن ذلك المسند إليه . وفعل

الكينونة to be يفهم عادة من السياق ، فيقال «زيـد عاقـل» نظير Zaid is wise .

والجملة عامة بسيطة التركيب . فاللغات السامية لا تميل الى الجمل الفرعية subordinate clauses ، ولكن تفضّل وضع الجمل بعضهـا إزاء بعض، على أن تستنتج من السياق العلاقة التي تربط إحداها بالأخرى، سواء كانت علاقة شرطية أو غائية أو سببية أو ما أشبه(١) . ومن قبيل ذلك الجملة الحالية، مثل قوله تعالى من سورة الأعراف (الآية ١٤٠) : «قال أغير الله أبغيكم إلهاً وهو فضلكم على العالمين»، أي «مع أنه فضلكم ..»

هذه الخصائص اللغوية السامية التي وصفناها هي بالطبع مجرد نماذج من مجـال أوسع كثيراً، وهي تتسع أيضاً للشواذ، ولكنها تكفي صورة عامة للملامح المميزة في المجموعة السامية من حيث هي أسرة لغوية خاصة . وقد تضم جميع العناصر المشتركة بعضها إلى بعض، فيصاغ منها كيان نظري للغة سامية أصلية(٢)؛ وهذا دليل على الصلات الوثيقة بين اللغات السامية في عصورها التاريخية .

---

(١) هذا في الأصل، وهو ظاهر في الأكدية والعبرية . ولكن السريانية (متأثرة بالأسلوب اليوناني) والعربية توسعتا في استعمال الجمل المركبة من جمل أساسية وأخرى فرعية، وإن ظلت العربية محتفظة بالطابع القديم . انظر شبولر ١ ، ص ٢٢ و٢٤ .

(٢) كما فعل برجشترسر ، ص ٣-١٩، وإن كان لا يقصد بالسامية القديمة Ursemitisch لغة متجانسة ثابتة الحدود الزمانية والمكانية، فهو يستعمل لفظ السامية القديمة اسماً جامعاً لكل ما يمكننا استخلاصه من ظواهر لغوية سبقت تطور اللغات السامية المعروفة لنـا أو أكثر هذه اللغات على الأقل . وانظر موسكاتي ٢ ، ص ١٥ (الفقرة ٥ : ١) .

٣) خصائص اللغة العربية

إن اللغة العربية، من حيث هي لغة سامية، تشارك بالطبع في خصائص اللغات السامية الآنفة الذكر . ولكن تبقى للغة العربية بعد ذلك خصائص تتميز بها من حيث هي لغة قوم لهم مزاج لغوي خاص .

فالعربية لغة قوية قاطعة، ورثت حيويتها عن الأيام القاسية التي قضتها في الصحراء، فأعانتها هذه الحيوية على مغالبة صعاب الزمان .

والقوة تتضمن الإيجاز . فالكلام القوي موجز بطبعه . والعربية مولعة بالإيجاز الذي يعدّه البلاغيون العرب المقياس الحق لبلاغة الكلام .

والعربية على إيجازها لا تنقصها دقة التعبير . فهي قادرة بأساليبها على التعبير عن أخفى الأفكار وأبهت ظلال المعاني . فالعربية كانت لغة العلوم الطبيعية والطب في القرون الوسطى، وكانت الترجمات العربية الواسطة التي انتقلت بها علوم اليونان وفلسفتهم إلى أوربا في تلك العصور .

هذه القدرة في الأساليب ترجع بالطبع إلى عملية تطور طويلة . ويمكن أن نلحظ آثاراً أخرى لهذا التطور في جوانب أخرى، ولكن العربية في مجموعها كما يقول فرجسون C. A. Ferguson (١)، « لغة محافظة تتغير في بطء(٢) فدرجة الاختلاف مثلاً بين عربية القرن الثامن وعربية القرن العشرين أقل قلة واضحة منها بين إنجليزيتي هذين القرنين » .

---

(١) دائرة المعارف البريطانية Encyclopaedia Britannica (١٩٦٤)، المجلد الثاني، ص ١٨٢ ب .

(٢) من المسلم به عامة أن العربية حافظت على الحروف والحركات السامية القديمة أكثر مما حافظت عليها أية لغة سامية أخرى .

هذه الروح المحافظة فعلت الكثير في الإبقاء على اللغة دون تغيير تقريباً طوال العصور . أضعفت تأثير الزمن، فأمكن للأدب العربي القديم (ومنه القرآن بالطبع) أن يقرأ اليوم في سهولة نسبية . وقلّلت أيضاً من آثار البيئات المختلفة، فأمكن للعرب في مختلف أنحاء العالم العربي أن يتحدث بعضهم إلى بعض دون صعوبة ظاهرة .

وحدَّت هذه الروح المحافظة أيضاً من التباين بين العربية الفصحى ولهجات الكلام(١) . فإذا محّصنا هذه اللهجات تمحيصاً دقيقاً تبيّن لنا أنها لا تختلف اختلافاً كبيراً عن اللغة المكتوبة (٢) . وبعض هذه الحقيقة يرجع ولا ريب إلى عامل آخر، «فبانتشار معرفة القراءة والكتابة وبزيادة التعليم العالي في العـــالم العربي، أخذت معرفة الفصحى تزداد انتشاراً» (فرجسون، الموضع المذكور) . واللغة الوسطى التي يقول فرجسون إنها أمل المفكرين والقادة العرب جميعاً تسود الآن فعلا .

والخلاصة أن العربية لغة قوة وإيجاز ودقة ومحافظة . والصفة الأخيرة بوجه خاص أسهمت في حماية اللغة، إذ حدَّت من آثار الزمان والمكان .

---

(١) يعالج بروكلمان ١ (ص ٢٢٢ – ٢٤٥) اللهجات العربية الحديثة علاجاً مفصلا ويورد مراجع كثيرة عنها .

(٢) «لما كانت العربية لغة الحديث في مثل هذه الرقعة العريضة التي تمتد من العراق إلى المغرب فقد نشأ فيها بالطبع عدد من اللهجات . وتنزع هذه اللهجات جميعاً إلى التخفف من القواعد النحوية القديمة، وفيها اختلافات محلية تتعلق بالنطق والمفردات . وهي جميعاً في جوهرها لهجات لغة واحدة، والذين يعرفون القراءة والكتابة في جميع هذه الأرجاء يقرؤون لغة فصحى واحدة . فلم تنشأ لغات جديدة كما نشأت اللغات الرومانسية (الفرنسية والأسبانية والإيطالية الخ) عن اللاتينية، أو كما نشأت اللغات الهندية الحديثة (الهندية والبنغالية والماراثية الخ) عن السنسكريتية» (ولنر، ص ١٦٦) .

٤) انتشار اللغة العربية بعد الاسلام

— «إن حركة الهجرة التي أحدثها الإسلام أتاحت للغة العربية مجالاً أوسع للوجود، يشمل الشرق الأدنى كله حتى الجبال التي تحدّ هضبة إيران في الشرق وحتى منافذ هضبة آسيا الصغرى في الشمال، ويضم مصر والسودان وشمال إفريقية وجنوب أسبانيا؛ ومن عُمان انتشرت العربية إلى زنزبار وشرق إفريقية . وبعد اضمحلال الدولة الأموية غمرت البيئات الإيرانية والتركية العرب الذين كانوا قـد نشروا الإسلام حتى شرق إيران . واليوم نجد بقايا قليلة من القبائل العربيـة في منطقة جمهورية أزبكستان ... ولكن في سائر مناطق الشرق الأدنى ثبتت أقدام العربية، وقضت على اللغات التي كانت سائدة هناك من قبل فلم يكد يبقى منها أثر» (١) .

حلت العربيـة محـل السبئية والمعينية وغيرهما في جنوب الجزيرة . وكانت حضارة «اليمن السعيد» Arabia Felix التي ذاعت شهرتها في العالم القديم قد تقوضت من قبل .

ومن جنوب الجزيرة عبرت العربية إلى شرق إفريقية . فالصوماليون يستعملون لهجة اليمن العربية لغة ثانية(٢) . ولهجة عُمان العربية تستعمل في زنزبار إلى جانب السواحلية(٣) .

والسواحلية لغة تجارة تنتمي إلى أسرة البَنْتُو اللغوية، وتستعمل في جهات كثيرة من إفريقية للتفاهم بين الناطقين باللغات المختلفة(٤) . وقد

---

(١) بروكلمان ١ ، ص ٢١٩ — ٢٢٠ .

(٢) لغات العالم، ص ١٣٧ و١٦٩ .

(٣) لغات العالم، ص ١٣٨ .

(٤) A. P. Lehmann: Historical Linguistics: An Introduction (نيويورك ١٩٦٢) ص ٤٢ — ٤٣ .

أخذت عن العربية كلمات بالغة الكثرة، ولكنها احتفظت بنظامها الصوتي وكيان صيغها وأساليبها(١) . وهناك قدر كبير من الشعر السواحلي في مخطوطات ولم تنشر منه في أوربا إلا نماذج قليلة، وأوزانه محوَّرة عن أوزان الشعر العربي بقدر ما يسمح به اختلاف النغم بين اللغتين(٢) .

ومسلمو هَرَر (في الحبشة) يتكلمون الهررية، وهي من اللغات السامية في الحبشة، ولكنهم يستعملون العربية عامة في الأغراض الكتابية(٣) وأخيراً يجب ألا ننسى تحوّل جزر كومورو Comoro وبعض مدغشقر إلى الإسلام، واستعمال أهل مدغشقر لغة خليطة lingua franca تقوم أساساً على اللغة العربية (٤) .

وفي منطقة سوريا وفلسطين وأرض الرافدين دانت الأرامية للعربية . وكانت الأرامية قد حلّت قبل ذلك بقرون محل العبرية في فلسطين والأكدية في أرض الرافدين . وكانت السريانية أطول اللهجات الأرامية مقاومة للعربية من حيث هي لغة الكنيسة المسيحية . فقد واصل رجال هذه الكنيسة استعمال السريانية في الطقوس والتأليف بعد أن اتخذ رعاياهم العربية لساناً لهم في الحياة اليومية . ولكن اضطر رجال الكنيسة أنفسهم بعد ذلك إلى استعمال العربية في مؤلفاتهم، فازدهر أدب لاهوتي مسيحي مكتوب بالعربية منذ القرن العاشر الميلادي (٥) .

وفي مصر دانت القبطية للعربية أيضاً . وكان التحول في اللغة يسير مع التحول في الدين . وفي القرن التاسع الميلادي كان المسلمون قد صاروا

---

(١) لغات العالم، ص ٨٤٩ .

(٢) دائرة المعارف البريطانية (١٩٦٠)، المجلد ٢١ ، ص ٦٢٩ ب .

(٣) لغات العالم، ص ١٤٧ .

(٤) لغات العالم، ص ١٣٨ .

(٥) بروكلمان ١ ، ص ٢٢٠ ؛ وشپولر ٢ ، ص ٢٤٧ .

الغالبية في وادي النيل . وبدأ زعماء الكنيسة القبطية منذ القرنين العاشر والحادي عشر ينسون القبطية ويستعملون العربية مكانها . وفي العصر المملوكي (من ١٢٥٠م) بلغ اللسان العربي والدين الإسلامي ذروة السيادة . وصارت القبطية لغة ميتة في الواقع ، ثم اختفت آخر آثارها بعد القرن السادس عشر . واليوم نرى جميع المسيحيين في مصر يتكلمون العربية كما يتكلمها إخوانهم في الشام (١) .

وسادت العربية أيضاً في شمال إفريقية ، حيث انتشر الإسلام بسرعة فائقة . فحلّت العربية محلّ اللهجات البربرية ، إلا في مناطق منعزلة قليلة ظل فيها رجال قبائل البربر على لغتهم وإن كانوا يستعملون اللغة العربية أيضاً .

وبلغت العربية موريتانيا من مراكش . واللهجة العربية التي يتكلم بها أهل موريتانيا والمناطق الواقعة إلى الشرق منها حتى تمبكتو تسمى الحسنية نسبة إلى قبيلة ذوي الحسن الفاتحة . وتواصل هذه اللهجة العربية القضاء على اللهجات البربرية والسودانية شمال نهر السنغال ، ويستعملها كثير من المسلمين هناك وسيلة للتفاهم (٢) .

والعرب المقيمون حول بحيرة تشاد يسمون شُوا Shuwa (٣)، وهو اسم يطلق كثيراً على اللهجات العربية في بورنُو Bornu (في الشمال الشرقي من نيجيريا) وإقليم تشاد ؛ ولهجة ودّاي Wadāi جزء من هذه المجموعة (٤) .

---

(١) شپولر ٢ ، ص ٢٤٧ — ٢٤٨ ؛ وبروكلمان ١ ، ص ٢٢٠ .

(٢) لغات العالم ، ص ١٤٠ .

(٣) بعض قبائل شوا هاجرت فيما يبدو من صعيد مصر ، كما أتى بعضها من برقة وطرابلس (بروكلمان ١ ، ص ٢٤٤ — ٢٤٥) .

(٤) لغات العالم ، ص ١٣٨ .

وعندما حكم العرب أسبانيا (٧١١ – ١٤٩٢م)، كانت العربية لغة الإدارة في المناطق الإسلامية، وكانت بالطبع لغة الحديث والأدب بين جميع العرب هناك. واكتسبت العربية أيضاً أهمية كبيرة بين الأسبان المسيحيين، فدخلت كثير من الكلمات العربية في الأسبانية والبرتغالية (١) كما ان مسيحيين كثيرين يكوّنون فريقاً هاماً من السكان اتخذوا العربية لغة حديث ولغة أدب(٢). ولكن عندما استعاد الأسبان البلاد، فقدت العربية أهميتها في الحياة الرسمية. وعندما أُخرج العرب المغاربة (Moriscos) من الأندلس (في موجات عدة استمرت حتى عام ١٦٠٩م)، ماتت اللغة العربية في الحياة اليومية أيضاً(٣).

---

(١) انظر عن الكلمات العربية الدخيلة في الأسبانية والبرتغالية وفي لغة صقلية (التي ستتحدث عنها فيما بعد):

A. Steiger: Còntribución a la fonética del Hispano-Arabe de los arabismos en el Ibero-Románcio y el Siciliano, Madrid 1932, Revista de Filología Espanola, anejo xvii.

(٢) «إن كثيراً منهم (من نصارى أسبانيا) تشبعوا سريعاً بالحضارة الإسلامية فوجدنا ألفارو Alvaro، أسقف قرطبة، في منتصف القرن التاسع يشكو من أن إخوانه في الدين يقرؤون قصائد العرب وقصصهم ويدرسون ما يكتبه علماء الكلام والفلاسفة المسلمون لا ليدحضوه ولكن ليكتسبوا القدرة على التعبير بالعربية تعبيراً صحيحاً جميلا. وهو يسأل: «هل يستطيع أحد اليوم أن يلقي رجلا من غير رجال الدين يقرأ الشروح اللاتينية على الأسفار المقدسة؟ من يدرس الأناجيل، وأسفار الأنبياء، وأقوال الرسل؟ وا أسفاه! إن جميع الشباب المسيحيين ذوي المواهب الرائعة لا يعرفون إلا لغة العرب وكتاباتهم، وهم يقرؤون ويدرسون الكتب العربية بأعلى همة، وينفقون أموالا ضخمة في جمعها ليضموها إلى مكتباتهم، ويعلنون في كل مكان أن هذا الأدب يدعو إلى الإعجاب... وا أسفاه! لقد نسي المسيحيون لغتهم فلا نكاد نجد بين الآلاف منا واحداً يستطيع كتابة رسالة إلى صديق له بلاتينية محتملة، بينما يستطيع كثيرون جداً التعبير عن أنفسهم بالعربية تعبيراً رائعاً ونظم القصائد بذلك اللسان في حذق يربو على حذق العرب أنفسهم». (نيكلسون A Literary History of the Arabs: R. A. Nicholson، كمبردج ١٩٣٠، ص ٤١٤ – ٤١٥)

(٣) شپولر ٢، ص ٢٤٩؛ بروكلمان ١، ص ٢٢١ و٢٤٢ – ٢٤٣؛ لغات العالم ص ١٣٩ – ١٤٠.

وفي أوائل العصور الوسطى صارت العربية لغة مالطة وجزيرة جُوزُو Gozo المجاورة . ومن المحتمل أن الأغالبة في شمال إفريقية فتحوا مالطة حوالي عام ٨٣٠ م، ولكن استولى عليها النورمانديون من العرب عام ١٠٩٠م. وقد أظهر النورمانديون روح التسامح مع العرب حتى عام ١٢٤٩م. ومنذ ذلك الحين قامت هناك لهجة عربية ذات صلة باللهجات العربية في شمال إفريقية . وهي تكتب اليوم بالخط اللاتيني ، وقد تأثرت طبعاً باللغة الإيطالية (في مفرداتها وأساليبها) (١) .

وفي صقلية كانت العربية لغة حية ولغة رسمية خلال الحكم الإسلامي . « فقد سقطت بانُورمُوس Panormus عام ٨٣١ م ، ومِسِّينا Messina عام ٨٤٣ ، وسِيراكيُوز Syracuse عام ٨٧٧ ؛ وفي عام ٩٦٥ كانت الجزيرة كلها تحت الحكم الإسلامي . وكان المسلمون أهل تسامح خلال حكمهم لصقلية الذي امتد قرنين ونصف قرن من الزمان . فلم تمت المسيحية واللغة اليونانية أبداً . وكانت اليونانية والعربية لغتي الكتابة في صقلية عندما جاء النورمانديون(٢) . وفي حكم رُوجر Roger الأول كان النورمانديون يتكلمون الفرنسية، وفتحوا الطريق أمام الإيطاليين وبخاصة اللمبارديون القادمون من الشمال ، فأقاموا في مناطق واسعة من الجزيرة . وأخذت المسيحية الكاثوليكية واللغة الإيطالية في الانتشار، فماتت العربية واليونانية شيئاً فشيئاً(٣) » . ومع هذا نجد كلمات عربية دخيلة في لهجة صقلية الإيطالية .

وقد دخلت كلمات عربية كثيرة أيضاً في اللغات الرومانسية بجزيرة پنتلاريا Pantellaria (حيث استعملت العربية حتى القرن الثامن عشر) وجزر البليار(٤) .

---

(١) بروكلمان ١ ، ص ٢٤٣ — ٢٤٤؛ لغات العالم، ص ١٣٩ .

(٢) وجدت في صقلية وثائق حكومية مكتوبة بعربية فصحى مشوبة بالعامية، وقد نشرت (لغات العالم، ص ١٣٩) .

(٣) ولنر، ص ١٦٢ .

(٤) لغات العالم، ص ١٣٩ .

٥) أسباب انتشار العربية

كان موضوع القسم السابق العربية من حيث هي لغة فاتحة تحل محل لغات أخرى إلى الأبد أو، في حالات قليلة جداً، مدة من الزمن . فقد زحفت العربية جنوباً من مهدها في الحجاز ونجد، فحلّت محل لغات جنوب الجزيرة، ثم عبرت البحر إلى شرق إفريقية . وزحفت شمالا، فخلفت الأرامية في فلسطين وسوريا وأرض الرافدين . واتجهت غرباً إلى إفريقية، فقضت على القبطية في مصر، وقوضت لهجات البربر في شمال إفريقية . وهكذا انفتح الطريق إلى غرب إفريقية والسودان .

ومن المغرب عبرت العربية مضيق جبل طارق إلى أسبانيا . وكان لنشاط الملاحين العرب في البحر المتوسط الفضل في نقل العربية إلى بعض جزره، ومنها مالطة حيث يتكلم بها الناس إلى اليوم .

هذه فتوح لغوية بكل ما في الكلمة من معنى . ويمكن أن نسوق أسباباً عدة لهذا الحدث الرائع في تاريخ اللغات . والسبب الرئيسي هو بالطبع انتشار الإسلام . فهذا الدين الفعال المؤثر هو القوة الأساسية التي نشرت العربية أولاً ثم حفظتها خلال العصور . « لقد برز الإسلام إلى العالم الخارجي المتحضر لا كخرافة غليظة لجحافل تنهب وتسلب، ولكن كقوة خلقية تفرض الاحترام وعقيدة متماسكة تستطيع أن تتحدى مسيحية بيزنطة وزَرادُشتيّة فارس في عقر دارهما »(١) .

وكما استطاع الإسلام أن يتحدى عقائد أخرى في أوطانها، استطاعت لغة كتابه الكريم أن تتحدى لغات أخرى في بلادها .

---

(١) H. A. R. Gibb: Mohammedanism (The Home University Library)، ١٩٤٩، ص ٤ .

وزاد من انتشار العربية عوامل أخرى . فقد كانت لغة الحكام العرب ، واللغة الرسمية للإدارة . وكانت لغة التجار العرب الذين أدّوا دوراً هاماً في نشر الإسلام والعربية حيثما ذهبوا . والعربية شقيقة اللغة الأرامية التي دانت لها في فلسطين وسوريا وأرض الرافدين، فلم يكن من العسير استبدال لغة سامية بأخرى . وعلى هذا النحو لم تكن العربية غريبة كل الغرابة على الغرائز اللغوية لناطقي اللغات الحامية في إفريقية؛ وقد تحدثنا في القسم الأول من هذا الباب عن الأسرة السامية — الحامية .

وثمة سبب هام لانتشار العربية هو تفوقها اللغوي . فالعربية كما قلنا لغة قوية ورثت حيويتها عن الأيام القاسية التي قضتها في الصحراء، فلم تستطع اللغات التي أدركها الهرم أو الفساد أن تقف في طريقها . وأعانها إيجازها ودقتها على أن تسدّ حاجات البسطاء والمثقفين من الناس، ومطالب البيئات البدائية والمتحضرة .

وبقاء العربية في مالطة إلى اليوم، على الرغم من أن النورمانديين المسيحيين استولوا عليها من العرب المسلمين عام ١٠٩٠ م وعلى الرغم من جوارها لإيطاليا ، يدل دون ريب على القوة الفذّة التي في العربية . واضمحلال العربية في أسبانيا لا يرجع إلى انتصار الأسبان وحده، فقد كان من الممكن أن تبقى العربية بعد الهزيمة في الأندلس كما بقيت بعد الهزيمة في مالطة . فانهيار صرح العربية في الأندلس يرجع أساساً إلى إخراج العرب المغاربة من البلاد، إذ توقفت اللغة عن الحياة حين مضى أهلها بعيداً .

٦) أثر العربية في اللغات الاسلامية

ارتبطت العربية بالإسلام ارتباطاً لا فكاك منه، لأنها لغة القرآن الكريم(١) فهي اللغة الدينية للمسلمين في جميع أنحاء الأرض(٢)، سواء أكانوا يتكلمونها أم لا . فلا غرو إذا تركت آثاراً عميقة باقية في لغات الأمم الإسلامية .

«كان تأثير العربية في الفارسية غامراً شاملاً، يتجاوز بمراحل طويلة المدى الذي ذهبت إليه الإنجليزية في اقتباس الكلمات الرومانسية الأصل»(٣) «والكتابة بلغة فارسية خالية من أي خليط عربي توازي في صعوبتها على الأقل الكتابة بلغة إنجليزية خالية من أية كلمات مأخوذة عن اليونانية أو اللاتينية أو الفرنسية؛ ويمكن الكتابة على هذا النحو في نطاق حدود معينة، ولكن الشيء المكتوب لا يمكن فهمه عامة دون الاستعانة بمعجم من المعاجم ... والشاهنامه ، التي نظمها الفردوسي منذ تسعة قرون والتي تدل دراسة الشعر المعاصر لها على أن صاحبها تعمّد نظمها في أقدم أسلوب ولغة في مكنته، بعيدة عن هذا الخلوّ من الكلمات العربية (٤) الذي نزعمه ونتخيله في كثير من الأحيان»(٥) . «والفارسية التي تكتب اليوم تزيد ألفاظها العربية على ألفاظها الإيرانية»(٦) .

---

(١) «اللغة العربية هي بصفة خاصة لغة دين عظيم . فالتوراة والإنجيل لنا هما التوراة والإنجيل سواء قرأناها بلغاتها الأصلية أو بلغتنا نحن، ولكن ليس الحال كذلك مع القرآن بين المسلمين، فهذا القرآن العربي هو عندهم كلام الله، ووحي موضوعي لا ذاتي» (براون، ص ٤)

(٢) «بين كل سبعة يعيشون في هذا العالم مسلم واحد» (دائرة المعارف الأمريكية The Encyclopedia Americana (١٩٦٢)، المجلد ١٥، ص ٤١٢ أ) .

(٣) شپولر ٢ ، ص ٢٥١ .

(٤) انظر عن الكلمات العربية في الشاهنامه :

Paul Humbert : Observations sur le vocabulaire arabe du Châh-nâmeh, Neuenburg 1953 (Mémoires de l'Université de Neuchâtel).

(٥) براون، ص ٥ – ٦ .

(٦) لغات العالم، ص ٣١ .

وقد أثرت العربية أيضاً في التركية والأردو(١) إما مباشرة، وإما بوساطة الفارسية وهو الأكثر(٢) .

وقد أخذت لغة الملايو عن لغات الهند، والعربية، والفارسية . والكلمات العربية في النصوص الأدبية المكتوبة بلغة الملايو تزيد على ما فيها من كلمات إندونيسية خالصة(٣) . وقد انتقلت العربية إلى شبه جزيرة الملايو (أو شبه الجزيرة الذهبية Aurea Chersonesus كما يسميها بطليموس) وجزر الهند الشرقية على أيدي الملاحين العرب في المحيط الهندي خاصة(٤) .

« ومن المقطوع به أنه لا يمكن أن نعرف لغة فارس أو تركيا أو الهند الإسلامية أو أي بلد إسلامي آخر وأدبه ومناحي تفكيره معرفة تبعث على الرضا دون إحاطة كبيرة باللغة العربية . ومن المؤكد بوجه خاص أن تذوّقنا لهذه الآداب واستمتاعنا بها يزدادان كلما ازددنا علماً بالعربية »(٥) .

---

(١) الأردو صورة أدبية للغة الهندستانية . ولهذه صورة أدبية أخرى هي الهندية، وهي تكتب بأبجدية هندية وتحفل بالكلمات السنسكريتية . وتبذل الآن محاولات للتقريب بين هاتين الصورتين، على الرغم من الصعاب التي يثيرها اختلاف الأبجدية والتقاليد الدينية (لغات العالم، ص ٢٣) .

(٢) شپولر ٢ ، ص ٢٥١ .

(٣) لغات العالم، ص ٦٦٣ .

(٤) انظر G. F. Hourani : Arab Seafaring in the Indian Ocean ، پرنستون ١٩٥١ . وقد ترجمنا هذا الكتاب وزدنا عليه في طبعة نشرتها مكتبة الأنجلو بالقاهرة عام ١٩٥٨ بعنوان : « العرب والملاحة في المحيط الهندي » .

(٥) براون ، ص ٨ .

٧) انتشار الخط العربي

انتشر الخط العربي انتشاراً واسعاً في آسيا وإفريقية في ركاب الإسلام واللغة العربية .

فالفارسية والپَشْتُو (اللغة الأفغانية) وسائر اللغات الإيرانية التي يُتكلم بها اليوم تستعمل الخط العربي(١)، كما تستعمله لغة الأردو . ولغة الملايو تكتب بحروف عربية منذ القرن السادس عشر(٢) . وكانت التركية تستعمل الخط العربي حتى ٣ نوفمبر سنة ١٩٢٨ ، يوم قضى كمال أتاتورك باستعمال الأبجدية اللاتينية(٣) .

وفي الحزام الإفريقي الذي يشمل اللغات السودانية — الغينية ثلاث لغات تستعمل الخط العربي في بعض الأحيان على الأقل : الكانُوري (من المجموعة النيلية — التشادية) والهَوْسا (من المجموعة النيجيرية — التشادية) والفُلاّنيّة (من المجموعة السنغالية — الغينية) . والمسلمون المتعلمون الذين يتكلمون لغات غير مكتوبة في هذه الأرجاء يكتبون باللغة العربية إذا أرادوا الكتابة العلمية أو المراسلة(٤) .

« وعندما يستعمل البربر الخط العربي لكتابة لهجاتهم ، يعمدون في كثير من الأحيان إلى إكماله بإضافة نقط إلى حروف معينة للدلالة على حروف لا توجد في العربية »(٥) .

---

(١) لغات العالم، ص ٣٠ و٣٣ .
(٢) لغات العالم، ص ٦٥٤ و٦٥٧ .
(٣) لغات العالم، ص ٣٤٥ .
(٤) لغات العالم، ص ٧٤٩ .
(٥) لغات العالم، ص ١٦٠ .

وقد كتبت بعض النصوص الصومالية الدينية والسياسية بالخط العربي(١) .

وليست لغة الجلا لغة مكتوبة، ولكن المسلمين من رجال الجلا كتبوا لغتهم بالخط العربي(٢) .

والحوليات القديمة لمدن كلوة Kilwa وپاتي Pate ولامو Lamu ومَنْبَسة Mombasa وزنزبار على شاطئ إفريقية الشرقي، وهي ترجع إلى القرن السادس عشر، مكتوبة باللغة السواحلية والخط العربي(٣) . والسواحلية تكتب الآن بالخط اللاتيني .

---

(١) لغات العالم، ص ١٧٠ .

(٢) لغات العالم، ص ١٧٠ . وتعيش قبائل الجلا في المنطقة الممتدة من وسط كينيا بحذاء نهر تانا إلى الجزء الأوسط من الهضبة الحبشية .

(٣) لغات العالم، ص ٨٤٨ .

الباب الثاني

دراسات مقارنة في النحو العربي

١) الجذور Roots

الجذور قوام الأسماء والأفعال في اللغات السامية . وهي ثلاثيـــة في الغالب ، ولكن كثيراً من هذه الجذور الثلاثية نشأ في الأصل عن جذور ثنائية بزيادة حرف، وذلك كالجذور الثلاثية المعتلة والمضعفة .

ويلاحظ موسكاتي ٢ (ص ٧٢ – ٧٣ ، الفقرة ١١ : ٥) أن المعجم السامي يشتمل على كثير من الجذور الثلاثية التي تشترك في حرفين أصليين وتدل على معان واحدة أو متقاربة، ففي العبرية مثلاً فرد « فصل » وفرم « مزّق » وفرس « شقّ » وفرص « قوّض » وفرق « نزع » وفرر « نقض » وفرش « ميّز » الخ. فهذه الأفعال تشترك جميعاً في الحرفين الأصليين « فر» وفي المعنى الأساسي « قسم » ، وهذا يدعو إلى الظن أن مثل تلك الأفعال الثلاثية نشأ في الأصل عن جذر ثنائي .

وقد بقيت أسماء ثنائية قديمة مثل أب وأخ وشفة ودم ويد وابن واسم وإن عمدت بعض اللغات السامية إلى تثليث هذا الجذر في بعض مشتقاته، كما فعلت العربية حين جمعت أبا على آباء (أفعال) وأخا على إخوة (فِعْلَة) وشفة على شِفاه (فِعال) ودما على دماء (فِعال) ويدا على أيدٍ (أفعُل)

وابنا على أبناء (أفعال) واسماً على أسماء (أفعال) . انظر في الأسماء الثنائية في اللغات السامية عامة بارت ١ ، وبارت ٢ (ص ٢ — ٩) ، ونولدكه ٤ (ص ١٠٩–١٧٨) ، وبروكلمان ٢ (حـ١، ص ٣٣١–٣٣٤) .

ويرى بعض العلماء، استناداً إلى هذه الظواهر الثنائية وغيرها، أن جميع الجذور السامية كانت في الاصل ثنائية . ولكن الأرجح، كما يقول موسكاتي ٢ (ص ٧٣ — ٧٤، الفقرة ١١ : ٧) ، أن اللغـات السامية كانت تملك في الاصل جذوراً ثنائيـة وثلاثية (إلى جانب عدد قليـل من الجذور التي تتكون من حرف أصلي واحد أو يزيد عدد أصولها على ثلاثة)، وأنه في مرحلة معينة من تطور اللغات السامية ساد النظام الثلاثي فدخلت فيه الجذور الثنائية بإضافة حرف ثالث إليها .

ويرى برجشترسر (ص ٧، الهامش الاول) أن (فُو) «فم» مكونة من حرف أصلي واحد . ويضيف موسكاتي ٢ (ص ٨٣ ، الفقرة ١٢ : ٢٥) إليها (ش) «شاة» في الأوجاريتية مع نظيرها في العبرية sě (سِي) ، و(ج) «صوت» في الأوجاريتية أيضاً .

وهناك أيضاً جذور رباعية، ولكنها قليلة، ومنها أسماء قديمة لبعض الحيوانات كالعقرب والقنفذ والأرنب (وإن كان الصرفيون العرب يعتبرون الأرنب ثلاثياً مزيداً بألف) . انظر بروكلمان ٢ (حـ ١، ص ٣٧١) ، وموسكاتي ٢ (ص ٨٤، الفقرة ١٢ : ٣٠) .

وليست الجذور هي المادة الوحيدة التي تبني منها اللغات السامية صيغها فهناك العناصر الإشارية deictic elements التي تصاغ منها الضمائر وبعض الأدوات particles (مثل حرفي التوكيد إنّ وأنّ، وحروف الجر الكاف واللام ومن ، والظرفين هنا وثَمّ، وحرف الشرط إن) . ومن الجلي أن العناصر الإشارية من أقدم العناصر في اللغات عامة .

٢) جموع التكسير

يعتقد جمهرة علماء اللغات السامية أن جموع التكسير كانت في الأصل أسماء مفردة لها معنى كلي Collectiva تطورت بعد ذلك إلى جموع لأسماء مفردة معينة؛ فليست جموع التكسير مشتقة في الأصل من أسماء مفردة « بتكسير » صيغ هذه الأسماء المفردة كما يقول النحاة العرب، أي بتغيير حركاتها وإضافة حروف إليها أو حذف حروف منها، وإنما هي موضوعة أصلا في صيغ مفردة للدلالة على مسميات كلية . انظر بارت ٢ (ص ٤١٧ — ٤١٩)، وهوفنر (ص ١٠١ — ١٠٢) .

وينتقد بارت نظرية التكسير العربية التي يسايرها بعض المستشرقين القدامى مثل إڤالد H. Ewald (في كتابه عن النحو العربي Grammatica critica linguae arabicae، جزءان، ليبزج ١٨٣١—١٨٣٣، الفقرة ٣٠٣) ودلمان (في كتابه عن النحو الحبشي، الطبعة الأولى، الفقرات ١٣٥—١٤٨) (١) فيقول إنها لا تتفق وما هو معروف من أن جمع التكسير الواحد قد يشمل صيغاً مفردة متباينة(٢)، وأن المفرد الواحد قد يجمع جموع تكسير مختلفة(٣) . هذا إلى أنه ليس ثمة أساس صوتي أو شكلي ثابت نستطيع به اشتقاق جمع التكسير من المفرد، فأحياناً نجد الجمع قصير الصيغة بالنسبة إلى المفرد (مثل صاحب وصَحْب)، وأحياناً نجد العكس (مثل ضِرس وضُروس)؛ ثم قد يشتمل الجمع على حروف زائدة ليست في المفرد

---

(١) = الفقرات ١٣٥ — ١٤٠ من الطبعة الثانية . وانظر خاصة ص ٢٩٩ — ٣٠١ من ترجمتها الإنجليزية التي نشير إليها بدلمان ١ .

(٢) مثل فعول قد تكون جمعاً لفعل (بفتح فسكون) مثل بحر وبحور، وجمعاً لفعل (بفتحتين) مثل أسد وأسود، وجمعاً لفعل (بفتح فكسر) مثل ملك وملوك، وجمعاً لفاعل مثل جالس وجلوس .

(٣) مثل *الساق تجمع على سوق (بضم السين ضمة طويلة)* وسيقان وأسؤق (بفتح فسكون فضم)، ومثل الصاحب يجمع على صحب (بفتح فسكون) وأصحاب وصحاب .

(مثل صاحب وأصحاب) أو تحذف منه حروف زائدة نجدها في المفرد (مثل حِكْمة وحِكَم) .

وقد توسعت اللغات السامية الجنوبية (وهي العربية الشمالية والعربية الجنوبية القديمة والحبشية) في استعمال جمع التكسير . وجموع التكسير في الحبشية أقل وفرة منها في العربية : دلمان ١، ص ٣٠٠ ؛ وپريتوريوس (١) ص ١٠٥ . وجموع التكسير في العربية الجنوبية القديمة أكثر وروداً من الجمع السالم (هوفنر، ص ١٠٢؛ وبيستون، الفقرة ٣٠ — ١) .

وفي العبرية والسريانية (وهما من اللغات السامية الشمالية) آثار قليلة من جموع التكسير، أي من أسماء الجموع التي نجد لها مفرداً من لفظها يختلف عنها في الحركات (٢). فمن آثارها في السريانية qurya (قُرْيا) جمع qerītā (قرِيتا) «قرية » وكذلك ḥemrā (حِمْرا) جمع ḥemārā (حمارا) «حمار » . انظر بروكلمان ٢ (حـ ١، ص ٤٢٧ أسفل — ٤٢٨ أعلى) و٣ ص ٦٥ (٣) .

---

(١) F. Prātorius, Äthiopische Grammatik, Karlsruhe und Leipzig 1886

(٢) أما أسماء الجموع التي لا مفرد لها من لفظها يختلف عنها في الحركات فهي أسماء جموع محضة، ولا تعد من جموع التكسير . ومن أمثلة ذلك في العبرية bāqār (بقر) «بقر »، ʿōf (عوف) «طير »، perī (پري) «ثمر »، ṣōn (صون) «غنم »، rekeš (ركش) «جياد »، rimmā (رما) «دود »، behemā (بهيما) «بهائم »، dimʿā (دمعا) «دموع ». انظر جزنيوس—كاوتش، ص ٣٩٤ أسفل — ٣٩٥ ؛ ونولدكه ١ ، ص ٥٩ — ٦١ (وهو يرى، ص ٥٩ ، أنه ليس في العبرية أو الأرامية آثار أكيدة من جمع التكسير) .

(٣) يذكر نولدكه ١ (ص ٦١ — ٦٢) حمرا وقريا السريانيتين على أنهما جمعان في المعنى يقابلهما مفردان من نفس المادة، ولكنه لا ينص على أنهما جمعا تكسير، بل إنه يرى أن «قرى» العربية و «قريا » السريانية تعنيان في الأصل المسكن وتدلان (كالبلد والدار) على المنطقة المسكونة أو المحلة الواحدة، فتكونان بذلك أقدم من المفردين قرية (في العربية) وقريتا (في السريانية) *اللذين يرتبطان بهما في الاستعمال* .

ومن بقاياها في العبرية جموع الأسماء السيجولية (أي الأسماء الساكنة العين المحركة الفاء بفتحة أو كسرة أو ضمة)، فهي تتميز بفتح العين بعد سكونها في المفرد وإن أضيفت إليها بعد ذلك نهايات الجمع السالم مثل mᵉlākīm (ملاكِيم) جمع meleḵ (مِلِك) «مَلِك»، و sᵉfārīm (سفارِيم) جمع sefer (سِفِر) «كتاب» و qŏḏāšīm (قُداشِيم) جمع qoḏeš (قُدِش) «قُدْس». فنحن نتفق مع بروكلمان ٢ (ح ١ ص ٤٣٠–٤٣١) في أن مثل ملاكيم جمع تكسير على وزن فَعَل (بفتحتين) من المفرد فَعْل (بفتح فسكون)، وأن مثل سفاريم جمع تكسير على وزن فِعَل (بكسر ففتح) من المفرد فِعْل (بكسر فسكون)، وأن مثل قُداشيم على وزن فُعَل (بضم ففتح) من المفرد فُعْل (بضم فسكون). وبروكلمان في هذا الرأي يتابع فريقاً من العلماء أشار إليهم في كتابه المذكور (ص ٤٣٠، الملاحظة الثانية).

ولكن هناك آراء أخرى في جموع الأسماء السيجولية تخرجها عن نطاق جموع التكسير. فمن ذلك ما يراه شتاده (ص ١٩٤ أسفل – ١٩٥ أعلى) من أن مثل ملاكيم مقيس على جمع فَعَل (بفتحتين، مثل dāḇār (دَبَر) «أمْر»: dᵉḇārīm [دبارِيم])، وأن مثل سفاريم مقيس على جمع فِعَل (بكسر ففتح، مثل ʿenāḇ (عِنَب) «عِنَب»: ʿănāḇīm [عَنابِيم]) أي أن عين ملاكيم وسفاريم فتحت (رغم أنها ساكنة في المفرد) قياساً على فتح العين في مثل دباريم وعَنابيم.

ويرى أنجناد ١ أن فتحة العين في مثل ملاكيم وسفاريم وقُداشيم حركة مساعدة قصيرة Svarabharti جيء بها لتلافي الوقع الشديد للحرف المركب Doppelconsonanz قبل النبرة مباشرة، أي لتلافي مثل malkı̀m (مَلْكِيم)، حيث تؤلف العين الساكنة ولام الكلمة حرفاً مركباً تليه مباشرة النبرة الواقعة على مقطع نهاية الجمع. وهو يقول إن

هذه الفتحة المساعدة القصيرة ربما لم يكن يؤتى بها في أول الأمر إلا في الحالات الصعبة النطق بوجه خاص، ثم عُمّمت فيما بعد فشملت كل الجموع التي من هذا القبيل .

ولكن يقول نولدكه ٣ ، رداً على أنجناد، إن فتح العين في جمع فعْل أو فعْلة (بتثليث الفاء وتسكين العين) ظاهرة سامية عامة نجدها أيضاً في العبرية والأرامية، فكيف يصلح لمثل هذه الظاهرة السامية العامة ذلك التسهيل الصوتي الضيق الذي لم يكن يمكن أن يقع إلا في حالات قليلة؟ ويقول نولدكه إنه لا يجد هو نفسه تفسيراً معقولاً لهذه الفتحة .

ويورد نولدكه أمثلة لهذه الظاهرة في العربية والأرامية (ولا سيما السريانية) (١) . وقد نقل بروكلمان بعضها ٢ (حـ ١ ص ٤٣٠) . ففي العربية تجمع فَعْلة (بفتح فسكون) على فَعَلات (بفتحتين) مثل جَفْنة وجَفَنات، وتجمع فِعْلة (بكسر فسكون) على فِعَلات (بكسر ففتح) مثل كِسْرة وكِسَرات (بفتح السين في الجمع، وقد تُكسر إتباعاً للكسرة قبلها)، وتجمع فُعْلة (بضم فسكون) على فُعَلات (بضم ففتح) مثل ظُلْمة وظُلَمات (بفتح اللام في الجمع، وقد تضم إتباعاً للضمة قبلها). وفي جمع المذكر لا ترد الفتحة إلا في أَرَضُون (بفتحتين)، وإن ورد أيضاً تسكين الراء . وفي الأرامية ضاعت هذه الفتحة القصيرة، ولكن بقي أثر ينم عنها في بعض الجموع التي تكون لامها حرفاً من حروف بجد كفت ، إذ نجدها رخوة لا شديدة ، وذلك مثل ʾalfīn (أَلْفين) «آلاف» في السريانية . ويدل على وجود هذه الفتحة في الأصل أيضاً أن بعض الأسماء الثلاثية المضعفة مثل ʿammā (عَمّا) «شَعْب» في السريانية يكتب جمعها بميمين (عَمما «بألف ممالة»)، وإن ظل

---

(١) انظر أيضاً كتابه في النحو السرياني ٢، ص ٦٣ (الفقرة ٩٣) .

النطق في الجمع بميم مشددة amme؛ فكتابة ميمين في الجمع دليل على أن الميم الأولى كانت محركة بفتحة في الأصل .

وما دمنا نعد جموع الأسماء السيجولية في العبرية جموع تكسير تتميز بفتح العين بعد سكونها في المفرد، فنحن نعدّ نظائرها في الأرامية جموع تكسير أيضاً تضاف إلى حمرا «حمير» وقُرْيا «قُرى» الآنفي الذكر . وقد لاحظنا أن نهايات الجمع السالم تضاف باطراد إلى جموع الأسماء السيجولية في العبرية . ونلاحظ هنا أن جمع التكسير قُرْيا تلحق به أحياناً نهاية الجمع السالم، كما إذا أضيف إلى الاسم الظاهر quryai (قُرِيَيْ)؛ انظـر بروكلمان ٢ (حـ١، ص ٤٢٨) و٣ (ص ٦٥) . وتفسير هذا كله أنه لما غلب استعمال الجمع السالم وساد في العبرية والأرامية أدخلت العبرية ما فيها من جموع تكسير في نطاق الجمع السالم، وفعلت الأرامية ذلك أيضاً إلى حد ما .

...

ونتقل الآن إلى لغـة سامية شمالية أخرى هي الأوجاريتية ، فإن أيستليتنر(١) (ص ٣٨ – ٤٦) يرى أنها تشتمل على طائفة كبيرة من جموع التكسير ، وإن لم تبلغ مبلغ جموع التكسير في اللغات السامية الجنوبية . ويتابعه ج. ر. درايفر (ص ١٢٩، العمود الأول؛ وص ١٣٤، الهامش ٤ وص ١٤٦ ، الهامش ٩) في بعض هذه الجموع : أَجزر (بفتح الهمزة – جمع جزر «لقمة») ، أُدمعت (بضم الهمزة) «دموع»، أُصبعت (بضم الهمزة) «أصابع» . ولكن ينكـر موسكاتي ذلك ٢ (ص ٨٩، الفقرة ١٢ : ٤٤) . وليس هنا مجال الخوض في هذا الخلاف .

ويشير موسكاتي ٢ (ص ٨٩، الفقرة ١٢ : ٤٤) إلى ṣuḫru (صُخْرُ)

(١) J. Aistleitner: Untersuchungen zur Grammatik des Ugaritischen, Berlin 1954.

(بضم فسكون) في الأشورية القديمــة، وهو اسم جمع يقابــل المفرد ṣaḫru (صَخْرُ) (بفتح فسكون) في الأشورية و ṣeḫru (صخْرُ) (بإمالة فسكون) في البابلية « صغير » .

والخلاصة أن جمع التكسير ظاهرة سامية توسعت فيها اللغات السامية الجنوبية توسعاً عظيماً وبقيت منها آثار عديدة في الأوجاريتية (على رأي) وأخرى قليلة في العبرية والأرامية (والأكدية ؟) .

٣) الضمير أَنا

صيغة ضمير المتكلم « أنا » في العربية لها نظائر في اللغات الأرامية، مثل ʼănā (أنا) في أرامية العهد القديم و ʼenā (إنا) (بإمالة الهمزة) في السريانية . وترد « أنا » أيضاً جزءاً في ضمير المتكلم anāku (أناكُ) في الأكدية و ʼānōkī (أَنُوكِي) (حيث تنطق الكاف رخوة كالخاء) في العبرية؛ وقد تحولت الفتحة الطويلة إلى ō (حولم طويلة) في الصيغة العبرية كما نرى، وهذا دليل قاطع على أن الفتحة الممدودة في أنا أصلية .

فاتفاق العربية والأرامية والأكدية والعبرية في المدّ دليل على أنه أصلي وبهذا ينحسم الخلاف بين البصريين والكوفيين في هذا الصدد . وسنعرض لهذا الخلاف ، ولكن يجب أولاً أن نتحدث عن أحوال أنا في الوقف والوصل لاتصال هذا الموضوع بذلك الخلاف .

يقول سيبويه (حـ ٢ ، ص ٢٧٩ ، آخر سطر) إن الوقوف على أنا يلزم أن يكون بمدّ الألف . ولكن في الوقف لغة بهاء السكت نسبها الرضى ١ (حـ ٢ ، ص ٢٩٤) إلى بعض طيئ ، فهم يقولون أنه . ويعقّب

الرضى على هذا بأنه قليل . وقد أشار الرضى في موضع آخر ٢ (ﺣ ٢، ص ٩ أسفل) إلى هذه اللغة، كما أشار إليها ابن يعيش (ﺣ ٣، ص ٩٤) حيث يقول : «وقد قالوا أنَهْ فوقفوا بالهاء . حُكي عن بعض العرب وقد عرقب ناقته لضيف، فقيل له هلاّ فَصَدتَها وأطعمته دمها مشويًّا، فقال هذا فصدى أنه ؛ وقال الشاعر :

إن كنتُ أدرى فعليّ بَدَنَهْ   من كثرة التخليط فيَّ مَن أنَهْ»

أما في الوصل فيقال أنَ(١)، وهذه هي الصيغة العادية للضمير في الحبشية . وبنو تميم يثبتون الألف في الوصل أيضاً، كما يقول الرضى في الموضع المذكور من شرح الكافية . ويقول ابن يعيش (ﺣ ٩، ص ٨٣ – ٨٤) إن هذه اللغة (أي إثبات الألف في الوصل) قرأ بها نافع(٢) في قوله تعالى : «أنا أُحيي وأُميت» (البقرة ٢٥٨) و«أنا آتيك به» (النمل ٣٩ و٤٠) ، ومنها أيضاً قول الشاعر (أبي النجم العجليّ) : «أنا أبو النجم وشعري شعري»، وقول الآخر : «فكيف أنا وانتحال القوافي» ، وقول الآخر (حُمَيْد بن حُرَيْث بن بَحْدَل الكلبيّ) :

أنا سيف العشيرة فاعرفوني   حميدٌ قد تذرّيتُ السناما(٣)

ويقول ابن يعيش بعد ذلك إن إثبات الألف في الوصل كثُر عن العرب

---

(١) يقول رايت (ﺣ ١، ص ٥٤ أسفل) إن الصيغة المقصرة أنَ ترى في هأنذا . وسبب تقصير حركة النون هو المخالفة dissimilation لتوالي ثلاث فتحات ممدودة (ها أنا ذا) .

(٢) وكذلك أبو جعفر (وهو من قراء المدينة) . انظر برجشترسر وپرتسل O. Pretzl في كتابهما: Die Geschichte des Qorantextes (ليبزج ١٩٣٨)، ص ٣٦، هامش ٥ .

(٣) ثمة أمثلة أخرى من الشعر للمد في الوصل أشار إليها نولدكه ٥ (ص ١٤) وفي مقاله : Untersuchungen zur semitischen Grammatik ، بمجلة ZDMG المجلد ٣٨ (١٨٨٤)، ص ٤١٨، الهامش الثالث .

حتى قال الكوفيون إن الألف من الكلمة وليست زائدة . ويذكر ابن يعيش أيضاً (حـ٣، ص ٩٤) أنْ بسكون النون على أنها لغة في الوصل والوقف، وكذلك يذكرها الرضى (في الموضع المذكور من شرح الكافية) للوصل والوقف ، وهذا يفهم أيضاً من كلام قليل لابن هشام عنها في المغنى (حـ ١، ص ٢٧) .

وهنا نأتي إلى الخلاف المذكور بين البصريين والكوفيين . وقد عرفنا رأي الكوفيين ، وهو أن الألف بعد النون من نفس الكلمة . أما البصريون فالضمير عندهم كما يقول الرضى (في الموضع المذكور من شرح الكافية) همزة ونون مفتوحة، والألف زائدة يُؤتى بها بعد النون في حالة الوقف لبيان الفتح ، لأنه لولا الألف لسقطت الفتحة للوقف، فكان يلتبس بأن الحرفية لسكون النون، فلذا يكتب بالألف، لأن الخط مبنى على الوقف في الابتداء . ويتابع ابن جنى رأي البصريين حيث يقول في المنصف (ط القاهرة ١٩٥٤، الجزء الأول ، ص ٩ — ١٠) : «فأمّا الألف في أنا في الوقف فزائدة، وليست بأصل . ولم نقض بذلك فيها من قبل الاشتقاق، هذا مُحال في الأسماء المضمرة لأنها مبنية كالحروف، ولكن قضينا بزيادتها من حيث كان الوصل يُزيلها ويُذهبها كما يُذهب الهاء التي تلحق لبيان الحركة في الوقف ... ألا ترى أنك تقول ارْمِهْ إذا وقفت وأنت تريد ارمِ ، فإذا وصلت قلت ارمِ يا رجل . فالألف في أنا كالهاء في ارمه زائدة مثلها ، وبُيّنت الفتحة بالألف كما بينت الكسرة بالهاء ، لأن الهاء مجاورة للألف، ومثل ذلك ما حكاه سيبويه أن من العرب من يقول في الوقف «قالا» وهو يريد «قالَ»، فيبين الحركة بالألف، وقد قالوا في الوقف أنهْ فبيّنوا الفتحة بالهاء كما بيّنوها بالألف، وكلتاهما ساقطة في الوصل» .

ويقارن ابن يعيش (حـ٩، ص ٨٤) (متابعاً سيبويه، حـ٢، ص ٢٧٩)

زيادة الألف في أنا لبيان فتحة النون (على رأي البصريين) بقول العرب حَيَّ هَلا في الوقف، فإذا وصلوا قالوا حَيَّ هَلَ بفتح اللام من غير ألف، وإن شئت قلت حَيَّ هَلْ بالسكون من غير حركة(١). ويعقب ابن يعيش على هذا بقوله: «ولم تقف العرب في شيء من كلامها بالألف لبيـــان الحركة إلا في هذين الموضعين أعني هَلا وأنا، وتقف في الباقي بالهاء». فهذا التعقيب لا يشمل اللغة التي ذكرها سيبويه كما يقول ابن جنى من الوقوف على «قال» بقولهم «قالا».

هذا الخلاف بين البصريين والكوفيين ينحسم كما قلنا بالرجوع إلى سائر اللغات السامية، فأكثرها كما رأينا يمدّ فتحة النون. فالكوفيون إذن على صواب. فصيغة الوقف أنا احتفظت إذن بالمدّ الأصلي لاستحالة الوقوف على الحركة القصيرة، كما يقول بركلاند H. Birkeland (Altarabische Pausalformen؛ أوسلو ١٩٤٠، ص ٣٦). أما صيغة الوقف أنَهْ فهي قليلة مقصورة على بعض طيئ، فلا يصحّ الاحتجاج بها على أن أصل الضمير أنَ، ولا يصح مقارنتها بصيغة الوقف هُوَهْ من ضمير الغائب هُوَ. ولعل صيغة الوقف أنَهْ هذه نشأت كما يقول بركلاند (ص ٣٧) عن صيغة الوصل أنَ، أي أن بعض العرب ممن يقولون أنَ في الوصل ظنوا أن هذه هي الصيغة الأصلية، فلما أرادوا الوقوف عليها وقفوا عليها بالهاء بياناً لحركة النون، فقالوا أنَهْ كما يقال هُوَهْ.

والصيغة أنْ التي ذكرها ابن يعيش والرضى للوصل والوقف معاً، وهي في حال الوصل مثل حَيَّ هَلْ الآنفة الذكر، هذه الصيغة شاذة. وقد يمكن تفسيرها في حال الوقف على أساس تفسير بركلاند لأنَهْ، فنقول إن بعض العرب ممن يقولون أنَ في الوصل ظنوا أن هذه هي الصيغة

---

(١) هذه كلمات يستحث بها (القاموس).

الأصلية، فلما أرادوا الوقوف عليها وقفوا بحذف الحركة دون بيان حركة النون . ويمكن أيضاً تفسير أنْ في الوصل على أساس أنه لما شاع الوقوف بأنْ نُسي أن أصلها بتحريك النون فاستعملت بسكون النون في الوصل أيضاً .

قلنا إن صيغة الوقف أنا، وهي الصيغة الغالبة الشائعة، احتفظت بالمدّ الأصلي؛ واستدللنا على أصالة المد بالرجوع إلى سائر اللغات السامية . ومما يؤيّد أصالة المدّ أيضاً احتفاظ بعض العرب به في الوصل كما مرّ . وتقصير حركة النون في الوصل أمر طبيعي من الناحية الصوتية؛ وما يقول به البصريون من أن قصر حركة النون في الوصل دليل على قصرها في الأصل ليس صحيحاً على إطلاقه، فقد يكون القصر في الوصل ناشئاً عن تقصير لمد أصلي . وكأن ابن يعيش، رغم تأييده لرأي البصريين، أحسّ بما في احتجاجهم هذا من مغالاة فقال (حـ ٩، ص ٨٣) : «والوصل مما يردّ الأشياء إلى أصولها في الغالب»، فقوله «في الغالب» قَيْد .

وقد حكى الفراء (كما يقول ابن يعيش، حـ ٣ ص ٩٤) آنَ فعلتُ بقلب الألف إلى موضع العين . وفي هذه الرواية تقوية لمذهب الكوفيين كما يعترف ابن يعيش نفسه . وآنَ هذه ترد أيضاً في بعض اللهجات العربية الحديثة؛ انظر بروكلمان ٢ (حـ ١، ص ٢٩٧)، وبارت ٣ (ص٣) .

ومما يضعف رأي البصريين أيضاً أنهم لم يجدوا مثيلاً للضمير أنا فيما يرونه سوى حَيَّ هَلا، بغضّ النظر عن اللغة التي ذكرها سيبويه من الوقوف على «قال» بقولهم «قالا» . بل إن أبا الحسن الأخفش يقول إنه لم يسمع إلا حَيَّهله (دون حيّهلا) صيغة للوقف؛ انظر يان G. Jahn : Sîbawaihi's Buch über die Grammatik، النصف الثاني من الجزء الثاني، برلين ١٩٠٠، ص ٣٦٨، هامش ٤ .

استوى لنا إذن أن الفتحة الممدودة في أنا أصلية كما يقول الكوفيون . فلنبحث الآن في العناصر المكوّنة لصيغة هذا الضمير :

الرأي السائد الآن بين علماء اللغات السامية(١) أن أنا ومثيلاتها كانت في الأصل أَنْأَ ، أي كانت مكوّنة من أنْ (وهي أداة إشارية) + أَ (وهو في رأيهم ضمير المتكلم المتصل بالفعل المضارع : أفعل(٢)) . ويفسر بروكلمان ٢ (حـ ١ ص ٢٣٩ أسفل) سقوط الهمزة الثانية بأنه على سبيل المخالفة، لورود همزة ثابتة في المقطع المقفل السابق . ولكنه لا يورد لنا مثالاً آخر لهذه الظاهرة يؤيد به تفسيره . على أن في هذا التفسير مواضع ضعف بيّنة : (أ) أولها أن الهمزة الثانية (على فرض وجودها أصلاً) ضاعت تماماً ولم يبق منها أثر ينمّ عنها في أية لغة من اللغات السامية؛ (ب) وثانيها أن هذا التفسير على فرض صحته يؤدي بنا إلى الصيغة أَنَ (لا الصيغة الأصلية أنا بالمد)، وذلك لأن حذف الهمزة الثانية (فرضاً) يستتبع انتقال حركتها (وهي فتحة قصيرة) إلى النون قبلها، فتفتح النون بعد أن كانت ساكنة، فيقال أَنَ، كما يقال لم أَسَلْ (= لم أسْأَلْ)؛ (حـ) وثالث مواضع الضعف في ذلك الرأي أننا نقول في العربية لم أَنْأَ أي لم أبتعد (من الفعل نأى)، فنحتفظ بالهمزة الثانية هي وحركتها، ولا نحذفها كما حذفناها (فرضاً) في الصيغة المطابقة أَنْأَ التي يرجعون إليها صيغة الضمير .

هذه مواضع ضعف نأخذها على ذلك الرأي . والظاهر أن أصحابه انساقوا إليه بتأثير من صيغة ضمير المخاطب أنتَ والمخاطبة أنتِ، وهما ولا ريب مركبان من أنْ الإشارية السالفة الذكر + ضمير المخاطب أو

---

(١) انظر بروكلمان ٢ (حـ ١ ص ٢٩٧)، وبارت ٣ (ص ٣) . وكان فيليبي F. Philippi من أوائل المنادين بهذا الرأي : ZDMG ، المجلد ٢٩ (١٨٧٥)، ص ١٧٢ ؛ والمجلد ٣٠ (١٨٧٦) ، ص ٣٧٣ أسفل .

(٢) هذا الرأي يختلف طبعاً عما يقوله النحاة العرب من أن حروف أنيت (ومنها الهمزة) ليست من الضمائر في شيء، وانما هي مجرد علامات لفظية على شخص الفاعل؛ فأقوم مثلا الهمزة فيها تدل على أن الفاعل هو المتكلم المفرد، وهو هنا ضمير مستتر وجوباً تقديره أنا .

المخاطبة تَ ـِ الذي نجده متصلاً بالفعل الماضي : فعلتَ ـِ(١) .

ولكن الشبه في الظاهر لا يستلزم اتفاقاً في أساس التكوين . ولهذا نقترح تحليلاً آخر للضمير أنا نجده أيسر من التحليل السائد الآن وأقرب تناولاً ، وهو أن الضمير أنا مركب من الضمير أَ (الذي نجده في المضارع أفعلُ) + النهاية الإشارية (نا)، وهي شائعة في اللغات السامية العامة، نجدها مثلاً في اسم الإشارة dᵉnā (دنا) « هذا » في الأرامية ؛ و en – na (–a) « انظر » في البابلية ؛ و hākanna (هاكَنّا) « هكذا » في السريانية؛ و ʿădennā (عَدَنّا) بإمالة الدال « حتى الآن » في العبرية ؛ و ʾānā (آنا)

(١) انظر بارت ٣ (ص ١٠٠ أسفل – ١٠١ أعلى)، وأنجناد ٢ (ص ٩، الهامش الأول) . وانظر قبلها فيلِپي في ZDMG المجلد ٣٠ (١٨٧٦) ، ص ٣٧٣ أسفل .

وهذا الرأي شبيه بما قال به فريق من النحاة العرب من أن الضمير المرفوع هو التاء المتصرفة (فعلتَ ، فعلتِ ، الخ) ، فلما أرادوا انفصالها دعموها بأن لتستقل لفظاً . يقول الرضى ٢ (حـ ٢، ص ١٠) إن هذا كذهب « بعض الكوفيين وابن كيسان في إياك وأخواته، وهو أن الكاف المتصرفة كانت متصلة، فأرادوا استقلالها لفظاً لتصير منفصلة، فجعلوا إيا عماداً لها، فالضمائر هي التي تلي إيا، وإيا عماد لها، وما أرى هذا القول بعيداً من الصواب في الموضعين »

ولكن النحاة البصريين يفرقون بين التاء في أنت والتاء في فعلت، ولا يعدونها شيئاً واحداً . يقول ابن يعيش (حـ ٣، ص ١٠٠ أسفل – ١٠١) : « التاء في أنت وإن كان لفظها لفظ التاء في قمت ليست إياها، معمودة بما قبلها (أي بأن)، وإنما الاسم ما قبلها (أي أن الضمير هو أن السابقة للتاء) وهي (أي التاء) حرف معنى (يدل علـى الخطاب) وافق لفظ الاسم (أي لفظ الضمير في قمت) » . ويقول ابن جني في الخصائص (تحقيق الأستاذ محمد علي النجار ، الجزء الثاني، القاهرة ١٩٥٥، ص ١٨٩ آخر سطر) : « فالاسم أن وحده، والتاء من بعد للخطاب » كذلك يقول ابن الأنباري (ص ٢٩٠) : « الضمير هو أن وهو مبهم والتاء تبينه، فان كانت مفتوحة دلت على أنه ضمير المذكر ، وإن كانت مكسورة دلت على أنه ضمير المؤنث » .

فالنحاة البصريون ينظرون الى (أن) على أنها الضمير ، وإلى التاء على أنها حرف زائد للدلالة عــلى الخطاب . وثمة مذهب ثالث أشار إليه الرضى أيضاً ٢ (حـ٢، ص ١٠) هو مذهب الفراء ، وهو أن أنت بكماله اسم ، والتاء من نفس الكلمة . ومعنى هذا أن الضمير هو أنت بأجمعها لا أن وحدها كما يقول البصريون ، أو التاء وحدها كما يقول بعض النحاة من غير البصريين .

« أين ؟ » أو « إلى أين ؟ » في العبرية أيضاً ؛ ثم في (هُنا) (١) في العربية نفسها . ونجد أيضاً في العربية هَنّا بفتح الهاء وتشديد النون بمعنى هناك؛ وقد تكسر الهاء فيقال هِنّا ، ولكن هذه أقل وروداً . وللصيغة الأخيرة هِنّا نظير في العبرية (hennā) ؛ ولكن ليس معناه « هناك » وإنما معناه « إلى هنا » (غالباً) أو « هنا » قليلاً .

قلنا في صدر هذا البحث إن أنا ترد جزءاً في ضمير المتكلم أناكُ في الأكدية وأنوكِي في العبرية . فالصيغة الأكدية مركبة من أنا + ضمير المتكلم (كُ) الذي يلحق في الأكدية بتلك الصيغة الفعلية الخاصة التي يسميها علماء الأشوريات permansivum والتي تشبه في الظاهر الفعل الماضي في اللغات السامية الأخرى(٢) . والصيغة العبرية هي في الأصل كالصيغة الأكدية ، ولكن تحولت الفتحة الممدودة إلى ō كما يحدث في العبرية لكل فتحة ممدودة أصلية، وتحولت (كُ) إلى (كِي) لسبب سنتحدث عنه فيما بعد .

ولنتساءل الآن : لماذا جمعت الأكدية والعبرية بين ضميرين للمتكلم في صيغة واحدة؟ يقول كونيج (ص ٣٦٦ ، الهامش الأول) إن هذا لتقوية التعبير عن فكرة « أنا » . ولكن قد يكون السبب في ذلك أن الأكدية

---

(١) ما أقرب الصلة في المعنى بين أنا وهنا ! بل إن في أنا لغة بالهاء (أي هنا) أشار اليها الرضى ٢ (حـ ٢، ص ١٠) والأشموني في شرحه على الألفية (تحقيق الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد، القاهرة ١٩٥٥، حـ ١، ص ٥١) . ويروي اللسان وتاج العروس (مادة هنا) عن ابن سيده قوله « جاء من هنِي » أي من هنا؛ ومن الطريف أن هناك لغة مشابهة في صيغة الضمير ، فيقال أني كما سيلي .

(٢) ضمير المتكلم المتصل بالفعل الماضي في العبرية هو (تي)، ولكنه منقلب في الأصل عن (كو) (التي نجدها أيضاً متصلة بالفعل الماضي في الحبشية)؛ فقد قلبت الكاف تاء مشابهة لضمير المخاطب المتصل بالفعل الماضي، وحولت الضمة الطويلة إلى كسرة طويلة مشابهة للكسرة الطويلة في ضمير المتكلم المنفصل . انظر مثلا شتاده، ص ١٣٥ أسفل .

والعبرية نسيتا بمرور الزمن أن الهمزة في أنا الأصلية هي ضمير للمتكلم، وظنتا أن هذه الهمزة مجرد عنصر إشاري كالهمزة في (أن) من (أنت)، فتوهمتا أنّ (أنا) خالية من ضمير يدل على المتكلم بخلاف (أنت) التي تشتمل على ضمير للمخاطب لا شبهة فيه هو التاء، فعمدتا إلى إضافة ضمير المتكلم المتصل (كُ) إلى (أنا)، فنشأت أناكُ[1] التي احتفظت بها الأكدية ولكن حولتها العبرية إلى أَنُوكِي .

...

وفي العبرية صيغة أخرى لضمير المتكلم المنفصل هي ănī' (أَنِي)، وهي أكثر وروداً، كما أنها أحدث، فهي تشيع في الأسفار المتأخرة من التوراة بينما تشيع أَنُوكِي في الأسفار القديمة . انظر س . ر. درايڤر **An Introduction to the Literature of the Old Testament: S.R. Driver** الطبعة التاسعة (إدنبره ١٩١٣)، ص ١٣٤ آخر سطر – ١٣٥ أعلى مع الهامش الأول في الصفحة الأخيرة، ثم ص ١٥٥ الهامش الثاني؛ وانظر أيضاً هاريس ٢، ص ٧٤ .

واللغة الأوجاريتية لها كالعبرية صيغتان لضمير المتكلم: (أَن ك) و (أَن) . انظر جوردون ١ ص ٣٥ . وكتابة اللغة الأوجاريتية لا تظهر الحركات عادة، ولهذا لا نعرف نطق صيغتي ضمير المتكلم فيها على وجه اليقين . ولنلاحظ أن (أَن ك) أكثر وروداً من (أَن) على عكس الوضع في العبرية؛ والسرّ في هذا واضح، وهو أن اللغة الأوجاريتية، وهي أقدم من العبرية، غلبت فيها الصيغة القديمة لضمير المتكلم أي (أن ك)، بينما شاعت في العبرية، وهي أحدث من اللغة الأوجاريتية، الصيغة المتأخرة للضمير وهي (أَنِي) .

---

(١) فليست أنا مختصرة من أناك كما توهم شتاده (ص ١٣٥) . وأنا أتفق في هذا مع فيلپي في مقاله بمجلة ZDMG، المجلد ٣٠ (١٨٧٦)، ص ٣٧٨، حيث يأخذ على إنبرج (de pronominibus arabicis) C. Fr. Eneberg، هلسنجفورز ١٨٧٢ – ١٨٧٤، ص ٧٧) مثل هذا الوهم ويدحضه . ويؤيد كونيج (ص ٣٦٦، الهامش الأول) كلام فيلپي في هذا الصدد .

فالصيغة التي بالكاف هي الصيغة الكنعانية القديمة لضمير المتكلم، كما يقول باور — لياندر (ص ٢٤٩، السطر الثاني) . وترد الصيغة التي بالكاف في لغات كنعانية أخرى عدا العبرية والأوجاريتية، فهي ترد في الفينيقية (أن ك، وقليلاً أن ك ي)، والبونية (أن ك ي عادة، وأن ك قليلاً)؛ انظر هاريس ١ ، ص ٤٧ (حيث يقول إن (أنك) قد تمثل نطقاً كالنطق العبري أي بكسرة طويلة في الآخر، وإن (أنكي) تمثل اتجاهاً متأخراً للتعبير عن الحركات الطويلة بحروف اللين) . وترد (أنك) أيضاً في نقش ميشع المؤابي (السطر الأول)، ولكن لما كان هذا النقش يعبر عن الحركات الطويلة في أواخر الكلم بحروف اللين فإن خلوّ صيغة الضمير من الياء دليل على أن المؤابية كانت تنطق الضمير خالياً من الكسرة الطويلة في الآخر. وترد a – nu – ki (أ ـ نُ ـ كِ) في إحدى رسائل تل العمارنة (رقم ٢٨٧ ، س ٦٦ و ٩٩ ، من طبعة كنوتسون J. A. Knudtzon) (١) ، وهي صيغة دخيلة من الكنعانية، تمثل u فيها الحركة ō في الصيغة العبرية؛ انظر بول، ص ٢٥ (d – e) . ونجد (أنك) في نقش هـَدَد (س ١) و(أنكي) في نقش پنموَ (س ١٩)، وهما نقشان أراميان متأثران بالكنعانية؛ انظر جنزبرج H. L. Ginsberg (Aramaic Dialect Problems؛ بمجلة AJSL ، المجلد ٥٠ (١٩٣٣)، ص ١ — ٢) . وقد سبق أن ذكرنا أن صيغة الضمير في اللغات الأرامية مماثلة لصيغته في العربية (أنا)؛ فصيغتا الضمير في هذين النقشين الأراميين تدلان على تأثر بالكنعانية .

فالأكدية والكنعانية تشتركان إذن في استعمال الصيغة التي بالكاف لضمير المتكلم، ولكن الكاف في الأكدية محركة بضمة (طويلة) بينما هي محركة بكسرة طويلة في العبرية . والضمة الطويلة هي الأصل في رأي جمهرة المستشرقين؛ وقد صارت كسرة طويلة على سبيل المخالفة للحركة ō السابقة

---

(١) ولكن فيما عدا هذا ترد في رسائل تل العمارنة الصيغة الأكدية القديمة أناكُ .

(كما يقول بارت ٣، ص ٤، الفقرة ٢)، أو بتأثير ضمير المتكلم المتصل المجرور (كتابي) أو المنصوب (ضربني) كما يقول كثير من المستشرقين مثل بروكلمان ٢ (حـ ١، ص ٢٩٨، س ١٢ – ١٣) ومثـل باور – ليباندر (ص ٢٤٨). ويرى شتاده (ص ١٣٥) أن تحوّل الضمة الطويلة إلى كسرة طويلة ربما كان بتأثير الصيغة الأخرى لضمير المتكلم في العبرية أي أَني، وهو رأي يميل كونيج (ص ٣٦٦، الهامش الأول) إلى تأييده، كما يقبله بارت الى جانب رأيه الخاص الذي أشرنا إليه؛ ولكننا رأينا فيما مضى أن أَنُوكِي أقدم من أَني، فلا يحتمل أن تكون قد وقعت تحت تأثيرها.

ولنأت الآن إلى الصيغة المتأخرة أَني (١)، فنقول إن كثيراً من المستشرقين (مثل بروكلمان ٢، حـ ١ ص ٢٩٨، س ٢٢ – ٢٤؛ وباور – ليباندر ص ٢٤٨) يرون أنها كانت في الأصل أَنا كما في العربية والأرامية، ثم قلبت فتحتها الطويلة كسرة طويلة بتأثير ضمير المتكلم المتصل المجرور أو المنصوب. ولكن يرى بارت ٣ (ص ٤، الفقرة d وهامش ٦) في الكسرة الطويلة عنصراً إشارياً مستقلاً أصله يَ، ويحلّـل الضمير تبعاً لذلك إلى (أَنْ) متبوعة بـ (يَ) (٢).

ونحن نلاحظ أن هذا التحليل يتناقض وتحليل بارت نفسه (إلى جانب آخرين) للضمير أنا إلى أَنْ متبوعة بـ (أَ)، وذلك أن (أَ) هنا هي في رأيه ضمير المتكلم المتصل بالمضارع (أفعل)، بينما أن (يَ) هناك ليست كذلك.

---

(١) لها نظائر في بعض اللهجات العربية الحديثة؛ انظر بروكلمان ٢ (حـ ١ ص ٢٩٧ أسفل)، وبارت ٣ (ص ٤ أسفل – ٥ أعلى).

(٢) كان هذا أيضاً رأي فيلبي (ZDMG، المجلد ٢٩ (١٨٧٥)، ص ١٧٢)، ولكنه عدل عنه بعد ذلك (في مقال له بمجلة BA، المجلد الثاني (١٨٩٤)، ص ٣٦٩)، وصار يرى أن أَني صيغة متأخرة تطورت عن أنا بتأثير ضمير المتكلم المتصل بالفعل الماضي في العبرية (تي)، وبتأثير ضمير المتكلم المتصل المجرور وضمير المتكلم المتصل المنصوب.

وقد أحسّ بارت بهذا الضعف في رأيه، فقال ٣ (ص ٤، هامش ٦) إن وجود (يَ) في تلك الصيغة من ضمير المتكلم يدل على أنها استعملت فيما قبل التاريخ(!) للإشارة إلى المتكلم .

فبارت يفترض صحة تحليله للضمير أَني، ثم يستنتج منه أن العنصر الثاني في بنية الضمير، أي (يَ)، يدل في الأصل على المتكلم، ما دام العنصر الثاني في الضمير أنا، أي (أَ) في رأيه، يدل على المتكلم . فهذا كله استنتاج قائم على فرض لم يثبت .

هذا إلى أنه يمكن الاستدلال بطريقة مخالفة، فنقول إنه ما دامت (يَ) في واقع اللغة لا تدل على المتكلم فلا يلزم أن يكون العنصر الثاني في أنا (حسب تحليل بارت) ضميراً للمتكلم .

ونحن نسلّم بأن هذا احتجاج شكلي، ولكنه مع هذا يدل على ما في تحليل بارت للضمير أنا من ضعف . فيصح أن يُضاف هذا الى المآخذ التي أوردناها فيما مضى ضدّ هذا الرأي .

ولنتساءل الآن : لماذا نفترض مثل بارت أن (ي) في أَني كانت ضميراً للمتكلم فيما قبل التاريخ، ولا نحاول البحث في هذه الصيغة عن عنصر آخر يدل في واقع اللغة على ضمير المتكلم؟ هل يمكن أن تكون الهمزة في صدر الصيغة هي ضمير المتكلم المتصل بالفعل المضارع؟ نعم . فلنقسّم أَني إذن إلى الضمير أَ + ني، كما قسمنا أنا إلى أَ + نا . و(ني) نهاية إشارية مثل (نا) وإن كانت اقل استعمالاً، فهي ترد مثلاً في aganni (بجانب aganna) «هنا» في بعض الرسائل البابلية والأشورية؛ وهي تضاف في الحبشية إلى آخر الكلمة بمثابة لاحقة enclitic فتؤدي معنى «كذلك»؛ وقد مرّ بنا استعمالها في هَنَـي بمعنى هُنا .

فنحن نقترح إذن تحليل أَني إلى الضمير أَ متبوعاً بالنهاية الإشارية ني كما حللنا أنا إلى الضمير أَ متبوعاً بالنهاية الإشارية نا . ولما كانت النهاية الإشارية ني مستقلة عن النهاية الإشارية نا كما رأينا ، فلا حاجة إلى تعليل الكسرة الطويلة في أَني بأنها منقلبة عن فتحة طويلة بتأثير ضمير المتكلم المجرور أو المنصوب .

. . .

والخلاصة أن اللغات السامية تستعمل ثلاث صيغ لضمير المتكلم :

١) أقدمها الصيغة أنا (التي نجدها في العربية والأرامية ، كما نجدها مقصّرة في الحبشية) . وهي مكونة من الضمير أَ (المتصل بالمضارع) + النهاية الإشارية نا ، لا من الأداة الإشارية أنْ + الضمير أَ كما يعتقد جمهرة المستشرقين .

٢) ثم الصيغة أَناكُ (في الأكدية والكنعانية) ، وقد نشأت عن الصيغة السابقة بأن أُضيف اليها ضمير المتكلم المتصل بالفعل الماضي : أنا + كُ .

٣) ثم الصيغة المتأخرة أَني (التي نجدهـا في العبرية والأوجاريتية وبعض اللهجات العربية الحديثة) وهي مكونة من الضمير أَ (المتصل بالمضارع) + النهاية الإشارية ني ، لا من أَن + يَ ، كما أنها ليست منقلبة عن أنا بتحويل الفتحة الطويلة إلى كسرة طويلة .

٤) إنّ وأنّ ولكنّ

(أ) إنّ :

هي اسم صوت (interjection) مركب من إنْ + نَ . وإنْ هذه اسم صوت بسيط مكون من عنصرين إشاريين هما الهمزة (مكسورة) والنون، أُضيفت إليهما نون إشارية أخرى على سبيل التقوية والتأكيد .

ولإنّ نظائر كثيرة في اللغات السامية، منها hinnē (هِنّى، بإمالة طويلة في الآخر) «انظر!» (behold) في العبرية . وهذه الأداة العبرية مركبة أيضاً لا بسيطة فهي hin (هِنْ) + nẹ (ني ، بإمالة طويلة) .

والمعنى الفعلي المتعدي «انظر» الذي تؤديه هِنّى العبرية متطور عن المعنى الإشاري «هذا» أو «ذلك» الذي كان لهــا في الأصل . وذلك المعنى الفعلي هو السبب في أن هِنّى قد تنصب الاسم أو الضمير بعدها عــلى المفعولية ، كما في سفر التكوين ٢٢ : ٧ (wayyōmer hinnẹ hā'ẹš wᵉhā'ẹṣīm (وَيُّومِر هِنّى ها إيش وها عِصِيم) «فقال ها هي النار و(ها هو) الحطب»، وكما في السفر نفسه ٢٢ : ١ (wayyōmer 'ẹlāu 'abrāhām wayyōmer hınnẹnī (وَيُّومِر إلاوْ أبْراهام وَيُّومِر هِنّينِي) «فقال له يا إبراهيم فقال هأنذا» . ففي هذين المثالين استعملت الأداة مع مفرد نصب بها على المفعولية : في المثال الأول نصبت (ها إيش) «النار» وإن لم تظهر علامة النصب لأن حركات الإعراب زالت في العبرية، وفي المثال الثاني نصبت ضمير المتكلم بدليل نون الوقاية قبله nī (ني) . وقد تستعمل الأداة أيضاً مع جملة اسمية أو فعلية . مثال الاسميــة السفر نفسه ٢٨ : ١٥ (wᵉhinnẹ 'ānokī 'immāk) (وهِنّى

أَنُوكِي عِمّاك) «وها أنا معكَ» . والأداة هنا لا تعمل في الضمير (أَنوكي) الذي تبتدىء به الجملة الاسمية، إذ هو ضمير رفع منفصل، ولكنها تعمل في ضمير الغائبين في السفر نفسه ٤٠ : ٦ wayyar ʾotām wᵉhinnām zoʿăfīm (وَيَّر أُوتام وهِنّام زوعَفِيم) «ورآهما فإذا هما مغتمّان»(١) . ومثال دخولها على الجملة الفعلية نفس السفر ١٢ : ١١ (hinnē-nā yādaʿtī kī ʾiššā yᵉfat marʾē ʾātt) (هِنّي-نا يَدَعْتِي كِي إِشّا يفَت مَرْئي آتّ) «إني أعلم أنك امرأة جميلة المنظر» .

ومن هذه الأمثلة يصح لنا أن نستنتج أن الأداة العبرية كانت تستعمل في أول الأمر مع المفرد، فتنصبه على المفعولية بما فيها من معنى الفعل المتعدي «انظر»؛ ثم صارت تستعمل أيضاً مع الجملة الاسمية ناصبة «المبتدأ» فيها، وفي هذه الحالة يكون هـذا «المبتدأ» مفعولاً به ويكون الخـبر خبرا لمبتدأ محذوف، فتقدير آية سفر التكوين ٤٠ : ٦ هو : ... wᵉhinnām (hem) zoʿăfīm [... وهِنّام (هِم) زُوعَفِيم] «وانظرهما ! (هما) مغتمان» .

والمرحلة الثالثة من تطور استعمال الأداة دخولها على الجملة الاسمية دون أن ينصب المبتدأ، ودخولها على الجملة الفعلية؛ وفي كلتا الحالين يكون المعنى الإشاري في الأداة منصباً على الجملة بأسرها لا على أحد جزئيها .

ومما يؤيد ما نزعمه من معنى الفعل في الأداة العبرية في بعض استعمالاتها أنه قد تدخل عليها نون التوكيد (الخفيفة) متوسطة بينها وبين ضمير النصب في الأحوال الآتية : hinnennī (هِنّنّي) «انظرني !»، «هأنذا»؛

---

(١) يرى إڤالد (في كتابه المذكور في قائمة المراجع ، ص ٦٥٠) أن لهذه الأداة في نفسها القدرة على نصب الاسم (أو الضمير) الذي تشير إليه . ويرى هذا أيضاً مع بعض التحفظ جزنيوس – كاوتش (ص ٤٦٩ ولا سيما الهامشين الثاني والثالث) .

hinnekkā (هِنَّكَّا) « ها أنت ذا »؛ hinnennū (هِنَّنُّو) « ها نحن ذا » .
وغنيّ عن القول أن نون التوكيد مختصة بالدخول على الأفعال .

هذا المعنى الفعلي هو أيضاً السبب في نصب اسم إنّ العربية . فقولنا إن زيداً قائم تقديره : إنّ (= انظر) زيداً ! (هو) قائم . فقائم ليس في الواقع خبراً لزيد ، فإن زيداً مفعول به لإنّ ، ولكنه خبر لضمير محذوف تقديره (هو) . وهذا يفسر السبب في خروج اسم إنّ على القاعدة التي بسطها أستاذنا المرحوم إبراهيم مصطفى في كتابه المبتكر « إحياء النحو » (القاهرة ١٩٣٧)، من أن الرفع علم الإسناد(١) .

ويتفق الكوفيون والبصريون على أن اسم إنّ (وأخواتها) منصوب بهذه الأدوات التي « فيها معنى الفعل »(٢)، فإنّ وأنّ بمعنى حقّقتُ، (وكأن بمعنى شبّهت، ولكن بمعنى استدركت، وليت بمعنى تمنيت، ولعل بمعنى ترجّيت) . ولكن يختلف الكوفيون والبصريون بعد ذلك في سبب رفع الخبر . فيقول البصريون « إن الفعل يكون له مرفوع ومنصوب فكذلك هذه الأحرف ينبغي أن يكون لها مرفوع ومنصوب، ليكون المرفوع مشبهاً بالفاعل، والمنصوب مشبّهاً بالمفعول » . ويقولون إن الفرق الوحيد بين هذه الأدوات والأفعال الحقيقية هو أن المفعول يتقدم على الفاعل مع هذه الأدوات، بينما يتقدم الفاعل على المفعول بطبيعة الحال مع الأفعال الحقيقية . أما الكوفيون فيقولون إن الخبر مرفوع لأنه كان كذلك قبل

---

(١) يرى ركندروف ١ (ص ٣٥٤ أسفل – ٣٥٦) أن إن (وأن) كانتا تلفتان نظر السامع إلى مبتدأ الجملة الاسمية بعدها، ولكن بمرور الزمن حلت محل العلاقة الخاصة بين إن أو أن والمبتدأ علاقة أوسع بين إن أو أن والجملة الاسمية بأسرها فلم يعد التأكيد منصباً على المبتدأ، وإن ظل منصوباً، ولكن على الجملة الاسمية كلها .

ويدل النحاة العرب على هذه الوظيفة المتأخرة لإن وأن بقولهم إنهما تؤكدان مضمون الجملة وتحققانه .

(٢) يقول نولدكه أيضاً ٥ (ص ٤٠، الهامش الثاني) إن (إن) قريبة في المعنى من الفعل .

دخول هذه الأدوات . وهذا الرأي ليس شديد البعد عن رأينا الذي بنينا عليه قولنا إن (قائم) في إن زيداً قائم هي في الواقع خبر لمبتدأ محذوف تقديره هو، وإن التقدير : انظر زيداً ! (هو) قائم . وانظر في هذا الخلاف بين البصريين والكوفيين ابن الأنباري (ص ٨١ أسفل — ٨٤)، وابن يعيش (حـ ١، ص ١٠٢) .

وقد تستعمل إنّ بمعنى نعم كما في بيت عبيد الله بن قيس الرقيات :

ويقُلْنَ شيبٌ قد علا ك وقد كبرتَ فقلتُ إنّهْ

ويرجع ابن يعيش (حـ ٨، ص ٧٨ و١٢٤ — ١٢٥) هذا الاستعمال إلى الوظيفة الأصلية لإنّ من تأكيد مضمون الجملة الاسمية، وذلك حيث يقول : «وإنما خرجت إنّ إلى معنى أجل لأنها تحقيق معنى الكلام الذي تدخل عليه في قولك إن زيداً راكب، فلما كانت تحقق هذا المعنى خرجت إلى تحقيق معنى الكلام الذي يتكلم به المخاطِبُ القائلَ (يعني قائل إنّ) كما كانت تحقق معنى كلام المتكلم، فصارت تارة تحقق كلام المتكلم، وتارة تحقق معنى كلام غيره» . وهو يقول إن هاء إنّه في هذا البيت هي هاء السكت، لا ضمير متصل، لأنها لو كانت للإضمار لثبتت في الوصل كما تثبت في الوقف . ويمثل ابن يعيش (حـ ٢، ص ١٠٣) لإنّ هذه في الوصل بقول عبدالله بن الزُّبير «إنّ وراكبها» رداً على قول عبدالله بن زَبير له «فلعن الله ناقة حملتني إليك» (١) .

وانظر أيضا عن إنّ أو إنّه التي بمعنى أجل ابن هشام (حـ ١، ص ٣٦) وركندورف ٢ (الفقرة ٦٥ : ٢)، وبروكلمان ٢ (حـ ٢، الفقرة 10, d, γ) .

---

(١) يرى فليشر (ص ٤٢٥ آخر سطر — ٤٢٦، السطور الثلاثة الأولى) أن الأفضل في إن التي بمعنى أجل أن تفسر بأنها إن المؤكدة العادية محذوفاً بعدها المبتدأ أو الخبر .

قلنا إن (إنّ) مركبة من إنْ + نَ . وإنْ هذه إشارية أيضاً بمعنى «انظر»، ولكنها بطبيعة الحال دون إنّ في قوة الإشارة . وهي التي يسميها النحاة العرب إن المخففة من الثقيلة؛ والأولى أن توصف إنّ بأنها «المثقّلة من الخفيفة»، لأن الخفيفة هي الأصل .

وإنْ لا تغيّر عادة إعراب المبتدأ في الجملة الاسمية بعدها، فيقال إنْ زيد لذاهب . ولكن يقول سيبويه(١) إنّ (إنْ) تنصب «المبتدأ» في لغة أهل المدينة وبعض العرب، فيقال إنْ زيداً لذاهب «انظر زيداً ! (هو) ذاهب» . والسبب في أن (إنْ) لا تنصب عادة كإنّ أنّ قوتها الإشارية (وهي كما قلنا أضعف من القوة الإشارية في إنّ) لم تبلغ بها مرتبة الفعل الإشاري «انظر» .

وإنْ هذه لها نظائر عدة في سائر اللغـــات السامية منها -ʾen (إنْ) (بإمالة الهمزة إمالة قصيرة جداً) «ها» في صدر ʾenkᵉmū (إنْكمُو) «هاكُم ، خُذُوا» في الحبشية؛ انظر دلمان ٢ ، العمود ٧٧١ . ومن نظائر إنْ أيضاً hen (هين) في عبرية التوراة، ومعناها أيضاً «انظر» ولكنها أقل استعمالاً من الأداة المركبة hinnē̄ (هِنّي)؛ وقد وردت كذلك بمعنى «نعم» في حالة أشار إليها جزنيوس — بول (ص ١٨٥، العمود الأول) وذلك في سفر التكوين ٣٠ : ٣٤ wayyōmer lāḇān hen lū yᵉhī kidᵉḇārekā (وَيُّومِر لابان هين لُو يهِي كِدباريكا) «فقال لابانُ نعم ليكن بحسب كلامك»(٢) .

---

(١) حـ ١ ص ٢٨٣ . وانظر ابن الأنباري، ص ٨٨ — ٩١ .

(٢) فسر الآية على هذا النحو أيضاً دلمان ٣، ص ٣٢٨ . وهذا المعنى يوافق السياق (انظر الآية ٣٢)، ويؤيده أن نبرة (هين) أتناح أي نبرة فاصلة كبرى؛ ولو كانت (هين) بمعنى «انظر» لمالت إلى النصب ولم يمكن الوقوف عليها .

على أن (هين) تعني عادة « نعم » في عبرية المشنا(١) . وهذا هو أيضاً معنى ʼēn (إين) (بإمالة الهمزة إمالة طويلة) في السريانية (٢) والأرامية الفلسطينية المسيحية، و ʼīn (إين) (بكسر الهمزة كسرة طويلة) في الأرامية الفلسطينية اليهودية والتلمود البابلي .

هذا المعنى « نعم » الذي استعملت فيه أيضاً إنّ العربية تطوّر عن المعنى الإشاري «هذا» . وفي هذا يقول فنكلر H. Winckler (٣) : «إذا أراد البابلي أو الشرقي أن يقول « نعم » و« لا » خفض رأسه إلى الأمام أو الخلف وقال تبعاً لذلك annā (أنّا) « هذا » = « نعم » و ullā (أُلاّ) « ذلك » = « لا » . »

. . .

وإذا ألحقنا (ما) بإنّ كفّتها عن العمل(٤)، كما في قوله تعالى (البقرة١١): « وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون » . و(إنما) هنا تؤكد مضمون الجملة الاسمية بعدها أكثر مما تؤكده إنّ . وقد تكون إنما حرف حصر كما في قوله تعالى (التوبة ٦٠) : « إنما الصدقات للفقراء والمساكين » . ويختلف النحاة العرب في معنى التوكيد ومعنى الحصر أيهما

---

(١) انظر زاخس H. Sachs في كتابه Die Partikeln der Mischna (كدشهاين ١٨٩٧) الفقرة ٤٣ .

(٢) ʼīn (إين) (بكسر الهمزة كسرة طويلة) في السريانية الغربية . ويرى بروكلمان في كتابه : ٢ (حـ ١، ص ١١٢ – ١١٣) و ٣ (الفقرة ٧٩؛ الملاحظة) أن الحركة الطويلة في ʼēn (إين) (بإمالة الهمزة إمالة طويلة) السريانية ترجع في الأصل إلى تأثير الوقف . وهذا أيضاً هو رأي شلتس F. Schulthess بصدد (إين) في الأرامية الفلسطينية المسيحية، وذلك في كتابه: Grammatik des christlich-palästinischen Aramäisch (توبنجن ١٩٢٤) الفقرة ٢٩ :٣ . ويرى كلاهما أن الصيغة الأصلية هي ʼin (إن) .

(٣) Altorientalische Forschungen السلسلة الثالثة، ص ٤٢٧ أسفل .

(٤) يقول ابن عقيل (حـ ١، ص ٣٢٠) إن نصب « المبتدأ » بعد إنما، الذي حكاه الأخفش والكسائي استعمال شاذ .

أسبق؛ انظر لين، ص ١٠، عمود ب — ج . والظاهر أن المعنى الثاني متطور عن الأول؛ انظر فليشر، ص ٥٠٦ — ٥٠٨ . وفي هذا يقول ابن يعيش (ج ٨، ص ٥٦) : « إنّ (ما) زادت إنّ تأكيداً على تأكيدها فصار فيها معنى الحصر » .

وقد تدخل إنما، دون إنّ، على الجمل الفعلية، كما في قوله تعالى (الممتحنة ٩) : « إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين.. أن تولّوْهم » .

والسبب في أن (ما) تكفّ إنّ عن العمل وتهيئها للدخول على الجمل الفعلية هو أن القوة الإشارية في إنّ تنصبّ كلها على ما، فتكون الجملة بعدها كأنها بدل منها . وهنا يستوي أن تكون اسمية وفعلية، فإذا كانت اسمية ظلّ مبتدؤها بطبيعة الحال على حالة الرفع : إنما زيد قائم = انظر هذا : زيد قائم؛ إنما يقوم زيد = انظر هذا : يقوم زيد . وما هذه، كما هو واضح، إشارية أضيفت لتزيد القوة الإشارية في إنّ . ويسميها النحاة العرب زائدة، وهي تسمية صحيحة من ناحية الشكل، فما زائدة حقاً، ولكنها تسمية لا تتناول الموضوع .

و(ما) في إنما عنصر إشاري بسيط . وهي ليست ما الموصولة كما يزعم ركندورف(١) . ولا ريب في أن ما الموصولة إشارية في الأصل، ولكنها الآن ذات وظيفة خاصة محدّدة؛ ومثلها في هذا ما الاستفهامية . أمّا (ما) في إنما فلا تزال عنصراً إشارياً بسيطاً .

---

(١) في كتابيه ١ (ص ٧٢٣، الهامش الأول) و ٢ (الفقرة ٦٥ : ٧ في الصدر) . وهو يفسر « إنما جاء أنا » هكذا : إن ما (الذي) جاء (هو) أنا .

(ب) أنّ :

اسم صوت كإنّ، وهي مركبة من أنْ + نَ(١) . وأنْ هذه اسم صوت بسيط مكون من عنصرين إشاريين هما الهمزة (مفتوحة) والنون، أضيفت إليهما نون إشارية أخرى على سبيل التقوية والتأكيد .

ومعنى أنّ في الأصل كمعنى إنّ، أي انظر، ومن ثم نصبت «المبتدأ» في الجملة الاسمية بعدها (٢) . فقولنا أعلم أن زيداً قادم = أعلم : انظر زيداً ! (هو) قادم . فكانت أنّ في الأصل تلفت نظر السامع إلى زيد، ولكنها أخذت فيما بعد تشير إلى الجملة كلها : أعلم هذا : زيد قادم (وإن ظلت «زيداً» على النصب) .

. . .

وأنْ الداخلة في تركيب أنّ تستعمل ثلاثة استعمالات في العربية . فهي قد تكون مصدرية، وعندئذ يليها فعل دائماً، ماض مثل بلغني أن جاء زيد، أو مضارع منصوب (٣) مثل أريد أن تفعل .

وقد تكون أنْ «مخففة من الثقيلة» (وإن كان الأَوْلى هنا أيضاً أن يقال «أنّ المثقلة من الخفيفة») . وأنْ هذه تأتي بعدها جملة اسمية كأنّ، ولكن الاسم هنا ضمير الشأن واجب الحذف، كقوله تعالى (طه ٨٩):

---

(١) فيلپي : Wesen und Ursprung des Status constructus im Hebräischen (ڤيمار ١٨٧١) ، ص ١٨٧ .

(٢) لا يرجع نولدكه ٥ (ص ٤٠ ، الهامش الثاني) وبارت ٣ (ص ١٠٢ ، الهامش الثاني) عمل النصب في أن إلى طبيعتها نفسها ولكن إلى قياسها على إن .

(٣) انظر فيما شذ عن ذلك لين، ص ١٠٤، عمود ب — ح .

« أفلا يروْن ألاّ يرجعُ اليهم قولا » أي أنه لا يرجعُ . ونادراً ما تعمل أنْ « المخففة » في غير ضمير الشأن، ولا يستحسن سيبويه ذلك(١) .

وقد تتقدم أنْ القول كقوله تعالى (مريم ١١) : « فأوحى إليهم أن سبحوا بكرة وعشيا » . والفعل الذي يسبق أنْ هذه يجب أن يكون فيه معنى القول كأوحى ونادى؛ ولا يكون فعل القول نفسه، وإلا لجاء بعده إنّ لا أنْ . انظر ابن يعيش (حـ ٨ ص ١٤٢، س ٢ — ٣)، وابن هشام (حـ ١، ص ٣١ — ٣٢) . وهذه أنْ المفسرة .

وأنْ في هذه الاستعمالات الثلاثة إشارية(٢) . فبلغني أن جاء زيد (حيث أن مصدرية)= بلغنى هذا : جاء زيد . وأريد أن تفعل (حيث أن مصدرية أيضاً) = أريد هذا : تفعل . وأفلا يرون ألا يرجع إليهم قولا (حيث أن « مخففة من الثقيلة ») = أفلا يرون هذا : لا يرجع إليهم قولا . وقوله تعالى : فأوحى إليهم أن سبحوا بكرة وعشيا (حيث أنْ مفسرة) = فأوحى إليهم هذا : سبحوا بكرة وعشيا .

---

(١) انظر ابن يعيش (حـ ٨، ص ٧٣، س ٢) . ويزعم البصريون اعتماداً على هذه الحالات النادرة أن (أن) « المخففة » تعمل ، وهو ما يخالفهم فيه الكوفيون (انظر ابن الأنباري، ص ٨٨ — ٩١) .

(٢) يرى پريشون Perruchon (Les particules arabes أنْ ، أنّ 'que', et le démon. assyr. 'annu' ، بمجلة ZA ، المجلد الرابع، ص ١٨٥ — ١٨٨) أن اسم الإشارة annu (أنُّ) «هذا» في الأكدية قد يكون الأصل في حرف الوصل أنْ أو أنّ، وأن هذا الحرف لا بد أنه كان في الأصل اسم إشارة . وهو يبني رأيه هذا على أنه في معظم اللغات تتفق صيغة حرف الوصل الذي بمعنى أنّ والذي يتقدم الجملة الفرعية مع صيغة اسم إشارة او اسم موصول في اللغة الواحدة تمام الاتفاق . وهو يقول إن هذا الاتفاق التام في الصيغة يرجع إلى ان الجملة الفرعية كانت في الأصل جملة أساسية يتقدمها اسم إشارة .

وپريشون محق في قوله إنه لا بد أن (أنْ) أو (أنّ) كانت في الأصل اسم إشارة . ولكن لا يلزم أن الأصل فيها (أنُّ) الأكدية، والأولى أن يقال إن الصيغ الثلاث كلها من عناصر إشارية واحدة .

ونصب المضارع بعد أن المصدرية ليس مرجعه إليها فهي إشارية خالصة، ولكن إلى أن الفعل يدل على غرض . فالمضارع المنصوب، كما يقول ركندورف ١ (الفصل ٣٤)، غائي (der modus finalis) . وهو دائماً مسبوق بحروف وصل conjunctions ، أي أنه يكوّن دائماً جملة فرعية subordinate clause . فالمضارع المنصوب يعبّر إذن عن غرض لفاعل الجملة الأساسية principal clause ؛ ولما كان يدل على غرض، فهو يشير إلى الاستقبال. انظر تفصيل ذلك وأمثلته في كتاب ركندورف ٢ (الفصل ٢٧) .

وإذا ألحقنا (ما) بأنّ كفّتها عن العمل، وهيأتها للدخول أيضاً على الجملة الفعلية . وما هذه، التي يسميها العرب زائدة كافة، هي مثل (ما) في (إنما) عنصر إشاري بسيط . وهي في «أعلم أنما زيد قادم» (حيث أنّ مكفوفة) وفي «أعلم أنما يقوم زيد» (حيث دخلت أنّ على جملة فعلية) معمولة لأنّ في محل نصب بها، والجملة بعدها بدل منها في محل نصب . ويقول ابن يعيش (حـ ٨، ص ٥٧) إنه يجوز أن تكون ما زائدة مؤكدة، فلا تكفّ أنّ عن العمل، فيقال «أعلم أنما زيداً قادم» . وهنا نقول إن ما معمولة لأنّ في محل نصب بها، وزيداً بدل من ما منصوب، وقادم خبر لمبتدأ محذوف تقديره هو .

(جـ) لكنّ :

لكنّ، كسائر أخوات إنّ، تنصب الاسم وترفع الخبر؛ فإذا «خُففت» أو بمعنى أصحّ رُدّت إلى صيغتها البسيطة الأولى (لكنْ) لم تعمل (خلافاً للأخفش ويونس) (١) وأمكنها الدخول على الجملة الفعلية .

---

(١) ابن هشام، حـ ١، ص ٢٩٢ .

ولكنْ هذه تقابل lāḵen (لاكن) (بنطق الكاف رخوة كالخاء وإمالة حركتها في العبرية)(١) . وهذه الأداة العبرية تعني عادة «لذلك» كمثيلتها (ل ك ن) في الفينيقية .

ويرى هاوپت P. Haupt (٢) أن lāḵen العبرية «لذلك» مركبة من لام الجر (مفتوحة فتحة طويلة) والظرف العبري ken (كن) (بإمالة الكاف) «كذلك» . ولكن يمكن أن نفترض أن العنصر الأول (لا) إشاري أو مؤكد . والتطور من معنى «كذلك» (الذي تدل عليه كن) إلى معنى «لذلك» (الذي تدل عليه لاكن) يجـــد له مثيلاً في (so) الإنجليزية، فلا حاجة إلى لام الجر لتحقيق معنى «لذلك» .

وقياساً على هذا نحلّل لكنْ العربية إلى (لا) الإشارية أو المؤكدة + كِنْ «كذلك»/(وإن كان هذا العنصر الثاني لا يرد كلمة مستقلة في العربية) فيكون معنى الأداة بعنصريها معاً «حقّاً كذلك» . فكيف نفسّر التطور من هذا المعنى إلى معنى الاستدراك الذي تدل عليه لكن العربية ؟ الجواب أن التأكيد ينطوي على التفرقة والتمييز، فتأكيد ما بعد (لكن) يستتبع تمييزه عما قبله . فقوله تعالى (البقرة ١٧٧) : «ليس البرَّ أن تُولُّوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البرّ من آمن بالله» معناه : «ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب، والحق خلاف ذلك وهو أن البر من آمن بالله» . وقوله تعالى (البقرة ١٢) : «ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون» معناه : «ألا إنهم هم المفسدون، والحق أنهم لا يشعرون» .

---

(١) بارت ٣، الفقرة 24d .

(٢) Micah's Capucinade بمجلة JBL، المجلد ٢٩، الجزء Part الثاني، ص ١٠٤، هامش ٦١ . ويتابعه في هذا التحليل إيتان I. Eitan: Hebrew and Semitic Particles، بمجلة AJSL المجلد ٤٥ (١٩٢٩)، ص ١٩٨ — ٢٠٠ .

هذا التطور من معنى التأكيد إلى معنى الاستدراك يؤيده ما يقوله بعض النحويين(١) من أن لكن للاستدراك تارة وللتأكيد تارة أخرى، وما يقوله فريق آخر من النحويين من أن لكن، مثل إنّ، مؤكدة فقط وأن معنى الاستدراك ليس إلا مصاحباً لمعنى التأكيد .

ويقول الفرّاء(٢) إن لكنّ مكونة من لكنْ + أنّ . وهذا التحليل يتمشى وما نعرفه من أن لكنّ، دون لكنْ، تنصب الاسم بعدها؛ فيظهر أن قوة النصب في لكنّ ترجع إلى أنّ المضمّنة فيها . ولما كانت أنّ مختصة بالدخول على الجمل الاسمية، اختصت لكنّ بالدخول على الجمل الاسمية . أما لكنْ المخففة فخلوّها من (أنّ) يتيح لها الدخول على الجمل الفعلية فضلاً عن الجمل الاسمية .

والخلاصة أن لكنّ مكونة، كما يقول الفراء، من لكنْ + أنّ؛ وأن (لكنْ) العربية تقابل (لاكن) العبرية، وأن كلا من هاتين الأداتين مكوّنة من (لا) إشارية أو مؤكدة + كِنْ «كذلك» (تصير ken في العبرية) .

و(كن) هذه مكونة من كاف التشبيه ونون إشارية بمعنى هذا أو ذلك فمعناها الأصلي هو «مثل هذا» أو «مثل ذلك» . ولها نظائر عدة في سائر اللغات السامية، نذكر منها على سبيل المثال (ك ن) «هكذا» في النقوش العربية الجنوبية القديمة (كما في نقش جلازر السبئى ١٣٧٩، س ٤) و(كن) (بإمالة الكاف كما في العبرية) «كما يلي» في أرامية العهد القديم والأرامية المصرية .

. . .

---

(١) ابن هشام، حـ١، ص ٢٩٠ – ٢٩١ .

(٢) ابن هشام، حـ١، ص ٢٩١ .

وإذا ألحقنا (ما) بلكنّ كفّتها عن العمل، وهيأتها للدخول أيضاً على الجملة الفعلية . ولكنّ، كما رأينا، مكونة من لكنْ + أنّ، ف (ما) ملحقة في الواقع بأنّ؛ ولهذا يصدق هنا ما قلناه عن أنما .

٥) أَمْ

تربط جمهرة علماء اللغات السامية أمْ بمثل ʾim (إمْ) العبرية و ʾemaʿ (إمَ) الحبشية(١)، وهما صيغتان لحرف الشرط تنتهيان بالميم وتقابلان طائفة أخرى من صيغ حرف الشرط تنتهي بالنون كإن العربية و ʾen (إن) (بإمالة الهمزة) في السريانية . ففي العربية على رأيهم صيغتان لحرف الشرط : صيغة نونية هي إن، وأخرى ميمية تطورت دلالتها هي أمْ .

أما النحاة العرب(٢) فهم يعدّون أم حرف عطف يتضمن معنى الاستفهام وهم يميزون فيها بين ضربين: متصلة، أي متصل ما بعدها بما قبلها، ومنقطعة، أي منقطع ما بعدها مما قبلها . فالمتصلة تعادل همزة الاستفهام وتستعمل حين يكون السائل عالماً بوقوع أحد أمرين ويريد بسؤاله تعيينه، ولا يكون بعدها جملة من مبتدأ أو خبر، نحو قولك : أزيد عندك أم عمرو ؟ فأم هنا معادلة للهمزة قبلها، والسائل يعرف أن أحد اثنين هما زيد وعمرو عندك ويريد منك تعيينه، وليس بعد أم مبتدأ وخبر . فإذا جعلنا عمراً مبتدأ بأن أتينا بعده بخبر وقلنا : أزيد عندك أم عمرو عندك؟ كانت

---

(١) أو بتشديد الميم ʾemmaʿ (إمّ)، فالنطق الأصلي غير معروف على وجه اليقين . والهمزة محركة بامالة قصيرة جداً، وهذه هي الحركة السادسة في نظام الحركات باللغة الحبشية .

(٢) انظر سيبويه (حـ ١، ص ٤٨٢ – ٤٨٥)، وابن يعيش (حـ ٨، ص ٩٧ – ٩٨)، وابن عقيل (حـ ٢، ص ١٧٩ – ١٨١) .

أم منقطعة، لأنها عندئذٍ تربط بين جملتين مستقلتين . وأم (المنقطعة) هنا مسبوقة باستفهام . وقد يسبق أم المنقطعة خبر مثل : إنها لإبل أم شاء ؟ أي أم هي شاء ؟ وأم المنقطعة تقدَّر ببل والهمزة على معنى : بل أكذا ؟ فقولك إنها لإبل إخبار، وقولك أم شاء استفهام عن ظن وشك عرض بعد الإخبار .

اشترط النحاة العرب في أم المتصلة ألا تكون بعدها جملة اسمية، وذلك لأنه يمكن أن تتلوها جملة فعلية، كقولك : أجاء زيد أم ذهب ؟ فالمتكلم هنا يعلم أن زيداً فعل أحد شيئين هما المجيء والذهاب، ويريد بسؤاله تعيينه . فليس وجه الخلاف بين أم المتصلة وأم المنقطعة أن هذه تربط بين جملتين وتلك بين مفردين كما قد يُتوهم ، فإن أم المتصلة قد تربط بين جملتين فعليتين؛ ولكن وجه الخلاف أن ما بعد أم المنقطعة مستقل عما قبلها، أي أن المتكلم يخبر بشيء أو يستفهم عن شيء، ثم يعرض له شك في صحة ما قال، فيضرب عنه، ويأتي باستفهام جديد يراه أقرب إلى الحق .

فأم المتصلة وأم المنقطعة تتفقان في أنهما عاطفتان مستفهمتان، وتختلفان في أن السائل بالأولى يعلم أن أحد أمرين وقع ويريد منك تعيينه، وأن المستفهم بالثانية يريد أيضاً تعيين أحد أمرين ولكنه يشك في وقوع أحدهما . فمردّ الخلاف بين أم المتصلة وأم المنقطعة إلى نفس السائل لا إلى طبيعة الأداة ذاتها .

هذا ما قاله أو عناه النحاة العرب . وهم يفرّقون أيضاً بين أَمْ وأَوْ في قولك : أزيد عندك أو عمرو ؟ وأزيد عندك أم عمرو ؟ ففي الأولى لا تعلم كون أحدهما عنده فأنت تسأل عنه، وفي الثانية تعلم أن أحدهما عنده، إلا أنك لا تعلمه بعينه، فأنت تطالبه بالتعيين . فالسؤال بأو معناه أأحدهما ؟ وبأم معناه أيهما ؟

فما مردّ هذا الخلاف؟ ما السبب في أنك إذا قلت : أزيد عندك أو عمرو؟ توقعت الجواب بنعم أو لا، ولكن إذا قلت : أزيد عندك أم عمرو؟ توقعت الجواب بزيد أو عمرو؟ إن الفرق بين دلالتي أو وأم يرجع إلى أن أم دون أو تتضمن معنى الاستفهام . فإذا قلت : أزيد عندك أو عمرو؟ تعلق الاستفهام بالجملة كلها كقولك : هل أتيت؟ وكان الجواب بنعم أو لا . ولكن إذا قلت : أزيد عندك أم عمرو؟ كان في الجملة استفهامان يتعلق أحدهما بزيد والثاني بعمرو، وكنت لا تسأل عن كون زيد أو عمرو عنده ولكن عن أيهما عنده .

فأم تختلف عن أو من حيث إنها تتضمن معنى الاستفهام دون أو . ولكنهما بعد ذلك تتفقان في أنهما لتعليق الحكم بأحد المذكورين(١) . ولهذا يمكن القول إن أم هي (أو) مع الاستفهام .

فهل يمكن التوفيق بين هذا المعنى المركب الذي تستعمل فيه أم ومعنى الشرط الذي ترى جمهرة علماء اللغات السامية أنه الأصل في أم كما قلنا في صدر هذا الكلام؟

الجواب نعم . فإن أداة الشرط يمكن أن تصبح أداة استفهام، كما يمكن أن تكتسب معنى «أو» . فنحن نعرف أن حرفي الشرط إمَّ الحبشية وإمْ العبرية قد تتصدران الاستفهام، وإن كان ذلك قليلا(٢) . ونحن نعرف أن أداة الشرط قد ترد في الفينيقية بمعنى «أو» (هاريس ١، ص ٦٤ و٧٨) .

ويؤيد أصالة معنى الشرط في أمْ أن حرف الشرط إمْ في العبرية قد يستعمل استعمال أم العربية كما في يشوع ٥ : ١٣ hălanū ʾatta ʾim

---

(١) هكذا يقول الزمخشري في المفصل، كما يرد في شرح ابن يعيش (حـ ٨، ص ٩٧) .

(٢) دلمان ٢ (عمود ٦٢٦ : C, 1)، وجزنيوس – بول، ص ٤٦، عمود ب، س ٤ – ٩ .

lesārēnū (هَلاَنُو أَتّا إِم لصَارِينُو) « أأنت معنا أم مع أعدائنا ؟ » وكما في سفر الملوك الأول ٢٢ : ١٥ hănelek... 'im-neḥdāl (هَنلك ... إم — نحْدال) « أنذهب ... أم نُحجم ؟ » . ففي كل من هاتين الآيتين نجد إم (كأم العربية) معادلة لهاء الاستفهام (التي تقابل الهمزة في العربية) في الصدر . ونجد هذا التركيب أيضاً في الأرامية الفلسطينية اليهودية ؛ ففي ترجوم أنكلوص hă ... 'im (هـَ ... إمْ)، وفي ترجوم يونـاثان hă ... 'īn (هـَ ... إين) (١)، فأداة الشرط إمْ (في ترجوم أنكلوص كما في العبرية) أو إين (في ترجوم يوناثان) معادلة لهاء الاستفهام في أول الكلام .

ومما هو جدير بالملاحظة أن العبرية لا تستعمل « أو » مكان « أم » في مثل هذا التركيب إلا نادراً، فهي كالعربية تدرك الفرق بين الأداتين .

فأم حرف شرط في الأصل مثل إمْ العبرية تطور فأصبح يجمع بين معنى أو ومعنى الاستفهام . ويشتقه نولدكه ٦ (ص ٢٠٨، الهامش الثالث) (٢) من أَإمْ (أي من همزة الاستفهام + إمْ الشرطية) ، ويجعل هذه صنو الأداة العبرية النادرة ha'im (هَإم) « هل حقاً ؟ » . ولكنه لا يفسر كيف تحولت أَإمْ صوتياً إلى أمْ . ثم إنه لا حاجة لتفسير معنى الاستفهام في أم إلى افتراض همزة الاستفهام في أصل تركيبها ، فقد رأينا أن حرف الشرط يستطيع وحده الدلالة على الاستفهام .

ويرى ركندورف ١ (ص ٤٨٠، آخر سطر) أن أمْ مركبة في الأصل من همزة الاستفهام وما النافية(٣) . فهو لا يعدها حرف شرط من قبيل

---

(١) انظر دالمان Grammatik des jüdisch-palästinischen Aramäisch : G. Dalman الطبعة الثانية (ليبزج ١٩٠٥)، ص ٢٣٨، س ٦ — ٧ .

(٢) انظر أيضاً مقال نولدكه بمجلة ZDMG ، المجلد ٤٠ (١٨٨٦)، ص ٧٣٩ .

(٣) يتابع بروكلمان ركندورف مرة ونولدكه مرة اخرى : ٢ ، حـ ٢ ، ص ٤٩٤ ، س ٢٤ من أسفل، ثم ص ٣٦٥، س ١٠ من أسفل .

إمْ العبرية . ولكن يُرد عليه بأنه ليس في أم معنى النفي، وإنما يراد بها تعيين أحد أمرين، وهذان الأمران يجوز أن أيّاً منهما قد وقع .

٦) إنْ النافية

يرى بروكلمان(١) أنّ إنْ النافية تطورت صوتياً عن أَيْنَ الاستفهامية بأن صارت هذه *أَيْنْ(٢) ثم *إينْ وأخيراً إنْ . وليس من الغريب أن يتطور الاستفهام إلى نفي، فنحن نعرف أن من الاستفهام ما قد يكون للإنكار ؛ ويطلق على هذا الاستفهام الإنكاري في اللغات الأوربية اسم الاستفهام البلاغي rhetorical question .

ولتطور دلالة أين من الاستفهام إلى النفي نظائر في سائر اللغات السامية . ففي العبرية نجد ayin’ (أَيِن) « أين ؟ »(٣) تتطور إلى ayin’ (أَيِن) وēn’ (إين) (بإمالة الهمزة إمالة طويلة) النافيتين . وفي الأكدية نجد a – a – nu و ia – nu و ia – ’ – nu (٤) « أين ؟ » ؛ ولكن نجد دلالة النفي في ia – nu و ia – a – nu و ia – ’ – nu في الرسائل البابلية

---

(١) بروكلمان ٢ ، حـ ٢ ، ص ١١١ ، الهامش الأول . وهذا الرأي صورة معدلة من الرأي الذي أبداه في الجزء الأول من الكتاب نفسه، ص ٦٣ أعلى .

(٢) النجمة على يمين الكلمة رمز اصطلاحي يراد به أن الكلمة فرضية لا ترد في واقع اللغة .

(٣) كذلك نجد آن (وهي متطورة صوتياً عن أينَ) وآنا (بزيادة فتحة طويلة في الآخر) وآني (بزيادة إمالة طويلة في الآخر) . وسيرد ذكر (آنا) مرة أخرى في البحث التالي (هنا وثم)

(٤) ديلتش Assyrische Grammatik : F. Delitzsch (الطبعة الثانية، برلين ١٩٠٦، ص ٢١٧) و Assyrisches Handwörterbuch (ليبزج ١٨٩٦، ص ٤٨، عمود ب أسفل)

التي ترجع إلى العصر السرجوني(١)؛ وللنفي أيضاً ia - nu في لهجة نُوزِي (٢)، و ia – na و i – ia – nu في رسائل تل العمارنة(٣)، و ia – nu و ia – nu – u و ia – nu و i – ia – nu في لهجة بوغاز كُوي (٤) .

فإن النافية ونظائرها في اللغات السامية الأخرى متطورة عن أين الاستفهامية ونظائرها . وأين الاستفهامية ونظائرها هي في الاصل (أيْ) ثم أُلحقت نون . وهذا الأصل (أيْ) يستعمل أيضاً للاستفهام عن المكان في اللغة العبرية، حيث يتحول حسب قوانينها الصوتية إلى ēʼ (إي) (بإمالة الهمزة إمالة طويلة) . وهو يدل على النفي كذلك في لغات سامية أخرى (٥)؛ وفي هذا دليل قاطع على صحة ما نقوله من تطور إن النافية ونظائرها عن أين الاستفهامية ونظائرها(٦) .

---

(١) إلفيزاكر Zur babylonischen und assyrischen Grammatik : S. C. Ylvisaker ليبزج ١٩١٢، ص ٥١ أسفل .

(٢) جوردون ٢ ، ص ٢٢٨ (الفقرة ٨ : ٥) .

(٣) بول، الفقرة 34 f .

(٤) لابات L'akkadien de Boghaz-kōi : R. Labat بوردو ١٩٣٢، ص ١٣٣ أسفل .

(٥) نجد في الحبشية — īʼ (إي) (مضافة إلى صدر الكلمة المنفية)؛ انظر دلمان ١، ص٣٠٠ أسفل . وفي النقوش الحبشية القديمة نجد —aiʼ (أيْ—) إلى جانب (إي—) تلك؛ انظر لتمان Sabäische, griechische und altabessinische Inschriften : E. Littmann (برلين ١٩١٣)، ص ١٤ (فيما يتعلق بالسطر الثاني من النقش السادس) و ٨١ (س ١٩ — ٢١ من أسفل) .

ونجد في العبرية īʼ (إي) (جزنيوس-كاوتش، الفقرة 152 q) . ولكن قارن ذلك بما يقوله بير G. Beer بصدد سفر أيوب ٢٢ : ٣٠ في Biblia Hebraica (نشر كيتل R. Kittel ، ١٩٤٩) .

ونجد في الفينيقية (إي) ؛ انظر هاريس ١ ، ص ٧٤ .

ونجد في الأكدية ai و ā و ē ؛ انظر فون سودن ١ (الفقرة 81 i) .

(٦) في الحبشية نظير لإن النافية هو enʼ (إن) (بإمالة الهمزة إمالة قصيرة جداً) في ʼendāʻī (إنداعي) «ربما» (في الأصل : «لا أعرف»)، و ʼenbeya (إنبي) (ومنها صورة أقدم هي ʼenbī إنبي) «لا أستطيع» (حرفياً : ليس بي»)، و ʼenbeka (إنبك)

ولكن ثمة آراء أخرى في تفسير إن النافية . ففليشر (ص ٤٤٧ آخر سطرين — ٤٤٨) يرى أنها وُضعت أصلا للنفي مثل أَيِن العبرية (ولكن ما الدليل على أن الكلمة العبرية وضعت أصلا للنفي ؟) .

وهو يرفض ما يزعمه بعض العلماء من أنّ إنْ النافية نشأت عن إنْ الشرطية، ويدلل على فساد هذا الزعم بأنّ إنْ الشرطية لا تستعمل إلا مع الجمل الفعلية، فتجزم المضارع بعدها إذا كان بعدها مضارع ، فإذا كان ما بعدها ماضياً جعلته في معنى المضارع ؛ أما إنْ النافية فهي تستعمل مع الجمل الفعلية والاسمية سواء، وإذا استعملت مع جملة فعلية تركت المضارع على حالة الرفع ولم تغيّر معنى الماضي .

ويقرّ بارت ٤ رأي فليشر . وهو يأتي بدليل آخر على خطأ من يُرجع إنْ النافية إلى إن الشرطية . هذا الدليل هو أنّ إنْ الحبشية التي تقابل إن النافية (راجع الهامش السابق) لا تستعمل للشرط(١)، فلا بُدّ إذن أنّ إنْ النافية في العربية ليست من إنْ الشرطية .

ويرى ركندورف ١ (ص ٨٣ آخر سطر — ٨٤) أنّ إنْ النافية مرتبطة بإنّ (حرف التوكيد والنصب) وبإنْ الشرطية ، ولكن لم يتطور معنى النفي عن معنى الشرط لاختلاف تركيب الجملة مع إنْ

(أو ʼenbīka إنبيك) «لا تستطيع (أنت)»، و ʼenbīkemū (إنبيكمو) «لا تستطيعون» انظر دلمان ١، ص ٣٨٧ أسفل و ٣٨٠ آخر سطر — ٣٨١ .

وإن النافية في الحبشية هي أيضاً في الأصل من أيْ+ن . و(أي) هذه تستعمل للنفي أيضاً في صورة إي التي ذكرناها في صدر الهامش السابق ، كما أنها ترد للاستفهام في ʼaitē (أيتي) (بإمالة التاء إمالة طويلة) «أين ؟» ؛ والنهاية tē (تي) هنا تقابل (نَ) في أين وأمثالها .

و(إن) للنفي أيضاً في الأوجاريتية، انظر جوردون ١، الفقرة ١٢ : ٤ .

(١) أداة الشرط في الحبشية هي ʼema (إم) أو ʼemma (إمّ) كما ذكرنا في صدر البحث السابق (عن أمْ) .

النافية عنه مع إنْ الشرطية . وهو يقول إنه لما كانت إنْ تستعمل كثيراً مع ما النافية في مثل قول امرىء القيس في معلقته « وما إن أرى عنك الغواية تنجلي » فإنه يمكن القول إنّ (إنْ) لم تكن في الأصل للنفي ولكن للإثبات (كإنّ) ، فاستعملت مع (ما) لتوكيد النفي ، ولكن نُظر فيما بعد إلى إنْ في (ما إنْ) على أنها أداة نفي ، فاستعملت كذلك وحدها في مثل قوله تعالى من سورة الأنبياء (الآية ١٠٩) : « وإنْ أدرى أقريب أم بعيد ما تُوعدون » (١) .

وأقل الآراء احتمالا ما يقوله ر . ينسن R. Jensen (٢) من أن معنى النفي في إنْ العربية وإنْ الحبشية يرجع إلى النون . ويرى إيتان(٣) الرأي نفسه، ولكنه يطبقه أيضاً على نظائر إنْ في اللغات السامية الغربية . وهو يقول إن هذه النون النافية من أصل مصري؛ ففي المصرية القديمة نجد (ن)، وأحياناً (ن ن)، أكثر صور النفي استعمالا .

---

(١) هذه الآية الكريمة تدل على خطأ رابين C. Rabin : Ancient West-Arabian (لندن ١٩٥١) ، ص ١٧٨ ، س ١٤ — ١٥ ، في قوله إن إن النافية لا ترد في القرآن إلا مع أداة الاستثناء إلا . ويورد ابن هشام (ج ١ ، ص ٢٣) آيتين أخريين لا ترد فيهما إن النافية مع إلا : (إن عندكم من سلطان بهذا) (يونس ٦٨) و(وإن أدرى لعله فتنة لكم) (الأنبياء ١١١) .

(٢) Ausruf, Frage und Verneinung in den semitischen Sprachen : بمجلة Zeitschrift für Völkerpsychologie und Sprachwissenschaft ، المجلد ١٨ (١٨٨٨) ص ٤٢٦ .

(٣) Herbew and Semitic Particles ، بمجلة AJSL ، المجلد ٤٥ (١٩٢٩) ، ص ١٣٩ — ١٤٠ .

٧) هُنا وثَمّ

من الجلي أن هُنا مركبة من العنصرين الإشاريين الهاء والنون . ويرد هذان العنصران أيضاً، ولكن بحركتين مختلفتين، في هَنـِي التي تؤدي نفس المعنى (١) .

فإذا زدنا نوناً قويت الدلالة الإشارية وأمكن الإشارة إلى البعيد؛ فهَنّا بفتح الهاء وتشديد النون بمعنى هناك(٢)، وقد تكسر الهاء فيقال هِنّا ولكن هذه أقل وروداً(٣) . وللصيغة هِنّا نظير في العبرية هو hènna (هنّا) [بإمالة الهاء وإيقاع النبرة على المقطع الأول]؛ ولكنها لا تعني «هناك»، وإنما «إلى هنا» (غالباً) أو «هنا» (قليلاً) .

أما ثَمّ فتقابلها šam (شام) في العبرية؛ و(ش م) في نقش ميشع المؤابي (س ١٢ و١٧ و٣٠ و٣٣) ونقش هَدَد الأرامي؛ و tām (تام) أو hātām (هاتام)، بزيادة (ها)، في التلمود . وفي الأوجاريتية نظير بالثاء كالصيغة العربية هو (ث م)؛ انظر جوردون ١ ، ص ٥٠٣ ، رقم ٢٦٩٢ .

ومن الواضح أن هذه الصيغ كلها مركبة من ثاء أو شين أو تاء إشارية + ميم مشددة أو مخففة هي أيضاً إشارية . فأما اختلاف الحرف الأول فمرجعه إلى أن الثاء العربية تقابلها شين في العبرية وتاء في الأرامية (ولكن شذ عن ذلك نقش هدد الأرامي) (٤) . والميم مشددة في الصيغة العربية؛ وهي

---

(١) يروي اللسان وتاج العروس (مادة هنا) عن ابن سيده قوله «جاء من هنى»، أي من هنا .
(٢) ولكن يقول الجوهري في الصحاح إن هنا بمعنى هنا، ولكن هنّاك بمعنى هناك .
(٣) انظر ابن يعيش (حـ ٣ ، ص ١٣٧ – ١٣٨)، والرضى ٢ (حـ ٢ ، ص ٣٤ أسفل – ٣٥ أعلى)، وابن عقيل (حـ ١ ، ص ١١٩) .
(٤) مر بنا في بحث (الضمير أنا) أن نقش هدد الأرامي متأثر بالكنعانية .

أيضاً مشددة أصلاً في الصيغة العبرية وصيغتي التلمود، ثم أزيل الإدغام وعوض عنه بمد حركة الحرف الأول وهي فتحة . والحرف الثاني (أي الميم المشددة فعلاً أو أصلاً) محرك أيضاً بالفتحة في العربية؛ وكان محركاً بها أيضاً في الصيغة العبرية وصيغتي التلمود، ولكن أسقطت لما هو معروف من أن العبرية والأرامية تحذفان الحركات القصيرة في أواخر الكلمات (وهذا سبب خلوهما من الإعراب)، فإذا أرادتا الاحتفاظ بها لجأتا إلى مدّها .

وقد حدث هذا المد فعلاً في šamma (شامّا) العبرية (حيث تقع النبرة على المقطع الأول) و tamma (تَمّا) في أرامية العهد القديم والأرامية المصرية (حيث تقع النبرة على المقطع الأخير) .

وظاهر أن هاتين الصيغتين مركبتان من šām (شام) أو tām (تام) + mā (ما) . فالفتحة الطويلة في الآخر هي حركة الميم الثانية لا حركة الكلمة جُملةً؛ ومن هنا يتضح خطأ من ظنّ أن الفتحة الطويلة الأخيرة في (شامّا) هي النهاية المكانية locative ending المعروفة في اللغة العبرية (١)، وهي طبعاً تلحق بالكلمة جملة . ومما يدل على خطأ هذا الرأي أن النهاية المكانية تدل عادة على الاتجاه، ولكن (شامّا) قد تعني «هناك» (دون اتجاه) إلى جانب «إلى هناك» . كذلك hènnā (هنّا) العبرية التي ذكرناها في بداية هذا البحث مركبة من hen (هن) + nā (نا)؛ والفتحة الطويلة الأخيرة تنتمي إلى النون الثانية لا إلى الكلمة جملة، وهي ليست

---

(١) هذا رأي كونيج (ص ٢٥٨ – ٢٦١)، وألسهاوزن Lehrbuch : J. Olshausen der hebräischen Sprache (براونشفيج ١٨٦١ ، الفقرة ١٣٠ ب)، وبارت ٥ (ص ٥٩٦، الهامش الأول) .

وقد غر هؤلاء العلماء على ما يبدو أن النبرة في (شاما) تقع قبل المقطع الأخير، كما هي الحال مع الكلمات الملحقة بها النهاية المكانية .

النهاية المكانية كما يزعم كونيج (انظر الهامش السابق) . وهذا التفسير يصدق أيضاً على ana' (آنا) العبرية «أين؟ إلى أين؟» (التي أشرنا إليها عند الكلام عن إن النافية)، فهي أيضاً لا تنتهي بالنهاية المكانية كما يزعم كونيج وألسهاوزن (انظر الهامش السابق) (١) .

ونرجع إلى ثَمَّ العربية . فنقول إن حرف العطف ثُمَّ (الذي يفيد الترتيب مع التراخي) قد يكون متفرعاً عنها، وذلك بأن صارت فتحة الثاء ضمة على سبيل المماثلة assimilation للميم (لأن الحروف الشفوية ومنها الميم تناسبها الضمة أكثر مما تناسبها الفتحة والكسرة) (٢) . ولا يستبعد ركندورف ١ (ص ٤٦٦، الهامش الأول) أن تكون ثُمَّ متفرعة عن فُمَّ (وهي بنفس المعنى) على سبيل المخالفة dissimilation (حتى لا يتجاوز حرفان شفويان) . وهو يربط فُمَّ هـــذه بالظرف pō (پُو) «هنا؛ إلى هنا» في العبرية، ولكن الأرجح أن تكون فُمَّ هي الفرع لا الأصل، نشأت عن ثُمَّ على سبيل المماثلة، كما نشأت فُوم عن ثُوم (٣) في العربية أيضاً .

---

(١) ينكر ميك T. J. Meek (The Hebrew accusative of time and place بمجلة JAOS، المجلد ٦٠ (١٩٤٠)، ص ٢٣٢ – ٢٣٣) أيضاً أن الحركة الأخيرة في هذه الظروف الثلاثة هي النهاية المكانية، ويستدل بأن معنى (هنا) و(شاما) ليس دائماً «إلى هنا(ك)» وبأن الصيغة البسيطة (شام) قد تعني أيضاً «إلى هناك» . على أنه يفسر هذه الحركة الأخيرة تفسيراً يختلف عن تفسيرنا . فهي في رأيه تقابل التاء الإشارية في الصيغة (ث م ت) «هناك» في الأوجاريتية . ونرد عليه بأن التاء في (ث م ت) هذه تقابل تماماً (ت) في ثمت العربية و(ت) هذه لا يمكن فصلها عن (ت) في ربت؛ ولما كانت ربت هذه تقابل rabbat (ربت) في العبرية (بتاء لا بفتحة طويلة في الآخر) و rebbat (ربت) (بإمالة الراء) في السريانية، دل هذا على أن الفتحة الطويلة الأخيرة في (شاما) العبرية لا تقابل التاء في (ث م ت) في الأوجاريتية .

(٢) هذا رأي بروكلمان ٢ (حـ ١، الفقرة ١٠٨ أ، والفقرة ٧٥ ب) . وقد لاحظ ترمپ أيضاً قبله (ص ٣٣٨، الهامش الأول) العلاقة في البنية بين ثَم (بفتح الثاء) وثُم (بضمها) .

(٣) تقابلها šūmu (شوم) في الأكدية و šūm (شوم) في العبرية و tūmā (توما) في الآرامية . انظر بروكلمان ٢، حـ ١، الفقرة ٦٦ أ .

٨) هَلُمَّ

اختلف النحاة في اشتقاق هَلُمَّ . فالبصريون(١) يشتقونها من (ها) التي للتنبيه و(لُمَّ) أو (الْمُمْ) فعل الأمر من لَمَّ أي لُمَّ نفسك إلينا . والكوفيون(٢) يشتقونها من هَل وأمَّ، فعل الأمر من أمّه إذا قصده؛ وهل هنا ليست هل الاستفهامية، وإنما هي التي للزجر والحثّ .

وكلا الاشتقاقين ضعيف . فالأول يتطلب تقصير حركة (ها)، والثاني يستلزم حذف همزة (أمَّ) . وهَلُمَّ على كليهما لازمة بمعنى تعال، ولكنها قد تكون متعدية بمعنى هات كما في قوله تعالى (الأنعام ١٥٠) : « قُلْ هلم شهداءكم » (٣) .

ولعل الذي دعا البصريين والكوفيين إلى افتراض فعل في أصل هَلُمَّ أن تميماً تجريها مجرى فعل الأمر، فتقول هلمّي وهلمّا وهلمّوا وهلمُمْن (٤)، بخلاف لغة الحجاز فهلمّ فيها جامدة كما في آية الأنعام الآنفة الذكر وكما في قوله تعالى (الأحزاب ١٨) : « قد يعلم اللهُ المعوِّقين منكم والقائلين لإخوانهم هلم إلينا » . وهلم في هذه الآية لازمة .

و(هل) التي يذكرها الكوفيون في تفسيرهم مدعاة اهتمام . فهذا العنصر قد يكون اسم صوت بمعنى تعال كما في قول النابغة الجعدي : « ألا

---

(١) انظر سيبويه، حـ ٢ ، ص ١٥٨ . وانظر أيضاً الهامش التالي .

(٢) انظر في رأيي الكوفيين والبصريين ابن الأنباري (ص ١٥١ أعلى و١٥٣ أسفل) وابن يعيش (حـ ٤، ص ٤١ — ٤٢) .

(٣) انظر ابن يعيش، حـ ٤، ص ٤٣ .

(٤) انظر سيبويه (حـ ٢، ص ١٥٨) وابن يعيش (حـ ٤، ص ٤٢)، وكوفلر H. Kofler Reste altarabischer Dialekte بمجلة WZKM، المجلد ٤٧ (١٩٤٠)، ص٢٣٧ — ٢٣٨ .

حيّيا ليلى وقُولا لها هلا »(١) . وهو يرد أيضاً عنصراً ثانياً في اسم الفعل حَيَّهَلَ كما في حيّهل الثريدَ، أي أحضره سريعاً(٢) . والعنصر (هل) في هذا المثال يشارك في المعنى المتعدي الذي تؤديه حيهل كلها ، ولكنه لازم في قول النابغة الجعدي .

وقد رأينا أن هلم أيضاً لازمة أو متعدية . ولهذا يصح القول إن هلم مركبة من هل وميم مشددة . والميم كما هو معروف من العناصر الاشارية الشائعة الاستعمال في اللغات السامية عامة، وقد تشدَّد تأكيداً .

وهل تنتهي بفتحة طويلة في هلا (في قول النابغة) ، وبفتحة قصيرة في حيهل، ولكنها تنتهي بضمة في هلُمّ . وقد تكون الضمة هنا من أثر الميم، فإن الحروف الشفهية تناسبها الضمة .

و hălom (هَلُم) في العبرية، ومعناها « إلى هنا »، تقابل هلم العربية اشتقاقاً، كما أن معناها (إلى هنا) يشمل المعنيين اللازم والمتعدي لهلم العربية .

٩) إذ وإذا (٣) وحيث

يقول النحاة العرب إن إذ وإذا وحيث ظروف(٤) مبهمة(٥)، فاحتاجت وجوباً إلى جملة بعدها توضحها وتكشف عن معناها، كما أن « الذي »

(١) ذكره ابن يعيش، حـ ٤، ص ٤٧ .
(٢) انظر ابن يعيش، حـ ٤، ص ٤٦ .
(٣) لا نعرض هنا لإذ وإذا الفجائيتين .
(٤) إذ وإذا وحيث حروف وصل conjunctions (بمعنى أن كلا منها يربط بين جملتين إحداهما أساسية والأخرى فرعية) لا ظروف adverbs من وجهة نظر النحو الأوربي .
(٥) انظر المقصود من الإبهام فيما بعد .

وغيره من الموصولات لا بدّ لها من جملة بعدها توضحها وتكون صلة لها؛ غير أن جملة الصلة لا محل لها من الإعراب، والجملة بعد إذ وإذا وحيث مضافة إليها في محل جر .

فالجملة بعد إذ، وهي ظرف لما مضى من الزمان(١)، قد تكون فعلية مثل جئتك إذ قام زيد، وقد تكون اسمية مثل جئتك إذ زيد قائم . وحيث، وهي ظرف مكان، تستوي بعدها أيضاً الجملة الفعلية مثل اجلس حيث جلس زيد، والجملة الاسمية مثل اجلس حيث زيد جالس(٢) . أما إذا، وهي ظرف لما يستقبل من الزمان(١)، ففيها معنى الشرط، ولهذا تليها دائماً جملة فعلية كأدوات الشرط . فإذا جاء بعدها اسم كما في قوله تعالى : « إذا السماء انشقّت » (الانشقاق ١) . لم يكن هذا الاسم مبتدأ لجملة اسمية، وإنما كان فاعلاً لفعل محذوف يفسره الفعل الظاهر(٣)؛ ولكن أجاز الأخفش والكوفيون وقوع المبتدأ والخبر بعد إذا(٤)، لأنها ليست شرطاً في الحقيقة .

ويقول النحاة العرب أيضاً إن الظروف الشبيهة بإذ وإذا وحيث في الإبهام مثل حين ووقت وزمان ويوم الخ، تجوز (لا تجب) إضافتها إلى

---

(١) هذا هو رأي جمهرة النحاة . وانظر ما سوى ذلك من خلافات في قاموس لين، ص ٣٩، عمود ب، س ٣٦ وما بعده .

(٢) يقول ابن هشام (حـ ١، ص ١٣٢) إن إضافة حيث إلى الجملة الفعلية أكثر من إضافتها إلى الجملة الاسمية .

(٣) يؤيد فليشر (ص ٤٥٠ – ٤٥٣) هذا الرأي تأييداً قوياً .

(٤) ابن عقيل (حـ ١، ص ٥١) . وهو يقول إن سيبويه يرى الرأي الأول أي أن الاسم بعد إذا فاعل لفعل محذوف؛ ولكنه يضيف بعد ذلك : « وزعم السيرافي أنه لا خلاف بين سيبويه والأخفش في جواز وقوع المبتدأ بعد إذا، وإنما الخلاف بينهما في خبره : فسيبويه يوجب أن يكون فعلا ، والأخفش يجوز أن يكون اسماً، فيجوز في « أجيئك إذا زيد قام » جعل زيد مبتدأ عند سيبويه والأخفش، ويجوز « أجيئك إذا زيد قائم » عند الأخفش فقط » .

الجملة الفعلية أو الاسمية إذا كانت تتعلق بالماضي (كإذ)، مثل جئتك حين جاء زيد وحين زيد ذاهب. فإذا كانت تتعلق بالمستقبل (كإذا)، أضيفت إلى الجملة الفعلية دون الاسمية، مثل أجيئك حين يجيء زيد.

وهم يقولون كذلك إن إذ وحيث لا يجازى بهما(١)، لأنهما مضافتان إلى الجملة بعدهما، والإضافة موضحة مخصصة، والجزاء يقتضي الإبهام، فيتنافى معنى الإضافة والجزاء، فلم يجمع بينهما؛ فإذا أريد ذلك أتى معهما بما يكفهما عن الإضافة وهو «ما»، فتعودان إلى ما كانتا عليه من إبهام قبل الإضافة، ويجوز (لا يجب)(٢) عندئذ أن تعملا عمل أدوات الجزاء وذلك كقول الشاعر:

وإنك إذما تأتِ ما أنت آمر   به تُلْفِ مَن إياه تأمر آتيا(٣)

وكقول الشاعر:

حيثما تستقمْ يقدِّرْ لك اللـــه نجاحاً في غابر الأزمان(٤)

أما إذا فهي تجزم المضارع نادراً وفي الشعر وحده؛ فإذا ألحقت بها

---

(١) يقول فليشر (ص ٦١٤، س ١٨ – ٢١) إن حيث قد تكون حرف شرط كحيثما. ولكنني لم أقف على شيء من ذلك في المراجع العربية المعتمدة.

(٢) يقول ابن هشام (حـ ١، ص ٨٧) إن عمل (إذما) الجزم قليل لا ضرورة خلافاً لبعضهم.

(٣) أورده ابن عقيل (حـ ٢، ص ٢٨٨).

(٤) أورده ابن هشام (حـ ١، ص ١٣٣)، وابن عقيل (حـ ٢، ص ٢٨٨). ولا حاجة إلى أن نزعم مع الأخفش (فيما يرويه عنه تاج العروس، حـ ١، ص ٦١٧، س ٦ – ٨) وابن هشام (حـ ١، ص ١٣٣) أن حيثما هنا للزمان. وقد فسر الأخفش أيضاً حيث بالحين في قول طرفة بن العبد:

للفتى عقل يعيش به   حيث تهدى ساقه قدمه

(شرح الرضى للكافية، حـ ٢، ص ١٠٨)، ولكن لا مانع هنا من حمل حيث على المكان وقد تابع ابن يعيش (حـ ٤، ص ٩٢) الأخفش في هذا الصدد.

« ما » جاز لها ذلك(١)، كما في قول الفرزدق : وكان إذا ما يَسْلُلِ السيف يضربِ (٢) .

. . .

هذا ما قاله النحاة العرب . ولكن وجه إليهم اعتراضان :

١ — قال نولدكه، في رسالة إلى فليشر(٣) (في الثاني من أكتوبر عام ١٨٦٥)، إن إذا إشارية(٤) مثل الذي وذو في العربية و(دِي) في الأرامية، وإنه يجب ألا نعتبر الجملة بعد إذا مضافة إليها في محل جر(٥) . وقال إن إذا تختلف لذلك عن « حين » التي هي فعلا مضافة إلى الجملة التي تليها .

---

(١) لا يقر سيبويه (حـ ١، ص ٤٣٣ أسفل — ٤٣٤) المجازاة بإذا أو حتى بإذا ما .

(٢) ديوان الفرزدق (باريس ١٨٧٠)، ص ٨٠، البيت السادس، الشطر الثاني .

(٣) ص ١١٣، الهامش الأول، من كتاب فليشر .

(٤) أدرك فليشر نفسه (ص ١١٣) قبل ذلك (في عام ١٨٦٤ حين نشر لأول مرة القسم الثاني من تعليقاته Beiträge على أجرومية دي ساسي de Sacy ؛ انظر ص ٨٧، الهامش الأول) الطبيعة الإشارية لإذ وإذا، فقال إنها تتجلى حين تكونان للمفاجأة .

(٥) يتفق رايت (حـ ٢، ص ١، الملاحظة أ) إلى حد ما مع النحاة العرب في قوله إن إذا « اسم منصوب مضاف، يعمل في الجملة الفعلية التي تليه فتكون في محل جر » . وهو (حـ ١، ص ٢٩٢ أعلى) يربط إذا (وإذ وإذن) باسم قديم زال عن الاستعمال هو إذْ « زمان »، ترد صيغة الجر منه في حينئذ ويومئذ الخ .

ونرد على ذلك بأن صيغة المنصوب المضاف من هذا الاسم القديم المفروض يجب أن تكون « إذَ » لا إذا؛ انظر إفالد (ص ٥٢٩، الهامش الأول) . والواقع أن إذا مركبة من العنصرين الإشاريين ؛ الهمزة (مكسورة) والذال (محركة بفتحة ممدودة)؛ وقد سبق ترمپ (ص ٤٢٠) إلى مثل هذا الرأي حين قال إن اذا في الأصل كلمة إشارية مركبة من إ + ذا ومعناها «das da» أو « siehe da » وهو معنى لا تزال تحتفظ به إلى حد ما .

[يرى مارتن هارتمان Martin Hartmann (في مقاله Zu araitaka بمجلة OLZ، المجلد ١٤ (١٩١١)، العمود ٢٩٥) رأي رايت من أن إذا مشتقة من اسم قديم زال عن الاستعمال هو إذْ « زمان » .]

فنولدكه يعني فيما يبدو أن إذا إشارية في الأصل، وهي لذلك معرفة؛ وضمائر الإشارة لا يمكن إضافتها لأنها معرفة، فإن الإضافة لا تتأتى إلا للنكرات (حتى تعرف) . ويبدو أن فليشر (ص ١١٣، الهامش الأول) كان يعني هذا حين علق على كلام نولدكه بقوله إن «أية أداة إشارية في الأصل، معرفة المعنى» لا يمكن أن تعمل في مضاف إليه، شأنها في هذا شأن الضمائر «المعرفة المعنى» .

٢ – يرى فليشر(١) أن إذ وإذا لا تحددان زمن الجملة التالية؛ فليست إذ بالضرورة للزمان الماضي وإذا لما يستقبل من الزمان(٢)، وإنما السياق هو الذي يحدد زمن الجملة .

فعلى هدى ما قاله النحاة العرب، وما اعترض به عليهم نولدكه وفليشر يمكن أن نصف خصائص إذ (ما) وإذا (ما) وحيث(ما) ووظائفها على النحو التالي :

١ – إذ وإذا لا تنطويان في نفسهما على زمن معين (انظر الاعتراض الثاني)

٢ – تتصدر إذ وحيث جملة فرعية تشير إلى مناسبة خاصة . فأقوم إذ تقوم = أقوم في تلك المناسبة الخاصة التي تقوم فيها . وكذلك أقوم حيث تقوم = أقوم في المكان الخاص الذي تقوم فيه (لا في كل مكان) . ولكن يبدو أن لإذا طابعاً أعم، فأقوم إذا تقوم = أقوم عادة حين تقوم ، أو أقوم كلما قمت، أو أقوم إن قمت .

---

(١) ص ١١٢، السطور الستة الأخيرة (حيث يعترض على دي ساسي الذي يتبع النحاة العرب) ؛ وص ٤٥٣، السطور ١٤ – ٢٣ (بصدد إذ)؛ وص ٤٥٥، السطور ١٥ – ٢٣ (بصدد الجملة الاسمية بعد إذ وكيف أنها تحتمل كجميع الجمل الاسمية الإشارة إلى الماضي أو الحاضر أو المستقبل) .

(٢) يوافق رايت (حـ ٢، ص ٢٩١ أسفل – ٢٩٢ أعلى) النحاة العرب في قوله إن إذ تدل على الزمان الماضي وإذا عادة على الزمان المستقبل .

فهذا هو السبب في أن إذا قد تستعمل أداة شرط ، وإن كان ذلك نادراً وفي الشعر وحده . فطبيعتها العامة إلى حد ما تعينها على أداء هذه الوظيفة . ولكن لا يمكن استعمال إذ وحيث أداتي شرط ، لأنهما تخصصان حدثاً تم أو في سبيله إلى التمام أو سيتم قطعاً .

فإذ when تختلف عن متى الشرطية whenever . ولهذا قال ابن يعيش (ح ٤، ص ٩٨، س ٦) إن إذ تدل على الزمان المعين، ومتى على الزمان المطلق .

٣ ــ يبدو أن دلالة إذ وحيث على مناسبة خاصة هي التي حدت بالنحاة العرب إلى أن يعتبروهما مضافتين إلى الجملة التالية . فالواقع أن إذ وحيث، لارتباطهما الوثيق بالجملة التالية، تبدوان وكأنهما مضافتان إليها ؛ فكما يشير المضاف إلى شخص أو شيء معين ، تشير إذ وحيث إلى الحدث المعين الذي تشتمل عليه الجملة التالية .

أما إذا فلها طبيعة أعم من طبيعة إذ وحيث، ولكن قوة التعميم generalizing force فيها أقل منها كثيراً في أدوات الشرط الحقيقية . فإذا كانت شرطية، لم تدلّ على حدود معينة؛ ولكن هذا استعمال نادر . وإذا كانت تشير إلى مناسبة خاصة، لم تكن لها قوة شرطية؛ وهذا الاستعمال فيما يبدو هو الذي جعل النحاة العرب يعتبرونها أيضاً مضافة إلى الجملة بعدها .

٤ ــ عندما يصف النحاة العرب إذ وإذا وحيث بأنها مبهمة، لا يعنون فيما يبدو أنها منكرة بطبيعتها (انظر الاعتراض الأول) . فمقارنتهم لها بالذي وغيره من الموصولات ، وهي معرفة، تدل على أنهم لم يكونوا يعتبرونها نكرات . والظاهر أنهم لا يعنون بالإبهام إلا أن إذ وإذا وحيث تحتاج إلى مزيد من التحديد، كما يحتاج اسم الإشارة إلى بيان المشار إليه والمضاف إلى بيان المضاف إليه .

٥ ــ عندما تلحق (ما) بإذ وإذا وحيث تجعلها قادرة على أن تعمل عمل أدوات الشرط الحقيقية . والنحاة العرب يسمّون (ما) هذه «كافة »، بمعنى أنها تفصم الصلة المباشرة بين الأداة والجملة التالية، فلا تعمل الأداة في الجملة التالية خاصةً عمل المضاف في المضاف إليه، وإنما تعمل في الجملتين التاليتين فتكون إحداهما فرعية هي جملة الشرط والأخرى أساسية هي جملة الجواب .

فمعنى الكفّ هنا التعميم بعد التخصيص ، وهذا يصدق تماماً على (ما) في إذما وحيثما لأن إذ وحيث قبل زيادة (ما) لا تكونان إلا « مضافتين » على حدّ قول النحاة العرب . وهو يصدق أيضاً على إذا، إن كانت « مضافة » أيضاً قبل زيادة (ما)؛ فإذا كانت شرطية (وهو استعمال نادر مقصور على الشعر)، ثم زيدت عليها (ما)، لم تكن (ما) كافة وإنما كانت مؤكدة لمعنى التعميم (أو معنى الشرط) في إذا .

وقد تلحق (ما) بإذ وإذا وحيث فتظل على ما كانت عليه من « الإضافة » ولا تعمل عمل أدوات الجزاء؛ فتكون (ما) هنا مقوية للصلة بين الأداة والجملة التالية . و (ما) في هذه الحالة إشارية تتقبل عمل الأداة قبلها ، وتوصله إلى الجملة بعدها، فكأن هذه الجملة بدل منها . فقولك « أقوم إذما تقوم » بمثابة قولك : أقوم وقت (= إذ) هذا (= ما) : تقوم، أي أقوم وقت قيامك خاصة دون أي شيء آخر .

وهذه الدلالة الإشارية هي الأصل في دلالة التعميم . ولهذا نظائر كثيرة في اللغة العربية وغيرها؛ ولنكتف بمثل واحد من العربية هو أيّ، فهي إشارية ولا ريب عندما تكون منادى في «يأيها الرجل» ولكنها تفيد التعميم في « خذ أيّ شيء تريد » .

١٠) أَمَّا أنت منطلقاً انطلقتُ معك

يقول الكوفيون(١) إن (أمّا) شرطية في الشواهد المشهورة التالية :

١) أمّا أنت منطلقاً انطلقتُ معك(٢) .

٢) أمّا زيدٌ ذاهباً ذهبتُ معه(٢) .

٣) أبا خراشة أمّا أنت ذا نفرٍ فإن قومي لم تأكلهمُ الضّبُعُ (٣)

٤) إمّا أقمتَ وأمّا أنت مرتحلا فالله يكلأُ ما تأتي وما تذر (٤)

٥) أمّا أنت برًّا فاقترب (٥) .

٦) أمّا زيدٌ قائماً أقُمْ معه (٦) .

وهم يرون أن أمّا في هذه الشواهد مركبة من أنْ ، وهي في معنى الشرط ، وما، وهي عوض عن كان محذوفة . فالأصل في « أمّا أنت منطلقاً » على رأيهم هو « أنْ (= إنْ) كنت منطلقاً »؛ فحذفت (كان) التي في (كنت)، وعوض عنها بما، وأصبح ضمير المخاطب المتصل ضميراً منفصلاً .

---

(١) انظر ابن يعيش (حـ ٢، ص ٩٩، س ٦ — ٩)، والبغدادي (حـ ٤، ص ١٠، س ٩ — ١٠؛ ص ١١، س ٩ — ١١؛ ص ١٢، س ١٧ — ١٨؛ ص ١٤، س ٧ — ٨) .

(٢) استشهد به سيبويه (حـ ١، ص ١٤٨، س ١) .

(٣) للعباس بن مرداس . استشهد به سيبويه (حـ ١، ص ١٤٨، س ٣) .

(٤) استشهد به ابن يعيش (حـ ٢، ص ٩٩، س ٥ من أسفل) .

(٥) ذكره ابن مالك؛ انظر ابن عقيل (حـ ١، ص ٢٥٦) .

(٦) انظر البغدادي (حـ ٤، ص ١١، س ١١)؛ وهو يقول إن الشاهد من وضع الكوفيين أنفسهم .

أما البصريون(١) فيرون أن (أنْ) في (أمّا) هي المصدرية، وأنها كانت في الأصل (لأنْ) .

ويرون أيضاً أن (ما) عوض عن (كان) محذوفة . فالأصل في «أما أنت منطلقاً» على رأيهم هو «لأن كنت منطلقاً» .

وتفسير البصريين هذا يمكن تطبيقه أيضاً على الشاهد الثاني، ولكن يصعب تطبيقه على سائر الشواهد، كما نبين فيما يلي :

(أ) فيما يتعلق بالشاهد الثالث :

يقول ابن يعيش (حـ٢، ص٩٩، س١٣ — ١٥) إنّ (أنْ) في (أمّا) في موضع نصب بفعل يدل عليه قوله «لم تأكلهم الضبع» وتقديره بقيتُ أو سلمتُ ونحوهما، وليست في موضع نصب بنفس «لم تأكلهم الضبع» لأنه في خبر إنّ وما بعد إنّ لا يعمل فيما قبلها .

فمن هذا نتبين أن ابن يعيش كان يظن أن الشاعر وأبا خراشة كانا على وئام ووفاق . ولكن لم يكن الأمر بينهما كذلك، بدليل البيت الثاني في القصيدة وهو :

السلم تأخذ منها ما رضيتَ به والحربُ يكفيك من أنفاسها جُرَعُ(٢)

فالقصيدة هجاء لا مدح .

ويقول البغدادي (حـ ٤، ص ١١، س ١٢ — ١٤) إن علي بن عبد الرحمن

---

(١) انظر سيبويه (حـ ١، ص ١٤٨)، وابن يعيش (حـ ٢، ص ٩٨ — ٩٩؛ حـ ٨، ص ١٣٢ — ١٣٣) وابن عقيل (حـ ١، ص ٢٥٦ — ٢٥٧)، والبغدادي (حـ ٤، ص ١١ — ١٢)

(٢) أورده البغدادي (حـ ٤، ص ١٣) والسيوطي (شرح شواهد المغنى، القاهرة ١٣٢٢هـ ص ٤٣) .

يقدر بعد نفر : بطرتَ أو بغيتَ أو فخرتَ . وهذه جميعاً أنسب للمقام مما يقدره ابن يعيش . ولكن ما الذي يضطرنا أصلا إلى تقدير فعل بعد (ذا نفر) يعمل في (أن) المندرجة في (أمّا)؟ إن تفسير الكوفيين يغنينا عن هذا كله، وهو أنسب للمقام وأوفق للنحو . ومعنى البيت على تفسير الكوفيين هو : إن كنتَ يا أبا خراشة كثير القوم، فإن قومي موفورون أيضاً لم تهلكهم السنون .

(ب) فيما يتعلق بالشاهد الرابع :

نرى البصريين يضطرهم مذهبهم إلى تقدير «ولأن كنتَ» أصلا لِـ «أمّا أنت» فيكون البيت: إما أقمت ولأن كنت مرتحلا فالله يكلأ ...، وهو تركيب غريب . أما الكوفيون فيجعلون أمّا مرادفة لإمّا السابقة لها معطوفة عليها، ويجعلون جملة «فالله يكلأ» جواباً للشرط فيستقيم الكلام(١) .

(ج) فيما يتعلق بالشاهد الخامس :

أيسر تفسير للفاء في (فاقترب) أن تكون واقعة في جواب شرط أداته أمّا، وهو رأي الكوفيين . ولو كانت (أمّا أنت) في الأصل (لأن كنت) لما حسن أن نأتي بالفاء، فتكون معترضة بين (أنْ) المصدرية والفعل العامل فيها وهو (اقترب) .

أما الشاهد الأخير فهو من وضع الكوفيين كما يقول البغدادي (حـ ٤، ص ١١)، وقد جعلوا (أقُم) فيه مجزومة جواباً للشرط على مذهبهم، فلا يصح الاحتجاج به على البصريين، كما لا يصح الاحتجاج على الكوفيين

---

(١) يؤيد ابن هشام (حـ ١، ص ٣٥ – ٣٦) الكوفيين هنا ضد ابن الحاجب الذي يناصر تفسير البصريين .

برفع الخليل للفعل المضارع (أنطلق) في (أمّا أنت منطلقاً أنطلق معك) (١)

وهكذا نرى أن مذهب البصريين لا يستقيم عند تطبيقه على ثلاثة شواهد، ولكن يستقيم مذهب الكوفيين .

ثم إن الكوفيين(٢) يؤيدون مذهبهم بقوله تعالى (البقرة ٢٨٢): «فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء أن تضلَّ إحداهما فتذكرَ إحداهما الأخرى» . وهم يرون أن (أنْ) هنا مساوية لإن الشرطية في المعنى . ويعلق ابن يعيش (حـ ٢، ص ٩٩، س ٨ — ٩) على هذا بقوله «وتؤيده قراءة حمزة إن تضل إحداهما بكسرة الهمزة» . ويزيد الطبري في تفسيره على ذلك قوله إن حمزة يقرأ (فتذكرُ) بالرفع، فتكون جملة (فتذكرُ) جواباً للشرط (٣) .

يقول الكوفيون إن (أنْ) في هذه الآية كإن الشرطية في المعنى . وهم لا يقصدون بذلك طبعاً أنهما متساويتان في العمل، فهم يعلمون أن الآية لا تستقيم بوضع إنْ موضع أنْ، وأنه إذا جاءت إنْ لقلنا تذكرْ أو فتذكرُ على قراءة حمزة .

ويورد ابن هشام (حـ ١، ص ٣٥) تأييداً لرأي الكوفيين قوله تعالى (المائدة ٢) : «ولا يجرمنّكم شنآن قوم أنْ صدّوكم عن المسجد الحرام أن تعتدوا»، أي لا يجرمنكم بغض قوم (أي قريش) بصدّهم إياكم عن المسجد الحرام (يوم الحديبية في السنة السادسة من الهجرة) أن تعتدوا .

---

(١) حكاه سيبويه ثم قال: «وهو قول أبي عمرو ويونس، ولو كان جزاء لجزمه» . انظر ابن يعيش (حـ ٢، ص ٩٩، س ٥ — ٦) والبغدادي (حـ ٤، ص ١٠، س ٦ — ٨) .

(٢) انظر ابن يعيش، حـ ٢، ص ٩٩، س ٨ — ٩ .

(٣) يورد الزمخشري في تفسيره مثالا آخر لهذا الاستعمال هو قوله تعالى (المائدة ٩٥) : «ومن عاد فينتقم الله منه» .

ويقول الطبري في تفسيره إن بعض قراء الحجاز والبصرة(١) كانوا يقرؤون «إن صدوكم» بالكسر بمعنى «ولا يجرمنكم شنآن قوم إن هم أحدثوا لكم صدّاً عن المسجد الحرام أن تعتدوا»، فزعموا أنها في قراءة ابن مسعود «إن يصدوكم» فقرأوا ذلك كذلك اعتباراً بقراءته .

ويورد ابن هشام (ح ١، ص ٣٥) آية أخرى تأييداً لرأي الكوفيين هي قوله تعالى (الزخرف ٥) : «أفنضرب عنكم الذكر صفحاً أنْ كنتم قوماً مسرفين» .

ويقول البيضاوي إن نافعاً وحمزة والكسائي يقرؤون (إنْ) هنا بالكسر على أن الجملة شرطية .

وينسب الطبري في تفسيره لهذه الآية إلى بعض نحويي الكوفة قوله إن «أنْ» تقرأ بالفتح والكسر في قوله تعالى (الكهف ٦) : «فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفاً»، وفي قول الشاعر: «أتجزع أَن بان الخليطُ المودِّعُ» .

فقد رأينا إذن أن وضع (إنْ) موضع (أن) في آية البقرة (٢٨٢) لا يغير المعنى ولكن يستتبع تغييراً في التركيب، وأن وضع (إنْ) موضع (أنْ) في آية المائدة ٢ وآية الزخرف ٥، ووضع (أنْ) موضع (إنْ) في آية الكهف ٦ يحدث تغييراً في المعنى لا التركيب . فالأداتان إذن متقاربتان لا متساويتان .

ونخلص من هذا كله إلى أن الشواهد التي ذكرناها في صدر الكلام ولا سيما الثالث والرابع منها ترجح رأي الكوفيين على رأي البصريين .

---

(١) يشير البيضاوي في تفسيره إلى ابن كثير وأبي عمرو .

ولكن لا يزال يعوز رأي الكوفيين أمثلة تكون فيها أنْ مساوية لإنْ تمام المساواة .

فالمسألة إذن لا تزال موضعاً للبحث .

ملاحظة :

يصف فيشر A. Fischer (١) نظريتي الكوفيين والبصريين بأنهما « جدل لا غَناء فيه من بدئه إلى نهايته » . ويقول عن تلك الشواهد « الغريبة » على أمّا : « إنه لا حاجة إلى تصديع الرأس بسببها، لأنها جميعاً غير صحيحة ».

ولا يشك فيشر في صحة بيت أبا خراشة، لأنه كان معروفاً تمام المعرفة لدى النحاة القدامى، ولكنه يرى أن (أمّا أنت) في هذا البيت رواية خاطئة قُدِّر لها الشيوع وبعض الأهمية بعد أن أوردها سيبويه « عن غفلة » في كتابه . والرواية الصحيحة عند فيشر هي (إمّا كنت)، وهي رواية أبي حنيفة الدينوري وابن دريد .

أما البيت الآخر، وهو « إما أقمت وأما أنت مرتحلا ... »، فهو في رأي فيشر من انتحال المبرد، صنعه تأييداً لقوله : « إذا أتيت بإمّا وأمّا فافتح الهمزة مع الأسماء واكسرها مع الأفعال » . ويقول فيشر بعد ذلك « ومهما يكن من أمر، فإنه يجب رفض أمّا أنت هنا أيضاً؛ إذ لا يعقل أن شاعراً طلق النفس يورد بدلا من إمّا ... وإمّا المألوفة عبارة غير معروفة هي إمّا ... وأمّا، ويستعمل بدلا من (كنت) التي تناسب المقام وتوافقه كلمة شديدة القلق في موضعها هي (أنت) » .

---

(١) Zwei Beiträge zur arabischen Grammatik، بمجلة ZDMG ، المجلد ٦٣ (١٩٠٩)، ص ٥٩٧ — ٦٠٢ .

وأخيراً يرى فيشر أن سائر شواهد أمّا زائفة وضعت على قياس بيت (أبا خراشة) .

وفيشر محق في وصفه شواهد أمّا تلك بالغرابة، فهي فعلا أمثلة غريبة لاستعمال غريب . ولكنه يجانب الحق إذ يحاول أن يثبت أن تلك الشواهد كلها نتيجة خطأ في الرواية (كما في بيت أبا خراشة) أو انتحال (كما في سائر الشواهد) .

وهو يقول إن (أمّا أنت) في بيت (أبا خراشة) رواية خاطئة صوابها ما رواه أبو حنيفة الدينوري وابن دريد من (إمّا كنت) . ولكن يجب ألا ننسى أن استعمال أمّا متلوّة بأنت أو اسم مرفوع فآخر منصوب كان معروفاً بين العلماء حين كتب سيبويه الكتاب . فقد قلنا فيما مضى (بصدد التعليق على الشاهد السادس) إن سيبويه سأل أستاذه الخليل عن نطق الفعل في (أمّا أنت منطلقاً أنطلق معك)، وإن الخليل رفعه . فليس من اليسير إذن أن نزعم مع فيشر أن سيبويه خدع برواية خاطئة فأوردها في كتابه . أما رواية أبي حنيفة الدينوري (المتوفي سنة ٢٨٢ هـ) وابن دريد (المتوفي سنة ٣٢١هـ) فلا يصح أن تفضَّل على رواية سيبويه وهو أسبق (توفي سنة ١٨٠ هـ) .

ثم إن اتهام المبرد (المتوفي سنة ٢٨٥ هـ) بانتحال (إمّا أقمت وأمّا أنت مرتحلا) ليس له ما يبرّره، فإن استعمال إمّا مع الأفعال لا يحتاج إلى شاهد يثبته، كما أن استعمال أمّا متلوّة بأنت أو اسم مرفوع أمر عرفه النحاة الأوائل كالخليل (المتوفي سنة ١٧٤ هـ) وسيبويه .

أما الشواهد النثرية فاثنان منها على الأقل، وهما الأول والثاني، لا يمكن أن يكونا قد وضعا على قياس (أبا خراشة) . فقد رواهما سيبويه (حـ ١، ص ١٤٧ آخر سطر — ١٤٨) وصدّرهما بقوله : « ومن ذلك قول العرب » . فقد سمعا إذن من العرب ولم يوضعا وضعاً .

الباب الثالث

دراسات مقارنة في المعجم العربي

---

١) أَرَسَ

يقول ابن فارس (حـ ١، ص ٧٩): «(أرس) الهمزة والراء والسين ليست عربية. ويقال إن الأراريس الزرّاعون، وهي شامية».

الأراريس جمع تكسير لإرِّيس (كسِكِّيت)، ومثله أرارسة (مصروفة) وأرارس (غير مصروفة)، والجمع السالم إرّيسون. ويقال أيضاً للفلاح أو الأكّار أَرِيس (كجليس)، وجمعه أَريسون، كما يقال أَريسيّ (بياء النسبة) (١)، وجمعه أريسيّون. (التاج، مادة أرس، عن ابن الأعرابي).

وفيما يلي ما وجدته من شواهد:

١ – يروي البكري (حـ ١، ص ١٥) قصيدة لعامر بن الظَّرِب مطلعها:

قضاعةَ أجلينا من الغور كله إلى فلجات الشام تُزْجي المواشيا

---

(١) قال الصاغاني: «وقولهم للأريس أريسيّ كقول العجاج: والدهر بالإنسان دوّاري، أي دوار» (التاج، مادة أرس. ولكنني لم أجده في ديوان العجاج المطبوع).

ثم يقول: « وكانوا (نزار بن معدّ وقضاعة) قد اقتتلوا في حرّة . ويعني فلجات الزراعين ، وهم الأريسيون؛ قال رجل من كلب في الأريسيين :

فإنْ عبدُ وُدٍّ فارقتكم فليتكم أرارسةٌ ترعوْن ريفَ الأعاجمِ »

٢ – في النهاية لابن الأثير (مادة أرس) : « ومنه حديث معاوية، بلغه أن صاحب الروم يريد قصد بلاد الشام أيام صفين، فكتب إليه : « بالله لئن تَمَمْتَ على ما بلغني لأصالحنّ صاحبي ، ولأكونن مقدمته إليك، ولأجعلن القسطنطينية البخراء حُمَمَة سوداء، ولأنزعنك من الملك نزع الإصْطَفْلِينة، ولأردنك إرّيساً من الأرارسة ترعى الدوابل » .

(البخراء مؤنث أبخر وهو المنتن الفم، وفي رواية اللسان (مادة أرس) : الحمراء . والإصطفلينة : الجزرة . والدوابل جمع دَوبَل، وهو الخنزير أو ذكره أو ولده . وزاد اللسان بعد تمام الحديث : « وفي رواية : كما كنت ترعى الخنانيص »، والخنانيص جمع خِنّوص وهو ولد الخنزير)

٣ – في صحيح البخاري (جهاد ١٠٢ [ط بولاق ١٣١٤ هـ، حـ ٤، ص ٤٧]): « قال (ابو سفيان) : ثم دعا (هرقل) بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرئ فإذا فيه : بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد عبدالله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد فإني أدعوك بداعية الإسلام، أسلم تسلم، وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فعليك إثم الأريسيين، و(آل عمران ٦٤) « يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون »، قـــال ابو سفيان : فلما أن قضى مقالته علت أصوات الذين حوله من عظماء الروم وكثر لغطهم فلا أدري ماذا قالوا وأُمر بنا فأُخرجنا » .

وأورد البخاري الحديث مختصراً في موضعين آخرين (جهاد ٩٩ [ح ٤، ص ٤٤]، وتفسير سورة آل عمران: الآية ٤ [ح ٦، ص ٣٦]).

ويرد الحديث مفصلاً في صحيح مسلم (جهاد ٧٣ [ط دار الطباعة العامرة، ح ٥ (١٣٣١ هـ)، ص ١٦٥]). وفي ص ١٦٦ إشارة إلى رواية أخرى بقلب همزة الأريسيين ياء، أي اليريسيين.

ويرد الحديث مفصلا أيضاً في مسند ابن حنبل (ط المطبعة الميمنية بمصر، ١٣١٣ هـ، ح ١، ص ٢٦٣).

وانظر كذلك الفائق للزمخشري (ج ١، ص ١٥) والنهاية لابن الأثير (ج ١، ص ٢٥). ويشير ابن الأثير إلى روايتين أخريين: الأَرِيسين والإِرِّيسين.

والمعنى الذي يتبادر إلى الذهن من الحديث هو أنك إن توليت ولم تقبل دعوة الإسلام وقع عليك إثم بقاء الأريسيين رعيتك على الكفر. وقد قال بمثل هذا أبو عبيدة وآخرون(١)، ففي اللسان عن ابن بري: «ذكر أبو عبيدة وغيره أن الإرِّيس الأكّار، فيكون المعنى أنه عبّر بالأكارين عن الأتباع» (٢).

---

(١) كالنووي في شرحه لمسلم (المطبعة الكستلية، ١٢٨٣ هـ، ح ٤، ص ٢١٩)، والقسطلاني في شرحه للبخاري (الطبعة السادسة، بولاق ١٣٠١ – ١٣٠٥ هـ، ح ٥، ص ١١٤، وح ٧، ص ٥٨). يقول النووي: «واختلفوا في المراد بهم (بالأريسيين) على أقوال أصحها وأشهرها أنهم الأكارون أي الفلاحون والزراعون، ومعناه أن عليك إثم رعاياك الذين يتبعونك وينقادون بانقيادك ونبه بهؤلاء على جميع الرعايا لأنهم الأغلب ولأنهم أسرع انقياداً، فإذا أسلم أسلموا وإذا امتنع امتنعوا».

(٢) عقب ابن بري على ذلك بقوله: «والأجود عندي أن يقال إن الإرِّيس كبيرهم الذي يمتثل أمره ويطيعونه إذا طلب منهم الطاعة. ويدل على أن الإريس ما ذكرت لك قول أبي حزام العكلي:

هذا ما وجدته من شواهد .

ولنرجع الآن إلى كلام ابن فارس . فهو يقطع بأن مادة أرس ليست عربية، وأن الإريس كلمة شامية .

ورأى ابن فارس في الإريس قال به أبو منصور الأزهري قبله، فقد قال (كما في اللسان) : «أحسب الأريس والإرّيس بمعنى الأكار من كلام أهل الشام» .

وقال بعدهما ياقوت في معجم البلدان (مادة بئر أريس) : «والأريس في لغة أهل الشام الفلاح وهو الأكار .. وأظنها لغة عبرانية، وأحسب أن الرئيس مُقدَّمَ القريةِ تعريبه»(١) .

لا تبئني وأنت لي بك وغد لا تبىء بالمؤرس الإريسا

يقال أبأته به أي سويته به، يريد لا تسوني بك، والوغد الخسيس اللئيم، وفصل بقوله «لي بك» بين المبتدأ والخبر، وبك متعلق بتبئني، أي لا تبئني بك وأنت لي وغد، أي عدو، لأن اللئيم عدو ومخالف لي، وقوله «لا تبيء بالمؤرس الإريسا» أي لا تسو الإريس وهو الأمير بالمؤرس وهو المأمور وتابعه، أي لا تسو المولى بخادمه، فيكون المعنى في قول النبي صلى الله عليه وسلم لهرقل : فعليك إثم الإريسين، يريد الذين هم قادرون على هداية قومهم ثم لم يهدوهم، وأنت إريسهم الذي يجيبون دعوتك ويمتثلون أمرك، وإذا دعوتهم إلى أمر أطاعوك، فلو دعوتهم إلى الإسلام لأجابوك، فعليك إثم الإريسين الذين هم قادرون على هداية قومهم ثم لم يهدوهم، وذلك يسخط الله عليهم ويعظم إثمهم» .

فابن بري يبني تفسيره هذا على رواية من روي الإريسين، وهي غير رواية أصحاب الحديث كما رأينا . والإريس قد يكون حقاً بمعنى الأمير، كما سنرى، ولكن لا يذكر هذا المعنى للأريسيّ (وهي رواية أصحاب الحديث) أو الأريس؛ وعلى هذا لا يصلح تفسير ابن بري للحديث بهاتين الروايتين الأخيرتين .

فتفسير أبي عبيدة هو الأجود في الواقع . ويشبه هذا التفسير ما حكى عن أبي عبيد من أن الأريسيين هم الخدم والخول، يعني لصده إياهم عن الدين، كما قال تعالى (الأحزاب ٦٧) : «ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا»، أي عليك مثل إثمهم . (ابن الأثير واللسان)

وهناك تفسيرات أخرى واضحة التكلف أوردها ابن الأثير وصاحب اللسان .

(١) نقل الخفاجي في شفاء الغليل (ص ٣١) كلام ياقوت، ثم عقب على الجزء الأخير منه قائلا : «وكون الرئيس معرباً غريب» . وهو غريب فعلا .

والواقع أن الأريس معرب ’ārīs (أَرِيس) في العبرية المتأخرة (١) و ’ărīsā (أَرِيسا) في الأرامية اليهودية و ’erīsā (إِرِيسا) [بإمالة الهمزة إمالة قصيرة جداً] في الأرامية الفلسطينية المسيحية ، وهو الفلاح الذي يستأجر أرضاً على أن يعطي مالكها جزءاً من المحصول ويحتفظ هو بالباقي . واستئجار الأرض لفلاحتها على هذا الأساس يسمى في العبرية المتأخرة ’ărīsūt (أَرِيسُوت) وفي الأراميـــة اليهودية ’ărīsūtā (أَرِيسُوتا) . انظر فرنكل ١، ص ١٢٨ .

فما اشتقاق أريس العبرية الأرامية؟ يقول فرنكل إن اشتقاق هذه الكلمة ليس واضحاً كل الوضوح، ويمكن أن تكون من المادة أرس بمعنى ربط أو عقد، فتكون الكلمـــة بمعنى المربوط أو المقيّد contractus . ولكننا نعرف أن الفعل أرس في العبرية المتأخرة والأراميـــة اليهودية والأرامية الفلسطينية المسيحية معناه خطب (امرأة للزواج) مثل ’eraś (إِرَس) [بإمالة الهمزة، على وزن فعّل] في عبرية التوراة . فهل يقصد فرنكل أن معنى الخطبة متطور عن معنى أصلي هو الربط والعقد؟

ويرى ينسن P. Jensen (Bemerkungen zu einigen sumerischen und assyrischen Verwandtshaftswörtern ، بمجلة ZA ، المجلد الأول (١٨٨٦)، ص ٤٠٦ ، الهامش الأول) أن أريس وأريسوتا في التلمود منقولتـــان عن irriśu (إِرِّيشُ) (٢) و irriśūtu (إِرِّيشُوتُ) (٣) في

---

(١) عبرية المشنا . راجع ص ٣، الهامش .

(٢) ترد في الأكدية القديمة وما يليها . انظر قاموس شيكاغو الأشوري، المجلد الرابع، ص ٣٠٤ ب أسفل – ٣٠٦ أ : erre͞šu (irrišu) ، ومعنى الكلمة فيه الفلاح أو الزارع المستأجر .

(٣) ترد في البابلية القديمة وما يليها . انظر قاموس شيكاغو الأشوري، نفس المجلد، ص٣٠٦ أ : erre͞šutu (e͞rišūtu, ārišūtu) ومعناها فيه استئجار الأريس الحقل لفلاحته.

الأكدية، وهما من (المصدر الفعلي) irîšu (إرِيشُ) (١) الذي يقابل في رأيه من الناحية الاشتقاقية غرس العربيـــة . وهو يستشهد بالصيغتين التلموديتين على طول حركة المقطع الثاني في نظيريهما بل أصليهما الأكديين .

ويتفق هاوپت (Ikkār und irrīš, Landmann ؛ بمجلة ZDMG ، المجلد ٦٥ (١٩١١)، ص ٥٦١ — ٥٦٢) مع ينسن في أن أريس التلمودية مأخوذة عن irrīšu (إرِّيشُ) (٢) الأكدية، ولكنه يرى أن حرث أرجح من غرس نظيراً للمصدر الفعلي erešu (إريشُ) (٣) .

ونخلص من هذا كله إلى أن الأريس أو الإرّيس في العربية من أصل عبري متأخر أو أرامي، وأن هذا الأصل قد يكون هو أيضاً منقولا عن لغة أخرى هي الأكدية . انظر تسمرن، ص ٤٠ .

وما دامت الأريس او الإرّيس غير عربية، فالفعل أَرَس يأرِس أرْساً أو أرَّس يؤرّس تأريساً « صار أكاراً » (٤) ليس أصيلاً في مادته، وإنما أرس مشتق من أريس، وأرّس من إرّيس ، أي أنهما من طائفة الأفعال المشتقة من أسماء denominative verbs .

وتورد المعاجم أيضاً في مادة أرس : الإرّيس بمعنى الأمير، والمؤرَّس بمعنى المأمور التابع ؛ وقد مرّ بنا ذكر ذلك . ففي اللسان : « الإرّيس الأمير

---

(١) (arāšu) erēšu في قاموس شيكاغو الأشوري (نفس المجلد، ص ٢٨٥ ب — ٢٨٩ أ)، حيث يقال إنه يرد في الأكدية القديمة وما يليها، وإن معناه بذر (الحب في الحقل) أو فلح (الحقل، دون إشارة خاصة إلى البذر) .

(٢) مد هاوپت حركة المقطع الثاني مؤيداً ينسن .

(٣) يربطها قاموس شيكاغو الأشوري (نفس المجلد، ص ٣٠٦ أسفل) كذلك بحرث في العربية وحرش في العبرية وخرث في الأوجاريتية .

(٤) التاج، عن ابن الأعرابي .

عن كُراع، حكاه في باب فِعِّيل...، والأصل عنده فيه رِئِّيس على فِعِّيل من الرياسة». ويورد التاج فعلاً لذلك: «أرّسه تأريساً استعمله واستخدمه فهو مؤرَّس».

وتفسير ذلك كله هو أن الرِّئِّيس (أي الكثير الترؤّس، كما في القاموس) قلب كما قال كراع فصار الإرّيس، ثم اشتق من الإرّيس فعل هو أرَّس بمعنى استعمله واستخدمه، وصيغ من هذا الفعل اسم مفعول هو المؤرَّس.

وتورد المعاجم أخيراً في مادة أرس: الإرْس، وهو الأصل (اللسان) أو الأصل الطيب (القاموس) (١). فلعل الكلمة مقلوب الرأس، مع كسر الهمزة قياساً على كسرها في الإرّيس بمعنى الأمير لتقارب الدلالة بين الإرْس والإرّيس؛ أو لعل الإرْس مشتق مباشرة من الإرّيس.

وهكذا نرى أن ما أوردته المعاجم في مادة أرس هو:

١ — الأريس أو الأريسيّ أو الإرّيس بمعنى الأكار، وهو معرب؛ فلا عبرة بالفعل أرَس أو أرَّس بمعنى صار أكاراً، لأنه مشتق من الاسم المعرب.

٢ — الإرّيس بمعنى الأمير، وهو مقلوب رِئِّيس، أي أنه لا يمت إلى مادة أرس؛ فلا عبرة بالفعل أرَّس الذي اشتق منه، أي استعمله واستخدمه؛ ولا عبرة من باب أولى بالمؤرَّس لأنه صيغ من أرَّس صياغة اسم المفعول.

---

(١) تفسير اللسان أصح. ففي أمالي القالي (ط بولاق ح ٢، ص ١٩ = ط دار الكتب المصرية ح ٢، ص ١٧ أسفل – ١٨ أعلى): «والإرس الأصل. يقال إنه لئيم الإرس أي الأصل؛ قال أبو الغريب (النصري)...:

إن لئيم الإرس غير نازع عن وذه جاريه الغريب والجنب

الوذء الشتم، والجنب القريب.»

٣ – الإرس بمعنى الأصل (الطيب)، وهو إما مقلوب رَأس أو مشتق من الإرّيس أي الأمير.

فهذا كله مصداق لما قاله ابن فارس وأثبتناه في صدر هذا البحث من أن أرس ليست عربية.

٢) أَرَنْدَجٌ(١) أو يَرَنْدَجٌ

يقول الجوهري (مادة ردج): «اليرندج والأرندج جلد أسود(٢). قال أبو عبيد: أصله بالفارسية رَنْدَه(٣)، وأنشد للأعشى: أرندجَ إسكافٍ يُخالط عِظْلِما. قال ابن السكيت(٤): ولا يقال الرَّنْدَج».

قلتُ: بيت الأعشى الكبير (ميمون بن قيس) بتمامه هو:

عليه دَيابُوذٌ تَسَرْبَلَ تحته   أرندجَ إسكافٍ يُخالط عِظْلِما(٥)

وقد أورده ابن منظور (مادة ردج) ثم نقل شرح ابن بري: «الديابوذ ثوب ينسج على نِيرَيْن، شبه به الثور الوحشي لبياضه؛ وشبه سواد قوائمه بالأرندج. والعظلم شجر له ثمر أحمر إلى السواد».

---

(١) بفتح الهمزة. وفي القاموس بالكسر أيضاً.

(٢) قال ابن دريد: «هي الجلود تدبغ بالعفص حتى تسود» (المعرب للجواليقي، القاهرة، ص ١٦ = الجمهرة، ح ٣، ص ٥٠٠ أ، ولكن النص المطبوع في الجمهرة محرف). وفي القاموس واللسان أن الأرندج أو اليرندج هو أيضاً صبغ أسود يسود به الخف؛ قال اللحياني: هو الدارش بعينه، وقال بعضهم هو جلد غير الدارش، وقيل هو الزاج. وانظر الهامش التالي.

(٣) رنده ضرب من الأديم الأسود يصنع من جلد الماعز (ستاينجاس، ص ٥٨٨ ب).

(٤) يقول ابن السكيت في كتاب القلب والإبدال (الكنز اللغوي، ص ٥٥، س ٩ – ١٠ [باب الهمزة والياء]) «ويقال للجلد الأسود يرندج وأرندج».

(٥) الديوان، القصيدة ٥٥، البيت ١٧ (ص ٥٥).

ومثل هذا التشبيه قول العجاج :

وكلّ عيناءَ تُزَجّى بَحزَجا كأنه مُسَرْوَلٌ أرندجا (١)

(البحزج ولد البقرة)

وكذلك قول رؤبة بن العجاج، يصف النعاج :

كأنما سُرْوِلْنَ في أرداجِ وازددن أخلاطاً من العُسّاجِ (٢)

أورد الفيروزابادي قول رؤبة، وقال الأرداج هو الأرندج . قلت : بل هو كأنه جمع له .

ومن قبيل ذلك أيضاً قول المتلمس(٣) (القصيدة ١٤، البيت الثالث، ص ٥٠) :

له جُدَدٌ سُودٌ كأن أرندجاً بأكرُعه وبالذراعين سُنْدُسُ

(الجدد الطرائق، جمع جُدّة . والأكرع جمع كُراع وهو مستدِقّ الساق) .

وقول الأعشى (في البيت الأول) «أرندج إسكاف» يدل على أن الأرندج كانت تعمل منه الخفاف .

ويدل على ذلك أيضاً قول الشماخ بن ضرار :

---

(١) الديوان، ص ٧ . وانظر أيضاً شرح المفضليات للأنباري، ص ٢٧٦، س ١١ وما بعدها
(٢) الديوان، ص ٣٢ .
(٣) في الديوان كما نشره فلرز K. Vollers ، ليبزج ١٩٠٣ .
(Beiträge zur Assyriologie, Bd. V, Heft 2)

ودَوِّيَّةٍ قفرٍ تُمَشِّي نعامُها كمشي النصارى في خفاف اليرندج(١)

فهذه خمسة شواهد تدور حول تشبيه واحد .

وقد ورد في قصيدة الشماخ نفسها قبل ذلك قوله (الديوان، ص ٩) :

بليل كلون الساج أسود مظلم قليل الوغى داجٍ كلون اليرندج(٢)

وتشبيه الليل بالأرندج في السواد نجده أيضاً في بيت لِسُوَيْد بن أبي كاهل اليشكري استشهد به الفارسي على زيادة حرف الجر «في» للتأكيد ضرورة (ابن هشام، المغني، حـ ١، ص ١٧٠) :

أنا أبو سعد إذا الليل دجا يُخالُ في سواده يرندجا(٣)

وقد شبه مُليح بن الحكم(٤) العرَق على صفحة عنق البعير بالأرندج

---

(١) رواه سيبويه في الكتاب (حـ ١، ص ٤٥٤ أعلى) شاهداً على ورود رب دون جواب لعلم السامع به . والمعنى (كما يقول الشنتمري في شرح الشاهد بأسفل الصحيفة) «رب دوية قطعت ونحوه ... والدوية الصحراء . ومعنى تمشي تكثر المشي . وشبه أسؤق النعام في سوادها بخفاف الأرندج وهو الجلد الأسود، وخص النصارى لأنهم معروفون بلباسها» .

وروى البيت أيضاً ابن هشام في شرح بانت سعاد (ط جويدي، ليبزج ١٨٧١، ص١٠٦ أعلى) شاهداً على ورود فعل بالتشديد وفعل بمعنى واحد، فمشى بالتشديد مثل مشى .

وفي ديوان الشماخ (بشرح أحمد بن الأمين الشنقيطي، مصر ١٣٢٧ هـ، ص ١١) : «وداوية قفر تمشى (بفتح التاء وتشديد الشين) نعاجها» وتمشى هنا أي تتمشى .

(٢) الوغى الصوت والجلبة . وفي البيت رواية أخرى وردت في الأضداد لابن الأنباري (ليدن ١٨٨١، ص ٢٢٣) :

وليل كلون الساج أسود مظلم قليل الوعي داج كلون الأرندج

ويشرح ابن الأنباري البيت بقوله : «الساج طيلسان أخضر ... شبه الليل بالطيلسان الأخضر وهو يريد شدة سواده ... وقوله قليل الوعي معناه قليل الصوت» .

(٣) في الأغاني (ط بولاق، حـ ١١، ص ١٧١) رواية أخرى للشطر الثاني: (دخلت في سرباله ثم النجا) .

(٤) أشعار الهذليين ما بقي منها، القصيدة ٢٤٧، البيت ١٩، ص ١١٦ .

لسواده إذ يختلط بالقذر :

لهاميمُ تُستَدْمَى حميماً كأنه إذا ما تنمّى بالصَّليفِ اليرندجُ

(لهاميم جمع لِهْميم وهو السابق الجواد، والحميم العرق، والصليف عرض العنق)

. . .

أورد أبو هلال العسكري في كتاب الصناعتين (القاهرة ١٣٢٠ هـ، ص ٥٣ أسفل) قول ابن أحمر يصف امرأة بالجهل والغرارة :

لم تدر ما نَسْجُ اليرندجِ قبلها ودِراسُ أعوصَ دارسٍ مُتخدِّدِ

ثم عقب على ذلك بقوله : «ظن (أي الشاعر) أن اليرندج مما ينسج، واليرندج جلد أسود تعمل منه الخفاف فارسى معرب وأصله رنده . وفسره أبو بكر ابن دريد تفسيراً آخر ..؛ وقال : إنما هذه حكاية عن المرأة التي يصفها، ظنت لقلة تجربتها أن اليرندج شيء منسوج ولم تدارس عويص الكلام . وألفاظ البيت لا تدل على ما قال» .

قلت : أخطأ الشاعر عن جهل، وهو يصف المرأة بالجهل . ولكن الخطأ في فهم المعرب ليس بالأمر المستغرب(١) .

٣) أَزَبَ (ومنه المِئزاب)

في اللسان : «وأزب الماء جرى، والمئزاب المِرْزاب(٢) وهو المَثْعَب

---

(١) انظر صديقي، ص ٧ والهامش الأول فيها .

(٢) في التاج : «منعه (أي المرزاب) ابن السكيت والفراء وأبو حاتم . وفي التهذيب عن ابن الأعرابي يقال للميزاب مرزاب ومزراب بتقديم الراء وتأخيرها، ونقله الليث وجماعة» . وقد أورد الجواليقي رأي أبي حاتم (السجستاني) في مرزاب، كما سيلي بعد قليل .

ويقول الجوهري (مادة رزب) : «المرزاب لغة في الميزاب، وليست بالفصيحة» .

وانظر شفاء الغليل للخفاجي، ص ٢٠٨ .

الذي يبول الماء، وهو من ذلك ؛ وقيل بل هو فارسي معرب ومعناه بالفارسية بُلِ الماء . وربما لم يهمز، والجمع المآزيب، ومنه مئزاب الكعبة وهو مصب ماء المطر» .

فهنا رأيان في الميزاب : الأول أنه عربي من أزب الماء إذا جرى، والثاني أنه فارسي معرب .

ومن دعاة الرأي الثاني الأصمعي، ففي المعرب للجواليقي (ليبزج، ص ١٤٣ = القاهرة، ص ٣٢٦) : «قال أبو حاتم : سألت الأصمعي عن الميزاب والجمع المآزيب، فقال : هذا فارسي معرب تفسيره مازْآب كأنه الذي يبول الماء، وقد استعمله أهل الحجاز وأهل المدينة، وأهل مكة يقولون صلي تحت الميزاب، قال : ولا يقال مرزاب» . ويقول الجوهري (مادة وزب) : «المئزاب المثعب، فارسي معرب، وقد عرب بالهمز، وربما لم يهمز، والجمع مآزيب إذا همزت وميازيب إذا لم تهمز(١)» . كذلك يقول أدَّي شِير (ص ١٤٩) : «قلت إن المئزاب مركب من ميز أي بَوْل ومن آب أي ماء» .

ومن دعاة عربية الميزاب ابن فارس (ح ١، ص ١٠٠ — ١٠١)، فهو ينسب إلى مادة أزب معنى القصر والدقة ونحوهما (٢)، ثم يقول : «ومن هذا القياس الميزاب والجمع المآزيب، وسمي لدقته وضيق مجرى الماء فيه»

في الحبشية أَزَبَ بمعنى سال (الماء) كما في العربية تماماً؛ ولكن لم يرد هذا الفعل الحبشي، فيما لدينا من نصوص، إلا في وزن استفعل(٣) .

---

(١) في المغرب للمطرزي (ح ١، ص ١٤) : «ومن ترك الهمزة قال في الجمع ميازيب ومwazيب من وزب الماء إذا سال، عن ابن الأعرابي... وأنكر يعقوب (أي يعقوب بن السكيت) ترك الهمزة أصلا» .

(٢) من ذلك، كما يقول ابن فارس، الإزب وهو القصير أو الدقيق المفاصل .

(٣) انظر دلمان ٢، عمود ٧٩١ .

فاتفاق العربية والحبشية في أزب الماء بمعنى سال يؤكد أن المئزاب كلمة عربية أصيلة مشتقة من أزب بمعنى سال .

أما ميزاب فقد تكون من مئزاب بتسهيل الهمزة أو من وزب الماء (يزب وُزوباً) بمعنى سال أيضاً(١) .

ونحن نجد في العربية أيضاً زاب الماء زوْباً جرى، وهي مادة لها نظائر بنفس المعنى في بعض اللغات السامية الأخرى .

فأزب ووزب وزوب (وهي صيغ متقاربة) تدل على معنى سيلان الماء في اللغات السامية عامة والعربية خاصة . وهذا يؤكد مرة أخرى أن المئزاب والميزاب عربيان أصيلان، أولهما من أزب، وثانيهما من أزب أيضاً ولكن بتسهيل الهمزة أو من وزب .

فمعنى سيلان الماء هو الذي لوحظ في اشتقاق مئزاب وميزاب، لا معنى الدقة وضيق المجرى كما ظنّ ابن فارس .

وقد يعترض بأنه إذا كان المئزاب أو الميزاب، على هذا الأساس، المكان الذي يسيل منه الماء، فما كان أجدر أهل اللغة أن يختاروا له وزناً غير مفعال الذي يدل على الآلة خاصة . ونردّ على هذا بأن المعول في هذا الصدد على السماع، فسيبويه(٢) يذكر المِطْبَخ (مكان الطبخ) والمِربَد (محبس الإبل أو موضع يجعل فيه التمر)، وهما على وزن مِفْعَل الذي يدل في الغالب على الآلة . وهذا الوزن نفسه هو أيضاً من الأوزان الخاصة

---

(١) في القاموس والتاج : «(والوزاب ككتان اللص الحاذق) لسرعة سيلانه كالماء الجاري، (وأوزب في الأرض ذهب فيها) كما ذهب الماء وهذه عن الفراء، وكلاهما من المجاز» .

(٢) شرح شافية ابن الحاجب للرضى، حـ ١، ص ١٨٤ .

بأسماء الوعاء، فالمحلب وعاء اللبن ؛ وما أقرب الصلة بين أسماء الوعاء وأسماء المكان .

المثراب والميزاب عربيان أصيلان من الناحية الاشتقاقية كما رأينا . ونحن نتفق في هذا مع المستشرق الألماني ساخاو E. Sachau ، أول من نشر كتاب المعرب للجواليقي (ليبزج ١٨٦٧) . انظر ملاحظته في هذا الصدد في ص ٦٥ من القسم الخاص بملاحظاته .

ثم إن المثراب لم يكن غريباً على العرب حتى ينقلوا اسمه من لغة غير لغتهم، فهم يذكرون مثراب الكعبة، وأهل مكة (كما يقول الجواليقي) كانوا يقولون : صلي تحت الميزاب . فهذا الاعتبـــار الاجتماعي وذلك الاعتبار الاشتقاقي يقضيان بأصالة المثراب أو الميزاب في حياة العرب ولغتهم .

ولننظر الآن في آراء من قالوا إن الكلمة دخيلة من الفارسية .

صحيح أن آب هو الماء وأن ميز (بإمالة حركة الميم(١) أو كسرها كسرة طويلة) قد تكون فعل أمر بمعنى بُل (اللسان)، أو اسم فاعل بمعنى بائل (الأصمعي) ، أو اسماً للبول نفسه (أدي شير) . ولكن إذا اعتبرنا (ميز) فعل أمر وأردنا أن نقول بل الماء بالفارسية لقلنا آب ميز بتقديم المفعول به . وإذا اعتبرنا ميز بمعنى بائل أو بول وأردنا إضافتها إلى آب ليكون المعنى بائل الماء أو بول الماء ، لوجب أن نقول ميزِ آب بكسر المضاف كسرة خفيفة لا ميزْ آب (بتسكين الزاي)، أو أن نقلب الوضع فنقدم المضاف إليه على المضاف ونقول آبْ ميز .

ومن هذا يتبين أن الأصل الفارسي المزعوم ميزْ آب لا يستقيم تركيباً .

---

(١) ولهذا كتبت في المعرب للجواليقي : ماز (بالألف) .

وقد لاحظ فرنكل ١ (ص ٢٤ — ٢٥ و٣٠) ذلك العوج في التركيب . وهو يرى أن الكلمة دخلت الفارسية من العربية لا العكس .

ولكنه مع هذا لا يعد الميزاب كلمة عربية أصيلة . فهي عنده لغة عامية من مرزاب، نشأت عن مرزاب هذه بحذف الراء والتعويض عن هذا الحذف بمدّ كسرة الميم قبلها . ثم هو يعدّ المرزاب كلمة دخيلة، أصلها marzeḇā (مَرْزِبا) الأرامية .

فقول فرنكل إن الميزاب لغة عامية محرفة من مرزاب يتناقض وما نص عليه ابن السكيت والفراء وأبو حاتم السجستاني والجوهري (كما رأينا) من أن المرزاب غير فصيحة .

والجوهري خاصة يقول إن المرزاب لغة في الميزاب، على عكس ما يقوله فرنكل تماماً . ومن الجلي أن فرنكل إنما فضل المرزاب على الميزاب لأن الأول (على حسب رأيه) مطابق للأصل الأرامي المزعوم (مرزبا) .

ولننظر الآن في هذه الكلمة الأرامية . فهي صيغة ميمية الصدر مشتقة (إذا حكمنا بالظاهر) من المادة رزب. ولكن لا ترد هذه المادة في الأرامية، وإنما ترد فيها المادة زرب بمعنى فاض . وكذلك لا ترد رزب في العربية بمعنى سال، ولكن ترد زرب في هذا المعنى، فالزِّرْب مسيل الماء وزَرِب الماء (وسرِب الماء) سال (اللسان، مادة زرب) .

فالكلمة الأرامية مرزبا مشتقة في الأصل من زرب (لأن رزب لا ترد في الأرامية)، ثم حدث فيها قلب مكاني بتقديم الراء على الزاي .

فإذا نظرنا في العربية وجدنا المزراب إلى جانب المرزاب . فالمزراب من زرب العربية بمعنى سال، دون قلب مكاني؛ وليس لها نظير في الأرامية، أي نظير يشاركها في المحافظة على الأصل زرب دون قلب مكاني .

ولدينا بعد ذلك المرزاب في العربية، ولها نظير في الأرامية . فهل نحكم بأن المرزاب العربية منقولة عن ذلك النظير الأرامي، أم نحكم بأن المرزاب العربية مقلوب المزراب العربية كما أن مرزبا الأرامية مقلوبة عن أصل أرامي دون قلب لم يرد إلينا تقديره مزربا ؟

الحكم الثاني أجدر بالقبول . فمرزاب العربية إذن مقلوب مزراب العربيـة ، والكلمة الأرامية مرزبا ليست أصلاً للمرزاب ولكنها مجرد نظير لها . ولعل استهجان علماء اللغة العرب لمرزاب راجع إلى أنها مقلوب مزراب .

والخلاصة أن المتراب والميزاب والمزراب عربية أصيلة مشتقة من أصول عربية تشترك جميعاً في معنى سيلان الماء ، وأن المرزاب العربية مقلوب المزراب العربية وليست دخيلة من الأرامية .

٤) أَزَجٌ

الأزج اصطلاح معماري لا توضح المعاجم العربية مدلوله توضيحاً كافياً، فالجوهري والفيروزابادي يكتفيان بأن يقولا إنه « ضرب من الأبنية » وابن منظور والفيومي والمطرزي (في المغرب) يزيدون على ذلك فيقولون إنه « بيت يبنى طولاً »، ولكن هذا التعريف مع ذلك غامض بعض الغموض .

والغموض الذي يحيط بالكلمة راجع إلى أنها معربة . فهي معرب ʾazgā (أَزْجا) في السريانية ، ومعناهــا العقد (في البناء) arch . ولكن الكلمة دخيلة في السريانية نفسها، فهي مأخوذة من سَغ في الفارسية . انظر فرنكل ١ ، ص ٢٨ .

وسغ في الفارسية، حسب فولرز (حـ ٢ ، ص ٢٩٧ ب)، هو: (أ) العقد fornix ، (ب) وضرب من الأبنية مستطيل الشكل genus aedificii oblongum ، (حـ) وقرن الثور cornu bovis . (وقرن الثور كعقد البناء على صورة القوس المحدب !)

ومن هذا يتضح أن الكلمة معناها في الأصل عقد البناء، وأن إطلاقها أيضاً على البناء المعقود arched المستطيل إنما هو من قبيل إطلاق الجزء على الكل .

ومما يؤيد أن الأزج هو العقد في الأصل قول المبرد في الكامل (ليبزج ١٨٦٤ — ١٨٩٢، ص ٥٨) : «وكان الحسن يقول اجعل الدنيا كالقنطرة تجوز عليها ولا تعمرها . قوله : القنطرة، يعني هذه المعقودة المعروفة عند الناس، والعرب تسمى كل أزج قنطرة ، قال طرفة بن العبد :

كقنطرة الرومي أقسمَ ربُّها   لَتُكْتَنَفاً حتى تُشاد بقَرمَدِ

قوله : حتى تشاد ، يقول تُطلى .. »

ومما يؤيد ذلك أيضاً قول العجاج :

عَنْس تخال خلفَها المفرَّجا   تشييدَ بنيانٍ يُعالى آزُجا(١)

---

(١) هكذا في معجم ما استعجم للبكري (ص ٢٩١) . ورواية الديوان (ص ٩) :

عنسا تخال خلفها المفرجا   تشييد بنيان يعالى أزجا

وفي كتاب البكري (نفس الصفحة، قبل بيت العجاج مباشرة) : «وقال البريق الهذلي وكان هاجر أهله إلى مصر :

ألم تسل عن ليلى وقد نفد العمر   وقد أقفرت منها الموازج فالحضر

هكذا رواه أبو علي القالي عن ابن دريد: الموازج بفتح الميم . ورواه السكرى : الموازج بضمها قال أبو الفتح: الموازج (بالضم) فواعل من مزجت مثل عوارض ودواسر . قال : ويجوز أن يكون من الأزج فهومفاعل، خففت همزته فجعلت واوا » . والحضر ، كما يقول البكري قبل ذلك (ص٢٩٠) «حصن ، قال الهمداني : هو بجبال تكريت بين دجلة والفرات» ؛ وقد مر ذكر الحضر ونحن نتحدث عن اللهجات الآرامية في القسم الأول من الباب الأول (ص ٦) .

(العنس : الناقة الصلبة . يعالى : يجعله عالياً . وآزج جمع أزج ، وهذا يجمع أيضاً على آزاج(١)،وزاد القاوس إزَجَة (٢) . يقول إن مؤخر هذه الناقة الصلبة يشبه في انفراجه بنياناً تعلوه عقود) .

كذلك يؤيده قول الأعشى يصف حصن عاديا المعروف بالأبلق الفرد :

بناه سليمان بن داود حقبة   له أزج عال وطيّ موثَّق(٣)

ومن هذا يتبين أن العربية احتفظت بالمعنى الأصلي للأزج وهو العقد . أما معنى « البيت يبنى طولاً » الذي نجده في اللسان والمصباح والمغرب كما قلنا فهو كالمعنى الثاني لسغ الفارسية، ولكن لا نجد شواهد عليه .

ويقول اللسان والمصباح : أزّجت البيت تأزيجاً إذا بنيته طولاً(٤) . والأوْلى الآن أن يقال إن تأزيج البناء هو تزويده بعقد يعلوه(٥) .

---

(١) في فتوح البلدان للبلاذري (ط دي خويه، ليدن ١٨٦٦) :

(أ) ص ٢٢٩ : « ثم ولي حسان بن النعمان الغساني فغزا ملكة البربر الكاهنة فهزمته، فأتى قصوراً في حيز برقة، فنزلها، وهي قصور يضمها قصر سقوفه آزاج، فسميت قصور حسان » .

(ب) ص ٢٨٦ : « وحدثني أبو مسعود وغيره قال : كان خالد بن عبد الله بن أسد بن كرز القسري من بجيلة بني لأمه بيعة هي اليوم سكة البريد بالكوفة وكانت أمه نصرانية، قال: وبني خالد حوانيت أنشأها وجعل سقوفها آزاجاً معقودة بالآجر والجص » .

(٢) ولكن لم أجد مثالا له .

(٣) الديوان، القصيدة ٣٣، البيت الثامن (ص ١٤٦) .

(٤) هذا أدق نسبياً من قول القاموس : « أزجه تأزيجاً بناه وطوله » .

(٥) من الجلي أن الفعل أزج بالتشديد مشتق من الأزج، أي أنه فعل مشتق من اسم .

٥) أَزَرَ، مع مقدمة عن أَسَرَ

مقدمة عن أسر :

هذه المادة شائعة الاستعمال في الحبشية والعبرية والأرامية والأكدية والأوجاريتية . والمعنى الأصلي للمادة في هذه اللغات جميعاً هو الربط والحصر.

ففي عبرية التوراة مثلاً نجد الفعل المجرد ʾāsar (أسَر) بمعنى « ربط ، قيّد » و « أسر (في الحرب) »، ومجازاً « أخذ على نفسه (عهد تحريم) » . وعهد التحريم هذا يسمى ʾissār (إسّار) . ونجد أيضاً ʾẹsūr (إسُور) (بإمالة الهمزة) « إسار ، قيد » ، ومنه bēṯ hāʾẹsūr (بيت هاإسور) « بيت الإسار » أي « السجن » (١) (إرميا ٣٧ : ١٥) . و ʾāsīr (أسِير) هو الأسير وزناً ومعنى، ومنه مجازاً ʾăsīr hattıqwā (أَسِير هَتِّقْوا) « أسير الرجـاء » في سفر زكريا ٩ : ١٢ . و ʾassīr (أَسِّير) (بتشديد السين) لغة في أسِير السابقة .

أزر :

يرد الفعل ʾāzar (أَزَر) في عبرية التوراة بمعنى أحاط (الحصرَ، مفعولا) بالإزار ، أي شدّ الإزار عليه، كناية عن التأهب والاستعداد (سفر أيوب ٣٨ : ٣ و ٤٠ : ٧ وسفر إرميا ١ : ١٧) ، كما يقـال في العربية شدّ إزاره إذا شمّر وتهيأ واستعد . وورد الفعل العبري أيضاً مرة واحدة (أيوب ٣٠ : ١٨) بمعنى اكتنف (الثوبُ المرء)، أي أحاط الثوب بجسمه كالإزار . وهناك أخيراً استعماله في سفر صموئيل الأول ٢ : ٤ في معنى مجازي هو « اتخـذ (البأسَ) إزاراً » أي تدرع بالقوة .

---

(١) bīt eseri (بيت إسير) « قفص (الطائر) » في البابلية ؛ انظر قاموس شيكاغو الأشوري، المجلد الرابع، ص ٣٣٥ ب أسفل .

ووردت من هذا الفعل أيضاً أوزان مزيدة هي وزن انفعل (والمعنى هنا أحيط بكذا)؛ وفعّل، والمعنى هنا أن تحيط أحداً بالقوة (في ثلاثة مواضع) أو بالسرور (في موضع واحد) أو أن تعين أحداً وتنصره إطلاقاً (في موضع واحد)؛ ثم وزن تفعّل (بمعنى ائتزر).

وفي عبرية التوراة ezōr' (إزور) (بإمالة الهمزة)، وهو الإزار. وتشتق هذه الكلمة العبرية عادة من الفعل السابق الذكر، ولكن يشتقها دي لاجارد P. de Lagarde (١) هي والإزار العربيـة من وزر في الأصل. والواقع أن (أزر) و(وزر) متقاربان لفظاً ومعنى، ولكن لا داعي لاشتقاق الإزار في اللغتين من وزر ما دامت أزر واسعة الاستعمال فيهما، وما دامت وزر لا ترد في العبرية وإن وردت في العربية.

ويرى تسمرن (في قاموس جزنيوس – بول العبري، ص ٢١، عمود ب) أن إزور العبرية نشأت في الأصل عن اسم أهمل هو esōr' (إسور) (من الجذر أسر السابق الذكر)، وذلك بقلب السين (المهموسة) زاياً (مجهورة) مناسبة للراء (المجهورة). وهو يرى أيضاً أنه بعد أن نشأت إزور هذه اشتق منها الفعل العبري أزر السابق الذكر. وهو رأي غريب؛ فالفعل أزر واسع التصرف والاستعمال في العبرية، فلا يجوز أن يعد من الأفعال المشتقة من أسماء.

ويؤخذ من كلام تسمرن أنه يرى الفعل أسر (لا أزر) هو الذي كان مخصصاً في الأصل للدلالة على معنى شد الإزار. والواقع أن من أسماء الإزار في السريانية esārā' (إسارا) (بإمالة الهمزة)، وهو في

---

(١) Übersicht über die im Aramäischen, Arabischen und Hebräischen übliche Bildung der Nomina جوتنجن ١٨٨٩، ص ١٧٧.

البابلية القديمة (في نصوص ماري) mīsarrum (مِيسَرٌّ[م] بفتح السين) التي صارت فيما بعد mēseru (١) (ميسرُ، بإمالة السين) .

فهذان اسمان للإزار بالسين . ولكننا نجد السريانية نفسها تسمى الإزار بأسماء أخرى مشتقة من أزر (بالزاي) (٢) هي īzrāʾ (إيزْرا) و mīzra (مِيزْرا) (= مئزر العربية تماماً)، وهما نادران؛ ثم mīzrāna (ميزْرانا) (بزيادة ميم في الصدر ونون في العجز) (٣)، وهو أكثر وروداً .

والفعل أزر مهمل في السريانية على خلاف الفعل أسر . ولكن يمكننا أن نستدل من هذه الأسماء الثلاثة للإزار في السريانية على أن الفعل أزر كان يرد فيها قديماً إلى جانب أسر .

الخلاصة :

١) تستعمل العربية والعبرية الفعل أزر (بالزاي) للدلالة على شد الإزار وما يتعلق به من معان، وتشتقان من هذا الفعل صيغاً اسمية للدلالة على الإزار ونحوه . وفيما عدا هذا ترد فيهما المادة أسر بمعنى « ربط » عامة .

٢) تستعمل البابلية للدلالة على الإزار اسماً مشتقاً من الفعل أسر الذي يدل على الربط عامة . فالمادة أزر مهملة فيها أصلا .

---

(١) فون سودن ١ ، ص ٦٤ (في الوسط) .

(٢) پين سميث ، عمود ١١٠ .

(٣) نولدكه ٢ ، ص ٧٨ ، س ١٦ — ١٧ .

ويرى تسمرن (ص ٣٧ — ٣٨) أن هذه الكلمة السريانية منقولة عن (ميسر) الأكدية التي سبق ذكرها . ولكن ليس ثمة ما يبرر ذلك . فالكلمة الأكدية بالسين، والكلمة الأرامية بالزاي . والكلمة الأكدية خالية من نون العجز التي نجدها في الكلمة الأرامية؛ والثابت أن الأرامية فاقت سائر اللغات السامية في اشتقاق الأسماء بزيادة ميم في الصدر ونون في العجز .

٣) لا تستعمل السريانية الفعل أزر، ولكنها تدل على الإزار بصيغ اسمية ثلاث تشير إلى أن هذه اللغة كانت تستعمل قديماً الفعل أزر في هذا الصدد ثم أهملته . والسريانية تدل أيضاً على الإزار بصيغة اسمية مشتقة من الفعل أسر .

فالعربية والعبرية أكثر تخصيصاً من البابلية ، فهما تستعملان لشدّ الإزار مادة خاصة هي أزر مستقلة عن أسر العامة التي اكتفت بها البابلية (١). والسريانية تجمع بين المادتين، ففيها تخصيص وتعميم معاً .

وثمة لغة سامية أخرى، هي اللغة الأوجاريتية ، تدل على الإزار بصيغة تطابق مئزرة العربية تماماً(٢)، هي (م‌ءزرة)، وقد وردت مرة في أسطورة أقهت، ومرة أخرى في أسطورة بعل . انظر ج . ر. درايفر، ص ١٥٩ (عمود أ) و٤٨ — ٤٩ و١٠٨ — ١٠٩ . وقد تكون الكلمة أُزر الواردة في أسطورة أقهت (في مواضع عدة) بمعنى شد الإزار كما يرى بعض العلماء، ولكنها موضع خلاف شديد بين الباحثين . انظر درايفر، ص ١٣٤ (عمود ب) وهامش ١٢ فيها . وانظر أيضاً جراي The Legacy of Canaan : J. Gray (ليدن ١٩٥٧)، ص ٧٥ وهامش ٢ فيها .

وهكذا نجد أن أزر العربية لها نظائر في العبرية والأوجاريتية وبعض السريانية؛ وأن البابلية وبعض السريانية تستعملان في هذا الصدد أسر، وهي أعم في المعنى من أزر . والمادتان أزر وأسر متقاربتان بالطبع لفظاً ومعنى ، ولكن بعض اللغات السامية شاءت أن تخصص أزر لشد الأزار خاصة، ولم تقنع بأن تعبر عنه بأسر التي تدل على الربط عامة .

---

(١) بل الأكدية عامة . وأزر مهملة أيضاً في الحبشية والأرامية (عدا السريانية) . ففي هذه اللغات لا نجد إلا أسر (راجع المقدمة) .

(٢) نقول إزار ومئزر ومئزرة كما نقول لحاف وملحف وملحفة، ونطاق ومنطق ومنطقة، وقرام ومقرم ومقرمة . وقد يأتي فعال ومفعل دون مفعلة كما في حلاب ومحلب، وسنان ومسن، وعطاف ومعطف، وسراد ومسرد (وهو الإشفى أي مثقب الإسكاف) . انظر أدب الكاتب لابن قتيبة (ليدن ١٩٠٠، ص ٥٨٣)، وفليشر، ص ٢٢١ أسفل .

٦) أَزَلَ

ترد هذه المادة في العبرية والأرامية والعربية الجنوبية القديمة والحبشية .

ففي العبرية يرد الفعل المجرد āzal' (أزَل) في التوراة بمعنى «ذهب» أو «انصرف» (سفر الأمثال ٢٠ : ١٤) وبمعنى «نفد» (الماءُ : سفر أيوب ١٤ : ١١؛ والخبز : سفر صموئيل الأول ٩ : ٧؛ والقوة : سفر التثنية ٣٢ : ٣٦) .

كذلك يرد الفعل المجرد ăzal' (أزَل) في مختلف اللغات الأرامية(١) بمعنى «ذهب» أو «انصرف» . وقد يستعمل مجازاً بمعنى «مات» أي «ذهب (من الحياة)» !

فالذهاب أو الانصراف هو معنى أزل العبرية والأرامية . فإذا بحثنا عن هذا المعنى بين معاني أزل العربية وجدناه في الأزَل بمعنى القدم(٢) . ونحن في هذا نتفق مع فون أورلي Conrad von Orelli (Die hebräischen Synonyma der Zeit und Ewigkeit ، ليبزج ١٨٧١ ، ص ٦٨)، الذي يدحض على هذا الأساس ما يزعمه بعض اللغويين العرب من أن الأصل

---

(١) في الأرامية المصرية، وأرامية العهد القديم، والأرامية اليهودية، والأرامية الفلسطينية المسيحية، والسريانية (ezal' : إزل، بإمالة الهمزة) .

(٢) الأزل دوام الوجود في الماضي كما أن الأبـــد دوامه في المستقبل، والأزلي ما لا يكون مسبوقاً بالعدم (كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي، كلكتا ١٨٦٢، حـ ١، ص ٨٤) .

في الأزل والأزليّ هو لم يزل (١) . ونحن نتفق معه أيضاً في أن أزل بمعنى ذهب قريبة الصلة بمادة زال (يزول) في العربية نفسها (٢) .

. . .

ولننتقل الآن إلى العربية الجنوبية القديمة والحبشية .

ففي العربية الجنوبية القديمة وردت المادة أزل في اسم العلم (ي أز ل) [يأزِل ؟] الوارد في كثير من النقوش السبئية . انظر كونتي روسيني Chrestomathia Arabica Meridionalis Epigraphica) K. Konti Rossini روما ١٩٣١، ص ١٠٢، عمود أ)، وريكمانز (حـ ١، ص ٤٢، عمود ب؛ وحـ ٢، ص ٦٨، عمود أ) .

ويقارن كونتي روسيني مادة هذا العلم بأزَلَ العربية في معنى « حبس »

(١) يقول ابن فارس (حـ ١، ص ٩٧) : « وأما الأزل الذي هو القدم فالأصل ليس بقياس ولكنه كلام موجز مبدل ، إنما كان « لم يزل » فأرادوا النسبة إليه فلم يستقم ، فنسبوا إلى يزل، ثم قلبوا الياء همزة فقالوا أزلي، كما قالوا في ذي يزن حين نسبوا الرمح إليه : أزنى » . (يأخذ فرايتاج G. W. Freytag ، في قاموسه العربي – اللاتيني المعروف، بهذا الرأي بصدد « أزل ») .

ويقول الزمخشري في أساس البلاغة (حـ ١، ص ١١، عمود أ) : « وقولهم كان في الأزل قادراً عالماً وعلمه أزلي وله الأزلية مصنوع ليس من كلام العرب، وكأنهم نظروا في ذلك إلى لفظ لم أزل» .

وانظر شفاء الغليل للخفاجي، ص ١٧ و٣٧ .

وفي التاج : « قال شيخنا (يعني محمد بن الطيب الفاسي) : وقال قوم هو (أي الأزل) مشتق من الأزل (بتسكين الزاي) وهو الضيق، لضيق العقل عن إدراك أوله » !

(٢) يرى فون أورلي إذن أن الأزل (بمعنى القدم) يرتبط بمادة أزل العبرية الأرامية (بمعنى ذهب)، وأن أزل هذه متصلة بزال (يزول) العربية . وقد ردد فرنكل ٢ (ص ٧٠) هذا الرأي، دون أن يشير إلى صاحبه أو دون أن يعلم أنه قد سبق إليه بسبعة وعشرين عاماً، وذلك في رد له على بارت الذي يرى ٦ (ص ١٨) أن أزل العبرية الأرامية (التي تدل على الذهاب أو الانصراف) تقابل عزل العربية، وهو رأي سبقه إليه پين سميث (عمود ١٠٦) . وقد ربط فورست J. Fürst Hebräisches und chaldäisches Handwörterbuch) ، الطبعة الثالثة ، ليبزج ١٨٧٦، ص ٤٧، عمود ب أعلى) أزل العبرية الأرامية بزال العربية كما فعل فون أورلي قبله .

أو «منع»، ويشير أيضاً إلى azāl (أَزالْ) الحبشية ومعناها «الرجل القوي الشديد»(١) . فالمعنى الملحوظ في العلم السبئي يأزل هو الشدة والتضييق على الأعداء .

والواقع أن المعنى الغالب على أزل العربية هو الضيق والشدة، وهي في هذا مثل أزم العربية، فأزل وأزم متقاربان لفظاً ومعنى . وقد وجدنا هذا المعنى أو ما يقرب منه في السبئية (في اسم العلم يأزل) والحبشية (في أزالْ)، ولكن لم نجده في أزل العبرية الأرامية . فهذه لا تدل إلا على معنى الذهاب أو الانصراف .

ولكن يرى بارت ٦ (ص ٥٢) أن المادة ألص في العبرية والأرامية التي تدل على معنى الضيق والشدة هي أصل أزل العربية (التي تدل على المعنى نفسه)، قلبت الصاد المهموسة زاياً مجهورة مشابهة للام ثم قدمت على اللام . وهو رأي ضعيف، فالتقارب الذي لاحظناه بين أزل وأزم دليل على أن الزاي أصلية لا منقلبة عن حرف آخر(٢) .

والخلاصة :

١) المعنى الغالب على أزل العربية، وهو الضيق والشدة، لا نجده في العبرية أو الأرامية، ولكن نجده في نطاق ضيق في السبئية والحبشية .

٢) المعنى الغالب على أزل العبرية الأرامية، وهو الذهاب أو الانصراف، نادر الورود في العربية، ومنه الأزل بمعنى القدم .

ولكن ما الصلة بين معنى الضيق والشدة الغالب في العربية، ومعنى

---

(١) ولكن دلمان ٢ (عمود ٧٩١) يربط الكلمة الحبشية بالفعل العربي أزر، وهو رأي لا أرجحه .

(٢) يقول فرنكل ٢ (ص ٨٢) إنه يفضل ربط ألص العبرية (الأرامية) بالمادة لز العربية، ولكننا نلاحظ أن لز تدل على الملاصقة والملازمة، وهو معنى يختلف عن معنى الضيق الذي تدل عليه ألص.

الذهاب أو الانصراف الغالب في العبرية والأرامية؟ هي في رأينا الصلة بين ضدّين . فالحبس والمنع والشدة والتضييق ضدّ لإطلاق السراح وما يستتبعه من ذهاب وانصراف . وقد اجتمع المعنيان تقريباً في أزلَ فلانٌ الفرسَ إذا قصّرَ حبله ثم سيّبه (القاموس) .

٧) إزْمِيلٌ

الإزميل شفرة الحذّاء (الصحاح، اللسان، القاموس)، يقطع بها الأديم (التاج) . قال عَبْدة بن الطبيب :

عَيْهَمَةٌ ينتحي في الأرض مَنْسِمُها كما انتحى في أديم الصِّرف إزميلُ(١)

(شرح المفضليات للأنباري، ص ٢٧٥، القصيدة ٢٦، البيت ٢١ . وكذلك في الأمالي للقالي (ط دار الكتب المصرية ١٩٢٦، حـ ١، ص ٢٦) وذيل الأمالي (مع الأمالي في الطبعة المذكورة، ص ١٦٩) . ولكن في التاج : عيهامة وهي الناقة السريعة؛ وفي اللسان عيرانة. والعيرانة من الإبل الناجية في نشاط) .

ويروي ابن دريد في كتاب الاشتقاق (ط جوتنجن ١٨٥٤، حـ١، ص ٧٦) قول شاعر من خزاعة في أبي لهب عندما حماه أخواله من خزاعة أن تقطع قريش يده لسرقة الغزال من الكعبة :

هُمُو منعوا الشيخَ المنافيَّ بعدما رأى حَمّةَ الإزميلِ فوق البَراجِمِ

---

(١) عن شرح المفضليات : العيهمة الشديدة التامة الخلق، والجمع العياهيم . وينتحي يعتمد . والمنسم طرف خف البعير . والصرف صبغ أحمر تصبغ به الجلود . شبهها بالإزميل ، أي أنها تؤثر في الأرض لفضل قوتها كما يؤثر الإزميل في الأديم، أو هذه الناقة ليس في سيرها إخطاء مثل قاطع الأديم المصبوغ بالصرف ، يتوقى فيه الخطأ لكرامته عليه لأنه لا يصبغ بالصرف إلا الأديم الجيد .

ويشرح ابن دريد البيت بقوله : « الإزميل الشفرة، والحمة حدّها، والبراجم أصول الأصابع التي تظهر في ظاهر الكف إذا قبضت على شيء » . وأورد ابن دريد البيت في الجمهرة أيضاً (ح ٣، ص ١٧ — ١٨ و٣٧٦) .

والإزميل أيضاً حديدة كالهلال تجعل في طرف رمح لصيد بقر الوحش (اللسان، التاج) .

وقيل الإزميل أيضاً المطرقة (اللسان، التاج) . ولكن انظر استدراكنا فيما بعد .

.....

الكلمة معربة، أصلها يوناني هو *σμίλη* (سمـِيلي، بإمالة حركة اللام إمالة طويلة) . وتطلق الكلمة اليونانية على سكين للقطع (كمبضع الجرّاح، وشفرة الحذّاء، والسكين يُقلـّم بها الكرم، والمطواة أو المبراة penknife)، وآلة للنحت (إزميل المثّال) . ولم تنتقل الكلمة اليونانية إلى العربية مباشرة، وإنما دخلتها من طريق الأرامية . ففي الأرامية اليهودية (والعبرية المتأخرة) izmēl (إزميل) أو uzmēl (أُزميل) «آلة قاطعة» أو «سكين»؛ وفي السريانية zᵉmīlyā (زمِيلْيا) أو zᵉmelyā (زملْيا) «مطواة» (١) .

ومن هذا يتبين أن معنى المطرقة الذي ينسب إلى الإزميل ليس من معانيه الأصلية .

وقد زادت العربية على اليونانية والأرامية فاستعملت الكلمة على سبيل المجاز، فقالت رجل إزميل أي شديد، ورجل إزميل أي شديد الأكل شبه بالشفرة (اللسان، التاج) .

---

(١) انظر فرنكل ١ ، ص ٢٥٧ .

وتورد المعاجم الإزميل في مادة زمل، وإن لم تمتّ إليها بصلة . وقد اعترف بهذا ابن فارس، مادة زمل (حـ ٣، ص ٢٥ — ٢٦)، فقد أورد معنيين أصليين لهذه المادة أحدهما يدل على حمل ثقل من الأثقال، والآخر صوت، ثم قال : «ومما شذّ عن هذين الأصلين الإزميل : الشفرة» .

٨) إِسْتارٌ

في الصحاح (مادة ستر) : «والإستار، بكسر الهمزة، في العدد أربعة(١) قال جرير(٢) :

قُرِنَ الفرزدقُ والبعيثُ وأمُّهُ   وأبو الفرزدق قُبِّح الإستارُ(٣)

(١) «يقال أكلت إستاراً من خبز، أي أربعة أرغفة» (اللسان) . «وهو في كلام أهل التفسير والقراء أربعة نفر : عاصم وحمزة والكسائي والأعمش» (شفاء الغليل للخفاجي، ص ١٤) .
ويقول السيرافي (المعرب للجواليقي، ط ليبزج، ص ١٢ = ط القاهرة، ص ٤٢ — ٤٣) : «الإستار رابع أربعة، ورابع القوم إستارهم» .
فالإستار في العدد له معنيان : الأربعة والرابع . والمعنى الأول هو الغالب، والثاني متفرع عنه .

(٢) في النقائض (ص ٨٦٣)، والديوان (ط عبدالله الصاوي، القاهرة ١٩٣٤، ص ٢٠٨) ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس (حـ ٣، ص ١٣٢)، وشفاء الغليل للخفاجي (ص ١٤) .

(٣) في النقائض (ص ٣٣٤) شاهد آخر لجرير :

إن الفرزدق والبعيث وأمه   وأبا البعيث لشر ما إستار

وهو أيضاً في الديوان (ص ٣١٧)، والأمالي لأبي علي القالي (ط بولاق، حـ ٢، ص ٢٣٤ أسفل = ط دار الكتب، حـ ٢، ص ٢٣١)، وسمط اللآلي (حـ ٢، ص ٨٥٥)، والأغاني (ط بولاق، حـ ٧، ص ٣٩ = ط دار الكتب، حـ ٨، ص ٥) . وفي الأغاني أيضاً (ط الساسي، حـ ١٩، ص ٦) : «قيل للمفضل الضبي : الفرزدق أشعر أم جرير؟ قال : الفرزدق، قال : قلت : ولم؟ قال : لأنه قال بيتاً هجا فيه قبيلتين ومدح فيه قبيلتين فقال :

عجبت لعجل إذ تهاجي عبيدها   كما آل يربوع هجوا آل دارم

فقيل له : قد قال جرير : (البيت)، فقال : وأي شيء أهون من أن يقول إنسان فلان وفلان وفلان والناس كلهم بنو الفاعلة؟» .

والبيت أيضاً في اللسان والتاج . ويرد باختلاف في الشطر الثاني في المعرب للجواليقي (الموضع المذكور) وأساس البلاغة للزمخشري (حـ ١، ص ٤٢٢) : «وأبا الفرزدق شر ما إستار»؛ وقد أشار اللسان أيضاً إلى هذه الرواية الثانية .

وقال الأخطل :

لعمرك إنني وابني جُعَيْلٍ وأمَّهما لإستارٌ لئيمُ(١)

وقال الكميت (٢) :

أبلغ يزيد وإسماعيل مَألُكةً ومنذراً وأباه شرَّ إستارِ(٣)

---

(١) في الديوان (نشره الأب أنطون صالحاني اليسوعي، بيروت ١٨٩١، ص ٣٩٧)، والأغاني (ط بولاق، حـ ٨، ص ١٧٠ = ط دار الكتب، حـ ٨، ص ٢٨١)، والأمالي لأبي علي القالي (الموضع المذكور)، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس (الموضع المذكور) .
وفي كلتا الطبعتين من الأمالي (طبعتي بولاق ودار الكتب) يرد « جعيل » (مصغراً)، ولكن كتب القالي في الأصل « جعال » (بكسر الجيم)، وهو خطأ نقله عنه السيوطي في المزهر (ط بولاق ١٣٨٢ هـ، حـ ٢، ص ٢١٧ = ط محمد أحمد جاد المولى وزميليه، حـ ٢، ص ٤٢٩)، ولكن نبه عليه أبو عبيد البكري (كتاب التنبيه على أوهام أبي علي في أماليه، ط دار الكتب ١٩٢٦، ص ١١٨)، فقال : « ليس في الشعراء من يقال له ابن جعال البتة، وإنما أراد أبو علي — رحمه الله — ابني جعيل : كعباً وعميرة (بفتح فكسر) التغلبيين فقال : ابنا جعال » . وانظر سمط اللآلي (حـ ٢، ص ٨٥٣ مع الهامش الثاني) .
(٢) ذكره أيضاً صاحب اللسان .
(٣) ثمة شاهد آخر أورده الجواليقي (الموضع المذكور) هو قول الأعشى :

توفي ليوم وفي ليلة ثمانين نحسب إستارها

ويشرح الجواليقي البيت بقوله: «توفي (بضم ففتح فكسر مشدد) يعني القارورة الكبيرة، إذا شربوا بالصغير ثمانين يكون بالكبير أربعة، كل عشرين واحد » .
وفي الديوان (ص ٢١٤) واللسان « يحسب» مكان «نحسب »، ولكن في (طبعة بولاق من) اللسان ضبطت « يحسب » بضم فسكون ففتح (على البناء للمجهول) ورفعت « إستارها » (على أنها نائب فاعل)، وهو خطأ لأن قافية القصيدة بفتح الراء . وواو «توفي» مضمومة في طبعة اللسان، وهو خطأ آخر نبه عليه ناشر الطبعة المصرية من المعرب .

والإستار أيضاً وزن أربعة مثاقيل ونصف(١) . والجمع الأساتير(٢) » (انتهى كلام الصحاح) .

وفي المعرب للجواليقي (الموضع المذكور) : « قال أبو سعيد (السيرافي) : سمعت العرب تقول للأربعة إستار ، لأنه بالفارسية جِهار ، فأعربوه فقالوا إستار ... ... وهـذا الوزن الذي يقال له الإستار معرب أيضاً، أصله جهار، فأعرب فقيل إستار... »

ويعلق ساخاو على ذلك بقوله (ص ٦ — ٧ من القسم الألماني من طبعته لمعرب الجواليقي) إنه يستحيل من الناحية الصوتية تفسير إستار على أنها معرب چَهـار، وإنمـا هي في الواقع من estērā' (إسْتيرا) السريانية [بإمالة حركة التاء] التي ترجع إلى στατήρ (ستاتير) اليونانية(٣) .

---

(١) في مفاتيح العلوم للخوارزمي (ص ١٤ آخر سطر – ١٥) : « الإستار ربع عشر منا »، وفيه قبل ذلك (ص ١٤) : « المنا وزن مائتين وسبعة وخمسين درهماً وسبع درهم، وبالمثاقيل مائة وثمانون مثقالا ، وبالأواقي أربع وعشرون أوقية ... المثقال زنة درهم وثلاثة أسباع درهم » .

فالإستار = $\frac{١}{٤٠}$ من المنـا (= المن) . ولما كان المنا = ١٨٠ مثقالا، فإن الإستار $٤\frac{١}{٢}$ من المثاقيل تماماً كما في الصحاح . ولما كان المنا = $٢٥٧\frac{١}{٧}$ من الدراهم، فإن $\frac{١}{٤٠}$ من ذلك (أي قيمة الإستار) = $٦\frac{٣}{٧}$ من الدراهم، أي حوالى ستة دراهم ونصف درهم كما تقول المعاجم الفارسية (كما سيلي) . ولما كان المنا ٢٤ أوقية، فإن $\frac{١}{٤٠}$ من ذلك (أي قيمة الإستار) = $\frac{٣}{٥}$ من الأوقية .

والخلاصة أن الإستار = $\frac{١}{٤٠}$ من المنا = حوالي $٦\frac{١}{٢}$ من الدراهم = $\frac{٣}{٥}$ من الأوقية .

(٢) « وقال أبو حاتم : يقال ثلاثة أساتر » (اللسان) .

(٣) يرى بروكلمان (Syriaca ، بمجلة ZA ، المجلد ١٧ (١٩٠٣)، ص ٢٥٢ – ٢٥٣) أن إستيرا السريانية لم تجيء من الصيغة اليونانية الكلاسيكية στατήρ ولكن من الصيغة العامية σατήρ (ساتير) التي حذفت منها التاء الأولى على سبيل المخالفة dissimilation لورود تاء أخرى في الكلمة بعد ذلك . وهو يرى أيضاً أن السريانية أتت بتاء لا طاء مقابل التاء اليونانية على سبيل المشابهة assimilation ، لورود سين (وهي حرف غير مطبق) قبل التاء، فلم تأت بطاء كما هو المألوف حتى لا يتنافر الحرفان (السين والطاء) .

وستاتير اليونانية هذه اسم عملة يونانية قديمة متفاوتة القيمة كانت تتخذ من الذهب أو الفضة ؛ وقد اشتهر منها الستاتير الفضي ، وكانت قيمته أربعة دراهم drachms (وكان الدرهم يساوي ما قيمته الآن ٩ ٣/٤ من البنسات الإنجليزية) .

وكان الإستار السرياني (أ) عملة تساوي شاقلاً يهودياً(١) أو أربعة دراهم يونانية؛ (ب) ووزناً يساوي نصف أوقية(٢) . وكان يساوي أربعاً من عملة أو وزن أقل قيمة اسمه بالسريانية zūzā (زُوزا)، وكان هذا : (أ) عملة تساوي درهماً يونانياً أو ١/٤ شاقل يهودي، (ب) ووزناً يساوي ١/٨ أوقيــة . انظر پين سميث (عمود ٣٢٥) وملحقه (ص ٣٠ أ) وبروكلمان ٤ (ص ٣٨ ب) .

وفكرة الأربعة واضحة في الكلمتين اليونانية والسريانية من جهة دلالتهما على الدراهم الأربعة .

وقد انتقلت كلمة ستاتير أيضــاً إلى التلمود (ʾistēra [إسْتيرا]) ؛ انظر ليڤي ٢ (حـ ١، ص ١٣٥ ب) ودالمان (ص ٣٢ ب) . وفي الأرامية الفلسطينية المسيحية (عن اليونانية أيضاً) ester (إسْطير) (إنجيل متى ١٧ : ٢٧) ؛ انظر شلتس(٣) (ص ١٥ أ) .

وقد دخلت الكلمة اليونانية المعجم الأكدي أيضاً، ففي البابلية المتأخرة istatirranu (Late Babylonian) (إسْتاتِرّانُ)، جمع istatirru * (إسْتاتِرٌ)،

---

(١) في الترجمة السريانية للتوراة نجد إستيرا نظير šeqel (شقل) « شاقل » العبرية ، كما في سفر الخروج ٢١ : ٣٢ وسفر صموئيل الثاني ٢٤ : ٢٤ وسفر الملوك الثاني ٧ : ١ و١٦ و١٨ .

(٢) لاحظ أن الإستار العربي كان كما رأينا يساوي ٣/٥ من الأوقية؛ وهذا قريب من نصف أوقية.

(٣) F. Schulthess, Lexicon Syropalaestinum; Berolini, 1903.

أي الستاتير اليوناني . انظر قاموس شيكاغو الأشوري، المجلد السابع (١٩٦٠)، ص ٢٠٤ ب؛ وفون سودن ٢، ص ٣٨٩ ب .

والكلمة اليونانية هي أيضاً أصل إستار في الفارسية بمعنى أربعة إطلاقاً، واسماً لوزن يبلغ أربعة مثاقيل ونصف مثقال أو ستة دراهم ونصف درهم. والفارسية تسمى هذا الوزن أيضاً أسْتير . انظر فولرز (ح ١، ص ٩٣و٩٦) وستاينجاس (ص ٤٩ ب) . فهنا تطابق في المعنى بين العربية والفارسية .

٩) أَسَدٌ

الأسد هو الليث في لغتنا (العربية الشمالية) .

وهو في العربية الجنوبية القديمة (مجازاً) المحارب أو الجندي، كما في النقوش السبئية التالية :(١)

١) CIH ٨٢ : ٧ – ٨ : ... بن | زخنت | زخن | بموطنن | بقسح | أسدن ... «من الجُرح الذي جُرحه في الموطن بغلظة(٢) المحاربين» .

---

(١) يضيف مورتمان – متفوخ Mordtmann — Mittwoch (Sabäische Inschriften) هامبورج ١٩٣١، ص ٢٣١ – ٢٣٣) النقشين السبئيين CIH ٧١٨ (= RÉS ١٨٨) و CIH ٨٢٩ (= Burchardt ١) (والنقش الثاني هو رقم ١٧٠ في كتابهما المذكور)، ويعتبران عبارة (بن أسدن) في هذين النقشين، وهي ترد في كليهما بعد اسم علم، بمعنى «من الأسد» (بضم الهمزة وسكون السين)، أي «من المحاربين» (راكبي الإبل Kamelreiter في رأيهما) . ولكن قد يكون أسدن هنا اسم قبيلة (أسدان) حسب ترجمة RÉS للنقش الأول وحسب ريكمانز (ح ١، ص ٤٦ أ) فيما يتعلق بالنقش الثاني .

(٢) تدل مادة قسح في العربية (الشمالية) على معنى الصلابة .

٢) CIH ٣٣٤ : ٧ — ٨ : ... وتقدمو (١) | ثنى | مأتن | أسدم | بن | شعبن | حملن ... « وتقدم مائتا محارب من قبيلة حملان » .

٣) CIH ٣٥٠ : ٢ — ٣ : ... وتقدم | مأتن | أسدم | وهغرو | عدى | أرض | حميرم ... « وتقدم مائتا محارب وأغاروا حتى أرض حمير » .

وانظر أيضاً س ٤ (١٥٠ أسدم) وس ٩ (١١٠٠ أسدم) .

٤) CIH ٣٥٣ : ١٣ : ... وهرجو | عشرى | وثلث | مأتم | أسدم ... « وقتلوا ثلثمائة وعشرين محارباً » .

٥) CIH ٤٠٧ : ٢٤ — ٢٥ : ... وحمدم | بذت | خمر | عبدهو | أبكرب | هرج | ثلثت | أسدم ... « وحمداً لأنه مَنَّ على عبده أبي كرب بقتل ثلاثة محاربين » .

٦) جـــلازر ١٥٧١ : ٢ : ... أسد أملكن ... « جنـــود الملوك » (الجنود الملكيون) .

٧) جلازر ١٠٠٠ A (= RÉS ٣٩٤٥) س ٩ : ... وأسد | عبدن ... « وجنود عبدان » .
وانظر أيضاً س ١٢ .

وهناك استعمال ثان للأسد في العربية الجنوبية القديمة متطور عن الاستعمال الأول، هو إطلاقه على الرجل عامة (خلاف المرأة) وذلك كما في النقوش الآتية :

١) CIH ٦٩ : ٣ : ... كل | أسدن | وأنثن ... « كل الرجال والنساء » (نقش سبئي) .

---

(١) هكذا قرأ مورتمان هذه الكلمة الناقصة في الأصل . انظر تعليق CIH على س ٧ — ٨ .

٢) RÉS ٢٨٧٦ : ٤ : ... أسدن | وأبيتن ... «الرجال والبيوت» (نقش سبئي).

٣) SE ٤٥ : ٥ – ٦ : ... أسدم | وبنتم ... «رجالاً ونساءً» (نقش سبئي).

٤) جلازر ١٣٩٦ (= RÉS ٣٨٥٤). س ٤ : ... | وأي | أي | أسدم ... «وأي رجل» (نقش قتباني).

٥) RÉS ٢٦٨٧ :٥ : ... شلسن | أورخم | بعشري | ومئة | أسدم... «في ثلاثة شهور وبمائة وعشرين رجلاً» (تمَّ البناءُ) (نقش حضرمي).

ومن معنى الرجل تطور استعمال أسد اسم موصول بمعنى مَن (للمفرد والجمع) وذلك كما في النقوش السبئية CIH ٨٤ : ٤ وCIH ٢٨٧ (نامي ٥٨) س ١ وRÉS ٤٧٢٧ : ٧؛ والنقوش المعينية جلازر ٢٨٢ (= RÉS ٣٣٠٦) س ١ وجلازر ٢٩٩ (=RÉS ٣٣١٨) س ٨، و RÉS ٣٠١٢ :٢٠=٣٠١٣: ١؛ والنقش القتباني جلازر ١٦٠٦ (= RÉS ٣٥٦٦) س ٢٣ (أسدم). انظر ماريا هوفنر (ص ٥٣)؛ وبيستون، ص ٥١ (الفقرة ٤٠ :٧)؛ وردوكاناكس N. Rhodokanakis : Studien zur Lexikographie und Grammatik des Altsüdarabischen، حـ ٢ (ڤينا ١٩١٧)، ص ١٤٠ .

ففي العربية الجنوبية القديمة لم يرد الأسد بمعنى الليث (كما في العربية الشمالية)، وإنما ورد بمعنى مجازي هو المحارب أو الجندي، تطور بعد ذلك إلى معنى الرجل عامة، ثم إلى معنى اسم الموصول «مَن». ومن الجدير بالملاحظة أن معنى المحارب خاص بالنقوش السبئية، بينما نجد المعنيين الآخرين في السبئية وغيرها من اللهجات العربية الجنوبية القديمة.

واستعمال الأسد بمعنى المحارب في السبئية بُني طبعاً على أن المحارب

كالأسد في شجاعته وشدة فتكه . يقول إشعيا في وصف جيش العـدو الذي سيسلطه الرب على بني إسرائيل (٥ : ٢٩) : « له زئير كاللبؤة؛ يزأر كالأشبال ويَنْهِم(١) ويمسك بالفريسة، ويستخلصها (لنفسه) فلا منقذ (لها) » . ويقول إرميا مشبهاً إسرائيل بالفريسة (٢ : ١٥) : « زمجرت عليه الأشبال، أطلقت صوتها؛ وجعلت أرضه خربة، أُحرقت مدنه فلا ساكن فيها » .

ولا نجد الأسد بمعنى الليث في الحبشية والعبرية والأرامية ، وإن وجدنا فيها مادة أسد نفسها . فالليث في الحبشية هو ‘anbasā (عَنْبَسا)، ونظيره في العربية عَنْبَسٌ وعُنابِسٌ، من عبس وجهه إذا كلح؛ ويقال في العربية أيضاً للأسد : العابس والعبوس والعبّاس .

والليث في العبرية له عدة أسماء : ’ărī (أَرِي) أو ’aryē (أَرِيـي) وlayiš (لَيِش) (من مادة الليث) (٢) وšaḥal (شَحَل) (في النصوص الشعرية فقط) . ومادة اللفظ الأخير هي سحل؛ يقال سحل البغل سحيلاً وسُحالاً نَهَق . والسحيل والسُّحال الصوت يدور في صدر الحمار؛ فهذا الاسم لوحظ فيه زئير الأسد .

والليث في الأرامية هو ’aryā (أَرْيا) (في الأرامية اليهودية والسريانية وغيرهما) و leṯā (لِيتا) (من مادة الليث) (في الأرامية اليهودية) .

---

(١) نهم الأسد ينهم (من باب جلس) صوت؛ واللفظ العربي مطابق للفظ العبري هنا تمام المطابقة.

(٢) يرى بروكلمان (في مقاله Das assyrische 1، بمجلة ZA، المجلد ١٥(١٩٠٠)، ص ٣٩٦ ؛ وفي كتابه ٢ ، حـ ١، ص ٢٣١) أن nēšu (نيش) « الأسد » في الأكدية يطابق الليث اشتقاقاً، قلبت اللام نوناً قبل حرف الصفير (الشين) . ولكن الرأي السائد الآن أن الكلمة الأكدية ومؤنثها nēštu (نيشت) من مشتقات الفعل الأكدي nēšu (نيش) «عاش، حيي». ومادة هذا الفعل هي نحش التي نجدها أيضاً في العبرية والعربية : نحش في العبرية = حنش في العربية «الثعبان» ؛ اشتق هذا الاسم من أسماء الثعبان (الحنش) من فعل يدل على الحياة كما اشتقت الحية من حيي يحيا .

وهكذا نرى أن الحبشية والعبرية والأرامية لا تستعمل الأسد بمعنى الليث . ولكن مادة أسد ترد فيها كما قلنا ، فما دلالتها ؟

أولاً – في الحبشية :

تتمثل مادة أسد في الفعل soṭa (سُوطَ) المتطور صوتياً عن أسد، ومعناه « صبَّ، أراق » : الماء (الخروج ٣٠ : ١٨)، الدم (حزقيال ٢٤ : ٧) (١)، الزيت (التكوين ٢٨ : ١٨ وسفر اللاويين ١٤ : ١٥)، (مجازاً) الغضب (حزقيال ٢٠ : ٨(١) و٣٦ : ١٨(٢))، البَرَكة (ملاخي ٣ : ١٠) الخ .

ويرد من هذا الفعل بعض أوزان الفعل المزيد وبعض الأسماء المشتقة . انظر دلمان ٢ ، العمودين ٣٨٨ – ٣٨٩ .

ثانياً – في الأرامية :

نظير مادة أسد في الأرامية هو أشد (بشين مقابل السين حسب القاعدة الصوتية المعروفة)، ونجده في الأرامية المصرية والأرامية اليهودية والسريانية :

١ – الأرامية المصرية :

أحيقار ٨٩ : ودمه يأشد وبسره يأكل ... « ويسفك (الأسدُ المذكور في السطر السابق) دمه (دم الأيّل ، ذكر الأوعال، المذكور في السطر السابق) ويأكل لحمه » .

---

(١) مقابل الفعل العبري شفك (سفك) .

(٢) الفعل العبري هنا أيضاً سفك : « فصببت (سفكت) غضبي عليهم لأجل الدم الذي سفكوه على الأرض ... » . فالفعل سفك يستعمل هنا مرة على سبيل المجاز ومرة على سبيل الحقيقة .

٢ ـ الأرامية اليهودية (١) :

أ) في الترجوم (٢) :

يدل الفعل ʾăšad (أشَد) على معنى سفك (الدم) : سفر اللاويين ١٧ : ٤، المزمور ١٠٦ : ٣٨ («وسفكوا دماً زكياً..»)، حزقيال ١٨ : ١٠ و٣٦ : ١٨؛ التثنية ١٢ : ١٦ و٢١ : ٧ (أنكلوص)، التكوين ٩ : ٦، العدد ٣٥ : ٣٣ (أنكلوص)؛ وعلى معنى أراق (الماء) : الخروج ٤ : ٩؛ وعلى معنى ألقى (الرمادَ) : سفر اللاويين ٤ : ١٢ . ويستعمل على سبيل المجاز في المزمور ٤٢ : ٥ : «أسكب نفسي عليَّ ...» ،والمزمور ١٤٢ : ٣ : «أسكب أمامه حديثي ...» .

ويرد هذا الفعل في وزن افتعل بمعنى سُفِك (الدمُ) : العدد ٣٥ :٣٣ (أنكلوص)، التكوين ٩ : ٦، صموئيل الأول ٢٦ : ٢٠؛ وبمعنى أُريق (الماء) : صموئيل الثاني ١٤ : ١٤ . ويستعمل على سبيل المجاز في مراثي إرميا ٢ : ١١ : «... انسكبت على الأرض كبدي» و٢ : ١٢ «...إذ سُكبت (زُهقت) نفسهم ...» .

ب) في التلمود :

ʾāšed dᵉmā (آشِد دما) «سافك دم، قاتل» (شَبّات ١٥٦ أ) .

٣ ـ السريانية (٣) :

يستعمل الفعل ʾesad (إشَد) ومشتقاته في السريانية على نحو ما رأينا من

---

(١) انظر ليڤي ١، ـ ١، ص ٧١ أ، و ٢ ـ ١، ص ١٧٦ ب .

(٢) مقابل الفعل العبري سفك في كل المواضع تقريباً .

(٣) انظر بروكلمان ٤ ، ص ٥٢؛ وپين سميث، العمودين ٤٠٤ ـ ٤٠٥، وملحقه، ص ١٣٩

استعمالات في الأرامية اليهودية . مثال ذلك : « سفك » (الدمَ) : التكوين ٩ : ٦ (مقابل سفك في العبرية)، رسالة بولس الرسول إلى أهل روما ٣ : ١٥ (وأرجلهم سريعة إلى سفك الدم)؛ وفي وزن افتعل « سُفِك » (الدمُ) : التكوين ٩ : ٦ (مقابل سفك في العبرية)، أريقت (الخمرُ) متى ٩ : ١٧ .

ثالثاً — في العبرية :

لا نجد في عبرية التوراة من هذه المادة سوى الاسم ʾāšed* (أَشِد) «سَفْح الجبل» . ومن الجلي أن مرجع هذه الدلالة «سَفَحان» مياه الأمطار والينابيع على جانب الجبل (١) .

ومن هذا كله يتبين أن مادة أسد في الحبشية والأرامية والعبرية تدل على معنى صبَّ أو أراق (حقيقة أو مجازاً)، ومنه سفك الدم خاصة . وهذا المعنى لا نجده صراحة في العربية، ولكنه سامي قديم لوجوده في الحبشية والأرامية والعبرية جميعاً . فلعلّ الأسد (الليث) في العربية سمي كذلك لأنه سفّاك (للدماء)؛ راجع نص أحيقار ٨٩ فيما مضى . ويؤيد هذا إلى حدّ ما أن من أسماء الأسد « الهصور » وأن « الهَرِس » هو الأسد الشديد الكسر والأكل .

. . .

قلنا إننا لا نجد معنى الصبّ والإراقة صراحة بين دلالات مادة أسد في العربية . ولكن نولدكه (بمجلة ZDMG ، المجلد ٤٠ (١٨٨٦)، ص ١٦٠، الهامش الرابع) يربط بين أشد (الأرامية) التي تدل على ذلك المعنى وأسد العربية التي تدل في بعض أوزانها (آسدَ ، أوْسَدَ) على

(١) مثل ذلك في العربية الصبب (محركة) ما انحدر من الأرض .

معنى الإثارة والتحريض hetzen (١)، ويرى أن الأسد (الليث) كان معناه في الأصل «المنقضّ» darauf losstürzend ، أي الذي يصب نفسه ويلقي بها على الفريسة(٢) . وهذا رأي جائز نضيفه إلى رأينا السابق الذكر ؛ وللقارئ أن يختار بينهما .

١٠) أَسْطُبَّةٌ أو أُصْطُبَّةٌ

يقول الفيروزابادي (في سطب وصطب) : «الأسطبة والأصطبة(٣) مُشاقة(٤) الكتان» .

---

(١) يستشهد نولدكه على هذا المعنى بقول امرىء القيس يصف كلاب الصيد (كتاب العقد الثمين في دواوين الشعراء الستة الجاهليين ، نشره W. Ahlwardt ، لندن ١٨٧٠ ، ٣١ : ٩ ، ص ١٣٥) :

مغرثة زرقاً كأن عيونها من الذمر والإيساد نوار عضرس

(مغرثة : مجوعة — الذمر : الحض — العضرس : عشب أشهب الخضرة) . وفي رواية : من الذمر والإيحاء (شرح ديوان امرىء القيس لحسن السندوبي، القاهرة ١٩٣٩، ص ١٠١) .

ومعنى الإثارة (في حالة التعدي) أو الثورة (في حالة اللزوم) نجده في:

١) أسد (كفرح) : غضب وسفه (القاموس) .

٢) أسد (كضرب): أفسد بين القوم (القاموس) . قارن بذلك المضعف الثلاثي دس .

٣) آسد الكلب وأوسده (ذكرهما نولدكه) وأسده (بتشديد السين) أغراه ، واستوسد (للبناء المجهول) هيج (القاموس) .

وباقي مادة أسد في العربية يدور أغلبه حول الأسد (الليث) ومعنى الشجاعة والقوة المرتبطة به .

(٢) انظر نولدكه ٤ ، ص ٩٩ .

(٣) ترد الصيغتان أيضاً في معيار اللغة، ولكن يورد اللسان الصيغة التي بالصاد فقط (مادة صطب) . وانظر دوزي، المواد أشتب (حـ ١، ص ٢٤ ب) وأشوپ (ص ٢٦ أ) واصطب (ص ٢٦ ب) :

R. Dozy, Supplément aux dictionnaires arabes. 2 tom. 2 éd. Leyde 1927.

(٤) في القاموس : «المشاقة كالثمامة ما سقط من الشعر أو الكتان عن المشط أو ما طار أو ما خلص» .

وفي الحديث(النهاية لابن الأثير ، حـ ١ ، ص ٣٣ أسفل ، مادة أصطب)(١) « رأيت أبا هريرة وعليه إزار فيه علق(٢) وقد خيطه بالأصطبة » .

والكلمة معرب stuppa (ستُپّا) اللاتينيـــة المأخوذة عن στύππη (ستُپي ، بإمالة الحركة الأخيرة) اليونانية(٣). والكلمتان اللاتينية واليونانية هما « النسيج الخشن من الكتان أو القنب » . انظر فرنكل ١ ، ص ٢٣٠ .

١١) إِسْطَبْلٌ أو إِصْطَبْلٌ

في القاموس : « الإصطبل ... موقف الدوابّ(٤) شامية » .

وأورد ابن دريد في الجمهرة الإسطبل(٥) (حـ ٣، ص ٣١٠، العمود الثاني، س ٦) والإصطبل (حـ ٣، ص ٣١١، العمود الثاني، س ١٤) معقّباً بأنه « ليس بعربي » أو « ليس من كلام العرب » .

وقد أصاب الفيروزابادي إذ قال إن الكلمة « شامية »، فهي دخيلة من الأرامية . ففي الأرامية اليهودية isṭablā’ (إسْطَبْلا) أو iṣṭablā’ (إصْطَبْلا) ؛ وفي السريانية esṭablā’ (إسْطَبْلا، بإمالة الهمزة) وقليلاً

(١) انظر في هذا الحديث أيضاً الفائق للزمخشرى (حـ ٢، ص ٩١، مادة علق) واللسان (مادة صطب) .

(٢) في القاموس : « أصاب ثوبه علق بالفتح وبالتحريك خرق من شيء علقه» .

(٣) أصاب الخفاجي (ص ٩) إذن حين قال إن الأصطبة معربة استبى .

(٤) قال أبو نخيلة السعدي لبقال يقال له ماعز الكلابي باليمامة (الأغاني، ط بولاق، حـ ١٨ ص ١٤٤) :

يا ماعز القمل وبيت الذل   بتنا وبات البغل في الإصطبل

(٥) يزعم ناشر الطبعة المصرية من المعرب للجواليقي (ص ١٩، الهامش الثالث) أن الإسطبل بالسين (كما في طبعة ليبزج من المعرب، ص ١٤) خطأ . ولكن ها نحن نرى الكلمة في الجمهرة .

eṣṭablāʾ (إصْطَبْلا، بإمالة الهمزة) . والأصل في هذا كله stabulum اللاتينية .

فالصيغة التي بالسين في العربية والأرامية أصل للصيغة التي بالصاد فيهما، قلبت السين صاداً (مطبقة) لتشبه الطاء (المطبقة) بعدها . انظر فرنكل ١ ، ص ١٢٣ — ١٢٤ .

١٢) أَسْطُرْلابٌ أو أَصْطُرْلابٌ

يقول الخوارزمي (ص ٢٣٢ آخر سطر — ٢٣٣) : « والأصطرلاب(١) معناه مقياس النجوم، وهو باليونانية أصطرلابون، وأصطر هو النجم ولابون هو المرآة؛ ومن ذلك قيل لعلم النجوم أصطرنوميا(٢) . وقد يهذي بعض المولعين بالاشتقاقات في هذا الاسم بلا معنى له ، وهو أنهم يزعمون

(١) الأصطرلاب آلة فلكية كانت تستعمل قديماً لقياس ارتفاع النجوم فوق الأفق . وفي نهاية الأرب للنويري (السفر الأول، ط دار الكتب ١٩٢٣، ص ١٥٣ — ١٥٤) شعر ونثر قيلا فيها، فمن ذلك قول أبي طالب عبد السلام المأموني :

وشبيه الشمس يسترق الأنـــوار من نور جرمها في خفاء
فـــتراه أدرى وأعلم منها وهو في الأرض بالذي في السماء

وقوله :

وعالم بالغيب من غير ما سمع ولا قلب ولا ناظر
يقابل الشمس فيأتي بما ضمنها من خـبر حاضر
كأنها ناجته لـمـا بدا لعينهـا بالفكر والخاطر
وألهمته عـلم ما يحتوي عليــه صدر الفلك الدائر

(٢) يقول الخوارزمي في موضع آخر (ص ٢١٠) عن علم النجوم إنه «يسمى بالعربية التنجيم وباليونانية أصطر نوميا، وأصطر هو النجم ونوميا هو العلم» . وأصطر نوميا هو بالطبع ἀστρονομία (أسترونوميا) (ἄστρον [أسترون] « النجم » + νόμος [نوموس] « قانون، ناموس ») .

أن لاب اسم رجل وأسطُر جمع سَطْر وهو الخطّ(١)؛ وهو اسم يوناني اشتقاقه من لسان العرب جهل وسخف » .

قلت : أصاب الخوارزمي في تحديد الأصل اليوناني للأصطرلاب، فهو ἀστρολάβον (أَسْتْرُولابُون) (= astrolabium في اللاتينية) ، وهو ἄστρον (أَسْتْرُون) « نجم » + λαβών (لابُون) اسم الفاعل من الفعل λαμβάνω (لامْبانُو) « أخذتُ » (٢) ، أي آخذ النجوم والممسك بها . وانظر الأب أنستاس ماري الكرملي، نشوء اللغة العربية ونموها واكتهالها، القاهرة ١٩٣٨، ص ٣٧ — ٣٨ .

وقد انتقلت الكلمة اليونانية أيضاً إلى السريانية حيث نجد 'astᵉrolabon (أَسْطرُولَبُون) الخ . انظر بروكلمان ٤ (ص ٣٤ أ و٤٦٩ أ) وپين سميث (العمود ٣٠٢) .

١٣) إِسفِنْطٌ وأَفْسَنْتِينٌ

يقول ابن السكيت (تهذيب الألفاظ، ص ٢١٥) (٣) عن الإسفنط : « إنما هو عصير عنب .. يُطبخ ثم يُجعل فيه أفواهٌ ثم يُعتَق » . ويقول

---

(١) من أصحاب هذا الزعم الفيروزابادي إذ يقول (مادة لوب) : « واللاب ... رجل سطر أسطرا وبنى عليها حساباً ، فقيل أسطرلاب ، ثم مزجا ونزعت الإضافة فقيل الأسطرلاب معرفة والأصطرلاب لتقدم السين على الطاء » . ولكن انظر تعقيب صاحب التاج . وفي شفاء الغليل للخفاجي (ص ٢٩) : « تسمى الآلات التي يعرف بها الوقت أسطرلاب، والطرجهارة وهي آلة مائية، وبنكام وهي رملية، وكلها ألفاظ غير عربية، ذكره في نهاية الأرب » .

(٢) فليست (لابون) هي المرآة ، كما يقول الخوارزمي، فالمرآة في اليونانية κάτοπτρον (كاتوپترون) .

(٣) أورد الجواليقي في المعرب (ط ليبزج ، ص ١٣ = ط القاهرة، ص ١٨) قول ابن السكيت هذا .

ابن دريد (الجمهرة، حـ ٣، ص ٥٠١، س ١٥ — ١٦) : «الإسفنط ضرب من الخمر فيه أفاويه» .

قلت : أصابا . فهو نوع من الخمر يدخل في تركيبه نبات الأفستين ، ويطابق أو يشابه الخمر المعروفة في أيامنا بالأبسنت Absinth (١) . فنبات الأفستين هو المقصود بالأفواه أو الأفاويه(٢) .

ونبات الأفستين اسمه العلمي Artemisia absinthium، وهو ينتمي الى الفصيلة المركبة Compositae ، كما في معجم أسماء النبات لأحمد عيسى (ص ٢٢، رقم ١) . ويقول عنه ابن البيطار (حـ ١، ص ٤١) : «هو نبات مملس ويلحق بالشجر الصغير في قدر نباته . يقوم على ساق، ويتفرّع منه أغصان كثيرة . وعلى الأغصان أوراق كثيرة متكاثفة بيض

---

(١) يقول ابن البيطار (حـ ١، ص ٤٢ أسفل) إن نبات الأفستين قد يعمل منه شراب يسمى الأفستين أيضاً . وهو يورد (نفس الجزء، ص ٤٣ أسفل — ٤٤) كلام ديسقوريدوس عن الطرق المختلفة التي يصنع بها شراب الأفستين : «وذلك أن من الناس من يلقي في ثمانية وأربعين قسطاً من العصير (أي عصير العنب) رطلا من الأفستين، ويطبخونه حتى يبقى منه الثلث؛ وقوم يلقون عليه من العصير سبعين (يصححه لكلوك [حـ ١، ص ١٠٤] إلى ستة) قسطاً ومن الأفستين نصف رطل، يخلطونه ثم ينقلونه إلى الأواني، فإذا صفا روقوه ثم خزنوه . ومن الناس من يلقي على ذلك المقدار من العصير مناً من الأفستين يدعه فيه ثلاثة أشهر الخ» .

(٢) في اللسان (مادة أصفط) : «قال شمر : سألت ابن الأعرابي عنها (عن الإسفنط)، فقال : الإسفنط اسم من أسمائها (أسماء الخمر) لا أدري ما هو» . فهذا يدل على أن بعض علماء اللغة لم يكونوا على يقين من كنهها . ولهذا تعددت تعريفاتها وتفاوتت قرباً من الحقيقة أو بعداً عنها . في اللسان (مادة أسفط) والقاموس (مادة سفط) أنها المطيب من عصير العنب . وقيل (كما في اللسان، مادة أسفط) هي خمور مخلوطة . وقال أبوعبيدة (كما في اللسان، مادتي أسفط وأصفط) إنها أعلى الخمر وصفوتها . وقال صاحب جمهرة أشعار العرب (بولاق، ١٣١١هـ، ص ٥٧) : *«الإسفنط من الخمر ما لم يعصر وترك يسيل سيلا»* . وقيل، فضلا عن ذلك، *الإسفنط : الرساطون*؛ ولكن انظر كلامنا عن الرساطون (رقم ٢١)، الهامش الثاني . وانظر التهذيب للأزهري، حـ ١٢، ص ٢٧٢ ب .

الألوان(١)، تشبه الأشْنة(٢) في تخيطها . وله زهر أقحواني صغير أبيض، في وسطه صُفرة، تخلفه رؤوس صغـــار فيها بزر دقيق، وفي طعمه قبض ومرارة(٣) » .

هذه المرارة في نبات الأفستين جعلت الخمر المطيّبة به مُرّة المذاق؛ وقد وُصفت بذلك في التلمود كما سيلي .

وكلمة أفستين من أصل يوناني هو ἀψίνθιον (أپْسِنْثِيُون) (٤) ، وترجع إليه أيضاً afsentīn' (أَفْسنْتِين، بإمالة السين) في السريانية (علماً على النبات) و afsintīn'(أَفْسِنْتِين، بكسر السين) في التلمود(٥) (علماً على الخمر المطيبة بذلك النبات) .

وكلمة إسفنط هي أيضاً من تلك الكلمة اليونانية، ولكن بتقديم السين على الفاء؛ انظر ساخاو (في طبعته لمعرب الجواليقي، ص ٧ من تعليقاته)، وفرنكل ١ (ص ١٦٢) (٦) ، وجاير (ص ٨٢) . فلا علاقة للإسفنط

(١) يقول لكلرك (حـ ١، ص ١٠٥) إن اللون الأغبر لأوراق الأفستين لوحظ في أسماء أخرى أطلقت عليه هي شيبة ، وشيبة العجوز ، وذقن الشيخ . ويضيف لكلرك أن أهل الجزائر يسمونه شجرة مريم .

(٢) انظر حديثنا عن الأشنة (رقم ١٥) .

(٣) هذا وصف ابن سينا للأفستين (حـ ١، ص ٢٤٤) : « حشيشة تشبه ورق السعتر، وفيه مرارة وقبض وحرافة ... وهو من أصناف الشيح، ولذلك يسميه بعض الحكماء الشيح الرومي . وعصارته أقوى من ورقه » . وانظر في الأفستين أيضاً تذكرة داود (حـ ١، ص ٤٧)، والقزويني (عجائب المخلوقات، جوتنجن ١٨٤٨، ص ٢٧٢ أسفل)، ودائرة المعارف الإسلامية (مادة أفستين) .

(٤) نص داود الأنطاكي في تذكرته (حـ ١، ص ٤٧) على أن الأفستين يونانية .

(٥) في باب عبودا زارا (عبادة الأصنام) ٣٠ أ، حيث يقال إن هناك ثلاثة أنواع من الخمر، المر منها هو الأفستين . انظر ليڤي ٢ ، حـ ١، ص ١٢٠ ب .

(٦) يلاحظ فرنكل أن الثاء في الكلمة اليونانية صارت تاء في الكلمة السريانية ولفظ التلمود جرياً على القاعدة، ولكن قلبت الثاء اليونانية طاء في العربية على غير قياس مشابهة للباء في صدر الكلمة اليونانية . ولكن انظر جابر، ص ١١٨ .

بمادة سفط العربية، كما ظن صاحب القاموس إذ قال «سُمّيت (بذلك) لأن الدِّنان تسفّطتها أي تشرّبت أكثرها أو من السّفيط للطيب النفس(١)»؛ انظر الأب أنستاس ماري الكرملي، نشوء اللغة العربيـة ونموها واكتهالها (القاهرة ١٩٣٨)، ص ٣٨ .

وقد أدرك الأصمعي الأصل اليوناني للإسفنط، فقد قال (كما في التهذيب للأزهري، حـ ١٢، ص ٢٧٢ ب، وحـ ١٣، ص ٤٧؛ وكما في الصحاح، مادة سفط؛ واللسان، المواد سفط (نقلاً عن الجوهري) وأسفط وأصفط؛ والتاج، مادتي سفط وصفط) إنها رومية . وقال بذلك بعده ابن السكيت (تهذيب الألفاظ، ص ٢١٥) وابن دريد (الموضع المذكور) (٢)

الإسفنط والأفسنتين من أصل يوناني واحد، كما رأينا . ولكن اختلافهما في ترتيب الحروف يدل على أنهما عُرّبا في زمنين مختلفين . والواقع أن الأفسنتين لفظ علمي ذكره، كما رأينا، ابن سينا (المتوفي عام ٤٢٨هـ) ثم ابن البيطار والقزويني وداود الأنطاكي؛ فهو أحدث زمناً من الإسفنط التي ترد في شعر الأعشى (وهو جاهلي أدرك الإسلام)، ثم في أشعار النابغـة الجعدي وأبي صخر الهذلي وعمر بن أبي ربيعة والبعيث (وأربعتهم أمويون) :

١ ــ **الأعشى** : الديوان ١ : ١٥ و١٢ : ٩ و٥٢ : ٢٣ :

---

(١) يضيف صاحب التاج هنا : «لأنهم يقولون ما أسفط نفسه عنك أي ما أطيبها، وهذا قول ابن الأعرابي، فهو عنده عربي، والقول ما قاله الأصمعي (كما سيجيء) من أنه رومي» .

(٢) فليس صحيحاً ما يزعمه الجوهري (مادة سفط) من أن الإسفنط فارسي معرب .

أ) ١ : ١٥ :

وكأن الخمر العتيق من الإسـ ـفنط ممزوجةً بماءٍ زُلالِ(١)

ب) ١٢ : ٩ :

وإسفنطَ عانةَ بعد الرقـا د ساق الرِّصافُ إليها غديرا(٢)

ج) ٥٢ : ٢٣ :

يُعَلُّ منه فُو قُتَيْلَةَ بالـ إسفنط قد بات عليه وظلْ

٢ ــ **النابغة الجعدي** : تهذيب الألفاظ لابن السكيت (ص ٢١٨) :

قال النابغة الجعدي يصف دنا:

علّت به قَرْقَفٌ سُلافةُ إسـفنطٍ عُقارٌ قليلةُ النّدَمِ

٣ ــ **أبو صخر الهذلي** : أشعار الهذليين ما بقي منها، ٢٥٨ : ١١ (ص ٩٠)

بإسفنط كَرمٍ ناطفٍ زَرَجُونةٍ بعَقْبِ سَرَى جادتْ به مُزْنٌ قُمْرُ(٣)

---

(١) في الشرح المطبوع في هامش الديوان (ص ٥) : «أبو عبيدة : وكأن الخمر المدام من الإسفنط ممزوجة بماء القلال وبماء زلال، جميعاً عنه . ورواها بالذال» . قلت: الصواب «بالدال» أي الإسفند، وهي احدى لغاته كما سيلي . والبيت مذكور في الصحاح (مادة سفط)، والمعرب للجواليقي (الموضع المذكور)، واللسان (مادة أسفط)، والتاج (مادة سفط) .

وفي المخصص لابن سيده (حـ ١٧، بولاق ١٣٢١ هـ، ص ١٩) : «وأسماؤها (أسماء الخمر) كلها موضوعة على التأنيث ... فأما قول الأعشى (البيت، ولكن أخطأ الناشر إذ رفع «ممزوجة») فقد يكون على تذكير الخمر، وقد يكون من باب عين كحيل . قال أبو حاتم : «وأبى الأصمعي إلا التأنيث، فأنشدته هذا البيت فقال : إنما هو (وكأن الخمر المدامة ملإسفنط) فحذف نون «من» في الإدراج، قال : وتلك لغة مشهورة يحذفون النون من «من» إذا تلتْها لام المعرفة» . فهذه رواية أخرى للبيت رواها الأصمعي .

(٢) في شرح الديوان (ص ٦٨) : «والرصاف حجارة متواضعة قريبة بعضها من بعض» . قلت : الصواب : «متراصفة» لا «متواضعة» . وعانة، كما في معجم البلدان لياقوت (حـ ٣، ص ٥٩٤ – ٥٩٥)، «بلد مشهور بين الرقة وهيت يعد في أعمال الجزيرة، وجاء في الشعر عانات كأنه جمع بما حوله، ونسبت العرب إليه الخمر» . وأورد ياقوت البيت بعد ذلك محرفاً . والبيت مذكور أيضاً مع بعض التغيير في اللسان (مادة أسفط) والتاج (مادة سفط) .

(٣) الزرجونة واحدة الزرجون، وهو شجر العنب؛ انظر حديثنا عنه (رقم ٢٢) . والقمرة بالضم لون إلى الخضرة أو بياض فيه كدرة (القاموس) .

٤ ــ عمر بن أبي ربيعــة : الديوان (ط شفارتز P. Schwarz ، ليبزج ١٩٠٢ ــ ١٩٠٩) ١٨٨ : ٩ و ٣٢٧ : ٩ :

(أ) ١٨٨ : ٩ :

كأن إسفنطةً شيبَتْ بذي شَبَمٍ من صوبِ أزرقَ هبّت ريحه شمَلا(١)

(ب) ٣٢٧ : ٩ : وكأن الشّهْدَ والإسفنطَ والماءَ الفضيضا

٥ ــ **البعيث** : معجم ما استعجم للبكري، حـ ٢، ص ٥٩٧ أسفل :

سُلافةُ إسفنطٍ بماء عَمايةٍ تضمّنَها من صاحتين وَقيعُ(٢)

وفي الإسفنط لغات :

١ ــ إسْفَنْد (بكسر الفاء أو فتحها) : ذكرها الجواليقي في المعرب (الموضع المذكور)، والقاموس (مادة سفد) (٣)، ومعيار اللغة (باب الدال، فصل الهمزة) .

٢ ــ إصْفَنْط (بكسر الفاء أو فتحها) : ذكرها القاموس (مادة صفط)، واللسان (مادة أصفط، عن الأصمعي)، ومعيار اللغة (باب الطاء، فصل الهمزة) . وانظر عبارة الأزهري فيما يلي (٣ حـ) . ومن الجلي أن السين (في إسفنط) قلبت صاداً هنا مشابهة للطاء (المطبقة) في الآخر .

---

(١) لاحظ « إسفنطة » كأنها واحدة الإسفنط .

(٢) البكري (الموضع المذكور): «قال أبو زيد الكلابي : صاحة هضبتان عظيمتان لها زيادات وأطراف كثيرة، وهي من عماية تلي مغرب الشمس بينهما فرسخ، وأنشد للبعيث : (البيت)، يعني الهضبتين » . وعماية جبل بالبحرين ضخم (البكري، حـ ٢، ص ٦٦٨) . والوقيع من الأرض : الغليظ الذي لا ينشف الماء ولا ينبت (اللسان) . وقد أخطأ جاير (ص ٨٢، س ١ ــ ٢) فهم الشطر الثاني من البيت .

(٣) أضاف صاحب التاج هنا: «وزعم أرباب الاشتقاق أن الدال بدل من الطاء في الإسفنط». ويقول فرنكل ١ (ص ١٦٢) إن الطاء قلبت دالا مشابهة للنون .

٣ ــ لغات شاذة :

(أ) إصْفَعِنْدٌ (بكسر فسكون ففتح فكسر فسكون) : ذكرها اللسان (مادة أصفعد)، ومعيار اللغة (باب الدال، فصل الهمزة)، واستشهد لها اللسان بقول ابي المنيع الثعلبي :

لها مَبْسِمٌ شَخْتٌ كأنَّ رُضابه بُعَيْدَ كراها إصْفَعِنْدٌ مُعَتَّقُ

(شخت : دقيق)

(ب) إصْفَعِيدٌ (بكسر الهمزة وفتح الفاء وكسر العين) : ذكرها القاموس (مادة صفعد)، ومعيار اللغة (مع إصفعند السابقة) . ونسبها التاج إلى الأزهري .

(ج) إصْفَدٌ (بكسر الهمزة (١) وفتح الفاء) : ذكرها اللسان (مادة صفد) (٢)، واستشهد بقول الشاعر يصف روضة :

وبدا لكوكبها سَعيطٌ مثلَ ما كَبِسَ العبيرُ على المَلاب الإصْفَدِ

ثم أتبع ذلك بقول الأزهري تعليقاً على البيت : «إنما أراد الإصفنط» (٣)

(السعيط : الريح الطيبة من خمر ونحوها أو من كل شيء . الملاب : عطر)

(د) إصْفَنْدٌ (بكسر الفاء أو فتحها) : ذكرها التبريزي في شرحه على تهذيب الألفاظ لابن السكيت (ص ٦٢٨) حيث يقول : «الإسفنط والإصفند (٤) قالوا هي أعلى الخمر وأصفاها» .

---

(١) في ط بولاق من اللسان بفتح الهمزة، ولكن القياس يقتضي كسرها .

(٢) وذكرها التاج أيضاً (مادة صفعد) .

(٣) الإصفنط بالصاد، وهي لغة في إسفنط كما مر .

(٤) فاء الإسفنط والإصفند مكسورة في طبعة بيروت من تهذيب الألفاظ؛ ولكن لما كانت فاء الإسفنط يجوز فيها الكسر والفتح، جاز ذلك أيضاً في فاء الإصفند .

١٤) إِشْفَى

الإشفى المثقب يُخرز به الأديم(١)، فهو آلة للإسكاف(٢) . وجمعه أشافٍ(٣) .

ونظيره في الحبشية masfe (مَسْفى، بإمالة حركة الفاء)، من الفعل

---

(١) في الجمهرة لابن دريد (ج ٣، ص ٤٨٠، العمود الأول، س ٣) : « قال أبو زيد الإشفى والمبقر والمسرد واحد » . وفي الصحاح (مادة شفي) : « قال ابن السكيت : والإشفى ما كان للأساقي والمزاود وأشباهها، والمخصف للنعال »؛ ولكن الإشفى تخرز النعال أيضاً، بدليل قول الراجز (اللسان، مادة شفي عن ابن بري) :

فحاص ما بين الشراك والقدم   وخزة إشفى في عطوف من أدم

(حاص يحوص : خاط . والشراك سير النعل . وعطوف جمع عطف وهو الجانب)

فالإشفى مخرز الأديم، تستوي في هذا الأساقي (جمع سقاء، وهو الوعاء من جلد يكون للماء واللبن) والمزاود (جمع مزود، وهو وعاء الزاد) والنعال .

ومن قبيل المجاز ما حكاه ثعلب عن العرب (اللسان، مادة شفي) من قولهم : « إن لاطمته لاطمت الإشفى » . ويقول ابن منظور إن ثعلباً لم يفسر هذا القول، ولكن « قال ابن سيده : وعندي أنه إنما ذهب إلى حدته، لأن الإنسان لو لاطم الإشفى لكان ذلك عليه لا له » .

ومن الاستعمال المجازي أيضاً قول الراجز (اللسان، مادة شفي، عن الفارسي) :

مئبرة العرقوب إشفى المرفق

أي أن عرقوبها كالإبرة ومرفقها كالإشفى دقة وصلابة وهو ذم بالطبع .

(٢) وللنساء في بيوتهن أيضاً، حين يخطن شيئاً من الجلد . قال أبو شهاب المازني (أشعار الهذليين ما بقي منها، ص ١٠، القصيدة رقم ١٤٨، البيت الرابع) :

صناع بإشفاها حصان بشكرها   جواد بقوت البطن والعرق زاخر

(الشكر بالفتح : الحر . وعرقه زاخر أي كريم)

وفي صحيح البخاري (ج ٦، بولاق ١٣١٤هـ، ص ٣٥) في تفسير آل عمران ٧٧ « أن امرأتين كانتا تخرزان في بيت أو في الحجرة فخرجت إحداهما وقد أنفذ بإشفى في كفها، فادعت على الأخرى فرفع إلى ابن عباس ... »

(٣) ومثناه الإشفيان . وفي معجم البلدان لياقوت : « الإشفيان : تثنية الإشفى الذي يخرز به : ظربان يكتنفان ماء يقال له الظبي لبني سليم » .

safaya (سَفَيَ) «خــاط ، رتق» (١) . ولما كانت السين الحبشية نظير السين العربية من الناحية الاشتقاقية، فالمادة سفي الحبشية لا بد أن تكون نظير سفي لا شفي في العربية(٢)، فالإشفى إذن دخيلة في العربية من لغة سامية تستعمل الشين حين تستعمل العربية والحبشية السين .

ولعل السريانية هي تلك اللغة السامية التي أخذت عنها العربية الإشفى؛ ففي السريانية šefaya (شفايا)، وهي الشوكة (واحدة الشوك)، وهو معنى قريب من معنى المثقب . وهذه الكلمة السريانية يقابلها في العربية السَّفا، وهو الشوك، واحدته سفاة(٣) .

وهكذا نجد أن العربية والحبشية تستعملان سفي حين تستعمل السريانية شفي، وذلك كله في معنى الشوكة أو ما يماثله . فإشفى إذن دخيلة من السريانية

---

(١) صيغت من هذا الفعل بضعة مشتقات أخرى . انظر دلمان ٢ ، عمود ٤٠٨ .

(٢) قارن دلمان هذا الفعل الحبشي بالفعلين سف وشفى في العربية، فأصاب في الأولى وأخطأ في الثانية، فإن سف قريبة من سفى لفظاً ومعنى (انظر الهامش التالي) .

أما شفى، فعل الشفاء، فلا علاقة له بالإشفى رغم التشابه اللفظي، ذلك التشابه الذي دعا عامة مصر زمن شهاب الدين الخفاجي إلى تسمية الإشفى بالشفا . يقول الخفاجي في شفــاء الغليــل (ص ٢٦) : «والعامة تقول له الشفاء كضد السقم، وهو غلط، كقوله :

رب إسكاف بديع حسنه ذاب قلبي منه صداً وجفا
كلما أشكو إليــه سقمي قال ما عندي سوى هذا الشفا»

(٣) قال الفرزدق (النقائض، ص ٥١٦، القصيدة رقم ٥٩، البيت ١٢) :

تحير ذاويها إذا اطرد السفا وهاجت لأيام الثريا حرورها

قال أبوعبدالله... والسفا شوك البهمى وهومثل شوك السنبل (واطراده أن يجف وتطرده الريح، فلما اشتد الحر عليها رجعت إلى الأبنية والخيام)، وقوله لأيام الثريا يعني رياح الثريا» .

ومثله قول الخطفى (حذيفة بن بدر بن سلمة) : حتى إذا ما طرد الهيف السفا (النقائض ص ١) (الهيف ريح حارة تأتي من نحو اليمن)

وفي القاموس (مادة سفي): «وأسفت البهمي سقط سفاها، والزرع خشن أطراف سنبله» .

وسفف قريبة من سفي في هذا الصدد . يقال سف الخوص نسجه وكذلك أسفه؛ والسفة بالضم ما يسف من الخوص .

وأصلها السرياني هو على الأرجح شفايا السابقة الذكر . وقد زادت العربية ألفاً في صدر الكلمة حتّى تتوصل إلى النطق بالحرف الأول الشبيه بالساكن؛ فإشفى إذن على وزن إفعل منونة مقصورة كما يقول ابن بري (اللسان، مادة أشف) (١) ، لا على وزن فِعْلَى بألف التأنيث المقصورة كما يزعم الجوهري (مادة أشف) والصاغاني (التاج، مادة أشف) .

وانظر فرنكــل ١ ، ص ٢٥٦ . وهو يلاحظ أن المؤلف اليوناني المجهول لكتاب «رحلة في المحيط الهندي» Periplus Maris Erythraei (الفصل ١٧) يذكر الأشافي (ὀπήτια[أوپيتيا]) بين السلع التي كانت تستوردها الجزيرة العربية في عصره .

١٥) أُشْنَةٌ

في التاج : «قال الليث : هو شيء يلتف على شجر البلوط والصنوبر كأنه مقشور من عِرْق (أي جِذْر)، وهو عَطِر أبيض(٢) . قال الأزهري ما أراه عربياً» .

قلت : هو معرب أُشْنَه في الفارسية، وهو طحلب الشجر Muscus arboreus (= tree-moss) ، ويسمى في الاصطلاح العلمي Usnea barbata (٣)، وفي اليونانية Bρύον (٤) . انظر لوف، ص ٣٨٥ .

---

(١) يقول الفيومي (مادة أشف) إن هذا الرأي حكي عن الخليل .

(٢) ابن سينا (حـ ١، ص ٢٤٩) : «قشور دقيقة لطيفة تلتف على شجرة البلوط والصنوبر والجوز، ولها رائحة طيبة» .

(٣) Usnea مأخوذ عن أشنة، كما لاحظ لكلرك (حـ ٢، ص ٣٥٧، رقم ١٣٧٧) . وانظر لوكوتش، رقم ٢١٣٩ (ص ١٦٧ ب) .

(٤) في تذكرة داود (حـ ١، ص ٤٣ أعلى) : «باليونانية بريون» .

وانظر كذلك معجم أسماء النبات لأحمد عيسى (ص ١٢١، رقم ١٠؛ وص ١٨٦، رقم ١٣) ومعجم الألفاظ الزراعية للأمير مصطفى الشهابي (ص ٢٦ و٣٩١ و٦٦٣).

وقول الليث «كأنه مقشور من عرق» قد يكون إشارة إلى أن الأشنة نبات خيطي يشبه شعيرات الجذر. يقول داود الأنطاكي (حـ ١، ص ٤٣ أعلى): «وهو أجزاء شعرية تتخلّق بأصول الأشجار، وأجودها ما على الصنوبر فالجوز وكان أبيض نقياً».

ويفصل ابن البيطار (حـ ١، ص ٣٦) الحديث عن مراتب جودة الأشنة، فيقول (نقلاً عن ديسقوريدوس): «الجيّد منها ما كان على الشربين وكانت جبلية، وبعدها ما يوجد على الجوز، وأجود من هذه ما كانت أطيب رائحة وكانت بيضاء، وما كان منها لونه إلى السواد ما هو فإنه أردؤه».

وتعرف الأشنة أيضاً بشيبة العجوز، كما يقول داود الأنطاكي وابن البيطار (في الموضعين المذكورين)؛ وهو اسم يشير إلى شكلها الخيطي ولونها الأبيض. وتسمى الأشنة أيضاً مسواك القرود، لأنها «تصبغ الأفواه إذا استيك بها» (ابن البيطار، حـ ٤، ص ١٥٧ أسفل)؛ ويلاحظ هنا أيضاً أن إمكان الاستياك بها راجع إلى أنها خيطية.

. . .

وأشنه الفارسية هي أيضاً أصل šanṯā (شَنْتا) في السريانية. انظر پين سميث (عمود ٤٢٤٠)، وبروكلمان ٤، ص ٧٨٩ ب.

١٦) أَطَـرَ

في عبرية التوراة (القضاة ٣ : ١٥ و٢٠ : ١٦) 'iṭṭer yad-yᵉmīno (إطِّر يَد ـ يمينو) «مشلول اليد اليمنى» أي «أعسر» (لا يعمل إلا بالشمال)(١) .

وفي العبرية المتأخرة 'iṭṭer (إطِّر)(٢) «مشلول»، وقد يضاف إلى اليد (مشلول اليد) أو إلى الرجلين (مشلول الرجلين) . انظر ليفي ٢، حـ١ ص ٦٠ ب .

ومعنى الشلل الذي تدل عليه المادة في العبرية مرتبط بمعنى الثَّنْي والإحاطة الذي تدل عليه المادة في العربية(٣)؛ ففي الشلل اعوجاج وتقييد .

---

(١) هذا هو التفسير السائد، وهو مبني على معنى كلمة (إطر) في العبرية المتأخرة (كما سيلي)؛ انظر بـده C. Budde في تفسير الآية (Das Buch der Richter، فرايبورج الخ ١٨٩٧، ص ٢٩) . ويقترح جزنيوس–بول أن يكون المعنى هنا كمعنى قولنا في العربية أعسر يسر أي يعمل بيديه جميعاً؛ ولكن هذا التفسير لا تحتمله الكلمة العبرية، ولا سيما أن العبرية تدل على معنى الأعسر اليسر بعبارة أخرى هي maimīn ūmasmīl (ميمين ومسميل)، أي الذي يمكنه استعمال يده اليمنى ويده اليسرى معاً (سفر أخبار الأيام الأول ١٢ : ٢) . (وفي العربية أيضاً الأضبط الذي يعمل بيديه جميعاً، وهي ضبطاء) .

(٢) (إطر) عـلى وزن qiitil (بكسر الفاء وتشديد العين المكسورة)، وأصله qatil (بفتح فكسر) ثم شددت العين (للدلالة على قوة الصفة) وكسرت الفاء متابعة لكسرة العين . ولا نجد هذا التطور إلا في العبرية؛ انظر بارت ٢، ص ٢٥ .

(٣) يقول ابن فارس (حـ ١، ص ٢١٣) : «الهمزة والطاء والراء أصل واحد، وهو عطف الشيء على الشيء أو إحاطته به . قال أهل اللغة : كل شيء أحاط بشيء فهو إطار ... ويقال أطرت العود إذا عطفته، فهو مأطور . ومنه حديث النبي صلى الله عليه وسلم: «حتى تأخذوا على يدي الظالم وتأطروه على الحق أطراً»، أي تعطفوه. ويقال أطرت القوس إذا عطفتها ... »

١٧) أفف

يقول ابن فارس (ح ١، ص ١٦ – ١٧) : «وأما الهمزة والفاء في المضاعف فمعنيان : أحدهما تكرّه الشيء، والآخر الوقت الحاضر . قال ابن دريد : أَفَّ يؤُفّ أفّاً إذا تأفّف من كرب أو ضجر ، ورجل أَفّاف كثير التأفّف . قال الفرّاء : أُفٍّ خفضاً بغير نون وأُفٍّ خفضاً مع النون ... والمعنى الآخر قولهم جاء على تَئِفّة ذاك وأَفَفه وإفّانه أي حينه . قال : على إفّ هجران وساعة خلوةٍ» .

قلت : الأصل في أفّ يؤفّ أفّاً ومشتقاته هو اسم الصوت أُفٍّ(١)، صيغ منه فعل كما صيغ من آحِ (حكاية صوت الساعل) (٢) الفعل أَحَّ بمعنى سَعَلَ، وكما صيغ من آه وأمثالها التي تقال عند الشكاية أو التوجع(٣) الفعل المضعف أهَّ والفعل الأجوف آهَ بمعنى توجّع، وكما صيغ من أها (حكاية صوت الضاحك) (٤) الفعل أهَى (كرمى) بمعنى قهقه في ضحكه .

أما المعنى الآخر، وهو الحين والأوان، فهو مرتبط بمعنى الإحاطة والاكتناف الذي تدل عليه المادة في عبرية التوراة، فالزمان يحيط بنا ويكتنفنا من كل جانب .

يرد الفعل āfaf' (أفَف) في عبرية التوراة في المواضع الآتية :

---

(١) نظيره في الإنجليزية phew للدلالة على الضجر أو الاشمئزاز = puh في الألمانية .

(٢) أما آح (خفضاً مع النون) أو آح (بفتح الحاء) فيقال لمن يكره الشيء (القاموس) . ونظيره āḥ' (آح) في عبرية التوراة (حزقيال ٦ : ١١) والعبرية المتأخرة و aḥ' (أح) في السريانية : اسم صوت للأسف والتوجع .

(٣) نظيرها في الحبشية ah' (أه)، وفي عبرية التوراة ăhāh' (أهاه)، وفي السريانية ōh' (أوه) .

(٤) في السريانية ahā' (أها) : اسم صوت للسخرية .

١) صموئيل الثاني ٢٢ : ٥ (= المزمور ١٨ : ٥) : «اكتنفتني أمواج الموت ...» .

٢) المزمور ٤٠ : ١٣ : «لأن شروراً لا تحصى قد أحاطت بي ...» .

٣) المزمور ١١٦ : ٣ : «اكتنفتني حبال الموت ..» .

٤) يونس ٢ : ٦ : «اكتنفتني المياه حتى النفْس ..» .

وفي البابلية القديمة (نصوص مدينة ماري) يرد نادراً apāpu (أَپاپُ) بمعنى اكتنف أيضاً، ولكن يظن فون سودن ٢ (ص ٥٧) أنه قد يكون دخيلاً من الكنعانية .

١٨) ألت (ولت ، ليت)

في القاموس (مادة ألت) : «ألَتَه حقّه يألِته نقصه كآلته إيلاتا»(١) و(مادة ولت) «الوَلْت النقصان، ولته حقه يلته وأولته نقصه» و(مادة ليت) «ما ألاته شيئاً ما نقصه»(٢) .

ما أقرب هذه الدلالة المعنوية (نقصان الحق) إلى الدلالة الحسية (الابتلاع) التي نجدها في الأكدية لمـــادة alātu (أَلاتُ) ومقلوبها la'ātu (لآتُ) . قال تعالى : «إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً ..» (النساء ١٠)، «... وأكلِهم أموال الناس بالباطل ...» (النساء ١٦١) .

وانظر حديثنا عن ألس (رقم ٢٠) .

---

(١) مثل أكرمه إكراماً .

(٢) كذلك المجرد : لاته يليته : نقصه . يقول صاحب اللسان (مادة ليت) : «ولاته حقه يليته ليتاً وألاته نقصه، والأولى أعلى . وفي التنزيل العزيز : «وإن تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم من أعمالكم شيئاً»؛ قال الفراء : معناه لا ينقصكم ولا يظلمكم من أعمالكم شيئاً، وهو من لات يليت، قال : والقراء مجتمعون عليها . قال الزجاج : لاته يليته وألاته يليته وألته يألته نقصه» .

١٩) ألخ (ولخ)

في القاموس : ايتلخ اللبن حَمُض (مادة ألخ) ، والوليخة اللبن الخاثر (مادة ولخ) .

فألخ وولخ تدلان هنا على معنى الفساد (فساد اللبن) .

وتدل مادة ألح (أي ألخ) في عبرية التوراة على معنى الفساد أيضاً، ولكن المقصود هنا الفساد الخلقي، وذلك في المواضع الآتية :

المزمور ١٤ : ٣ : الجميع ابتعدوا معاً، فسدوا، ليس (هناك) من يعمل صالحاً، لا ولا واحد .

المزمور ٥٣ : ٤ : كلهم ارتدّوا معاً، فسدوا، الخ (كما في الآية السابقة) .

أيوب ١٥ : ١٦ : فبالأحرَى المرء الذي يعبّ الظلم كالماء، هو ممقوت فاسد .

٢٠) ألس (ولس)

في القاموس (مادة ألس) : « الأَلْس ... الخيانة والغشّ والكذب والسرقة ... وهو لا يدالس ولا يؤالس لا يخادع ولا يخون » و(مادة ولس) : « الوَلْس الخيانة والخديعة، وككتّاب الذئب(١)، وولَس الحديث وأولس به ووالس به عرَّض به ولم يصرّح، والموالسة الخداع والمداهنة، وتوالسوا تناصروا في خِبّ وخديعة » .

---

(١) لأنه مخادع .

ما أقرب هذه الدلالة المعنوية (الخيانة والغش) إلى الدلالة الحسية (العضّ والمضغ)(١) التي نجدها لمادة ألس في الأرامية اليهودية(٢) :

(أ) ălas' «عضّ» (بابا قمّا ٨٤ أ : ثور عضّ يد غلام) .
(ب) 'alles (على وزن فعّل) «مَضَغَ»(٣) (جِطّين ٧٠ أ : مضغه وبلعه) .

بل إن هذا المعنى الحسي الذي نجده في التلمود قد بقي منه أثر في العربية ، حيث يقال : «ما ذقت عنده أَلُوسا، أي شيئاً من الطعام، وكذا مألوساً» (التاج، مستدركاً على القاموس) .

٢١) رَساطُونٌ

في المعرب للجواليقي (ط ليبزج، ص ٧٠ آخر سطر – ٧١، س١ – ٢ = ط القاهرة، ص ١٥٧) : «قال الليث : الرساطون شراب يتخذه أهل الشأم من الخمر والعسل . قال الأزهري (٤) : الرساطون بلسان الروم وليس بعربي» .

قلتُ : أصاب الأزهري، فالرساطون معرب ῥόσᾶτον (رهُوساتُون)

---

(١) انظر حديثنا عن ألت (رقم ١٨) .
(٢) انظر ليڤي ٢ ، ح ١ ، ص ٨٩ أ ؛ ودالمان ، ص ٢٠ ب .
(٣) لاحظ أن وزن فعل (بتشديد العين) يدل على معنى المضغ، وهو أشد من العض الذي يدل عليه المجرد .
(٤) أورد اللسان (مادة رسط) عبارة الأزهري مفصلة : «الأزهري : أهملها ابن المظفر ، قال: وأهل الشأم يسمون الخمر الرساطون وسائر العرب لا يعرفونه، قال : وأراها رومية دخلت في كلام من جاورهم من أهل الشأم، ومنهم من يقلب السين شيناً فيقول رشاطون» .
وانظر أيضاً القاموس والتاج (مادة رسط)، وشفاء الغليل للخفاجي (ص ١٠٧) .

في اليونانيـة (rosatum في اللاتينية) « الخمر المصنوعة من الورد » (١) . انظر ساخاو (في طبعته للمعرب، ص ١٣ من النص العربي، الهامش الثالث وص ٣٤ من الملاحظات الألمانية) ، وفرنكل ١ (ص ١٦٣) (٢) .

قال الوليـد بن يزيد يهجو يزيد بن هشام ويعيّره بشرب أمه (أم حكيم) الشراب (الأغاني، ط بولاق، حـ ١٥، ص ٥١ = ط دار الكتب، حـ ١٦، ص ٢٧٩) :

إنها تشرب الرساطون صِرْفاً في إناءٍ من الزجاج عظيمِ

٢٢) زَرَجُونٌ

تورد كتب اللغة المعاني التالية للزرجون (٣) :

---

(١) فهي ليست الإسفنط (رقم ١٣) كما زعم ابن السكيت وأبو عبيدة . فابن السكيت يقول (تهذيب الألفاظ، ص ٢١٥) : « ويسمى أهل الشام الإسفنط الرساطون » . وفي ديوان الأعشى، الشرح المثبت بالهامش، ص ٦٨ : « أبو عبيدة ... والإسفنط الرساطون وهو شراب يعمل بالشام » .

(٢) ترد الكلمة اليونانية أيضاً جزءاً ثانياً في ὑδρο-ρόσατον (هدرو — روساطون) « ماء الورد، الجلاب» ومنه في السريانية (بإسقاط «رو» الأولى أو الثانية) hdrwsṭwn (هدروساطون) أو hdrwswṭwn (هدروسوطون) أو ʼdrwswṭwn (أدروسوطون) ؛ انظر پين سميث، العمودين ٤٢ و٩٧٨ .

ولعـل هذه الكلمة اليونانية المركبة هي أيضاً الأصل في الكلمة الأرامية اليهودية (اوروسطي) (التلمود الأورشليمي ، باب شبيعيت ٧ : ٣٧ ب) التي يصححها ليڤي ٢ (حـ ١ ، ص ٤٧ ب أسفل) إلى (ادروسطي) أي « ماء الورد » ودالمان (ص ٤٢ ب) إلى (ادروروساطون) . ولكن انظر جاسترو ص ٣٣ ب، المادة الثالثة .

وانظر لوف، ص ١٣٢ .

(٣) انفرد المطرزي في المغرب (حـ ١، ص ٢٣٠ أسفل) بجمع الزرجون على زراجين . قال: « وهو شجر العنب، وقيل قضبانه » (أي المعنيان الثالث والرابع فيما يلي) . وانفرد محمد بن الطيب الفاسي، شيخ صاحب التاج(مادة زرجن)، بذكر الزرجون بضم فسكون لغة في الزرجون بالتحريك بمعنى الخمر (المعنى الأول فيما يلي) .

١) الخمر ، عن الجوهري (مادة زرجن) ؛ ولكن يقول شمر (كما في اللسان، مادة زرجن) إن الزرجون ليس معروفاً في أسماء الخمر .

٢) الكرم، أي العنب . وقد أورد ابن دريد في الجمهرة (ج ٣ ، ص ٤١٧، العمود الثاني) هذا المعنى والمعنى الرابع فقط .

٣) أشجار العنب ، عن النَّضْر بن شُمَيْل (كما في المعرب للجواليقي، ط ليبزج، ص ٧٤ = ط القاهرة ، ص ١٦٥)، كل شجرة زَرَجُونة .

٤) أغصان الكرم، بلغة أهل الطائف وأهل الغَور ، عن الليث (كما في المعرب للجواليقي) . وقال أبو حنيفة الزرجون القضيب يغرس من قضبان الكرم (اللسان) .

٥) صِبْغ أحمر، عن الجَرمي (كما في الصحاح) .

...

وفيما يلي ما وجدته من شواهد :

١) قال أبو دَهْبَل الجُمَحي :

وقبابٍ قد أُشْرِجَت وبيوتٍ نُطِّقَتْ بالريحان والزرجونِ(١)

(أشرجت : شُدَّ شَرَجها أي عُراها . نُطِّقت بالريحان والزرجون : أحيطت بهما كما تحيط المنطقة بالخاصرة)

٢) قال دُكَيْن بن رجاء أو منظور بن حبّة (كما في اللسان) :

---

(١) هكذا في المعرب للجواليقي، ولكن في الأغاني (ط بولاق، ج ٦، ص ١٦١ = ط دار الكتب المصرية، ج ٧، ص ١٢٨) «أسرجت» مكان «أشرجت» و«نظمت» مكان «نطقت» . (أسرج السراج : أوقده)

كأنّ باليرنّأ المعلــولِ ماءَ دوالِي زرجونٍ مِيلِ(١)

(اليرنأ [بفتح الياء أو ضمها، فراء مفتوحة، فنون مشددة مفتوحة]: الحِنّاء . المعلول : المضاعف . الدوالي : عنب أسود غير حالك . ميل : جمع مائلة، صفة للدوالي) .

٣) قال أبو صخر الهذلي :

بإسفنط كرمٍ ناطفٍ زرجونةٍ بعقْبِ سرَى جادت به مُزْنٌ قُمْرُ(٢)

٤) وقال أبو صخر أيضاً :

بماذيّةٍ جادت لها زرجونةٌ معتّقةٍ صهباءَ صافٍ مُدامُها(٣)

(الماذية من أسماء الخمر)

٥) قال الأخطل (الديوان، ص ٣٢٤) :

من قَرقَفِ الزرجون فُتَّ ختامُها فالدَّنُّ بين حَنابِجٍ وقِلالِ

(القرقف من أسماء الخمر . حنابج جمع حنبج بضم فسكون فضم : الضخم الممتلىء، وقِلال جمع قليل، أي أن الدنان منها الكبير ومنها الصغير)

٦) قال أبو نواس (كما في التاج، مادة زرجن) :

اسقني يا ابن أَذينِ من شراب الزرجونِ(٤)

٧) قال الشاعر (عن الجواليقي واللسان) :

---

(١) ورد البيت في الجمهرة (الموضع المذكور) غير منسوب .

(٢) أوردنا هذا البيت من قبل في حديثنا عن إسفنط (رقم ١٣) .

(٣) أشعار الهذليين ما بقي منها، القصيدة ٢٥٩، البيت ١٢، ص ٩١ . وقد ضم الناشر «معتقة صهباء» على أنها صفتان لزرجونة، ولكنها في الواقع صفتان لماذية، أي بماذية معتقة صهباء صاف مدامها جادت لها زرجونة (أي شجرة عنب) بالرحيق .

(٤) في ديوان أبي نواس تحقيق أحمد عبد المجيد الغزالي، ص ٧٠ .

بُدِّلوا من منابت الشيح والإذْ خرِ تيناً ويانعاً (١) زرجونا

٨) أنشد أبو حنيفة (كما في اللسان) :

إليك أميرَ المؤمنين بعثتُها من الرمل تنوي منبتَ الزرجونِ

(اللسان : «يعني بمنبت الزرجون الشأم لأنها أكثر البلاد عنباً، كل ذلك عن أبي حنيفة»)

هذه الشواهد كلها تنصرف إلى معنى العنب أو أشجاره (أي المعنيين الثاني والثالث)، وإن كان بيت أبي نواس يمكن أن ينصرف أيضاً إلى معنى الخمر (المعنى الأول) .

على أنه اشتُقّ من الزرجون بمعنى الخمر «المُزَرَّج» بمعنى المخمور في قول الراجز (عن القاموس، مادة زرج) :

تعرفُ الدار لأمّ الخزرجِ منها فَظَلْتَ اليوم كالمزرَّجِ (٢)

. . .

الزرجون (في المعاني السابقة) فارسية معربة (٣)، كما قال الأصمعي (الصحاح) والسيرافي (اللسان) والجواليقي وشمر (اللسان) . والأصل زَرْگُون، أي لون الذهب (٤)، كما نص الجواليقي (٥)، والخفاجي (شفاء

---

(١) «يانعاً» حال مقدم على صاحبه (زرجوناً) كما لاحظ ساخاو (في طبعته لمعرب الجواليقي، ص ٣٦ من تعليقاته) .

(٢) كان القياس أن يقال «المزرجن» لأن حروف الكلمة المعربة تعد أصولا كلها، ولكن الراجز توهم زيادة النون فعاملها معاملة الزائد فحذفها، ولا يكون ذلك دليلا على زيادتها ؛ انظر التاج (آخر مادة زرج) واللسان .

(٣) لا سامية مشتركة كما ظن جويدي؛ انظر فرنكل ١، ص ١٧٣ .

(٤) هذا هو المعنى الحرفي، ولكنها في واقع الاستعمال صفة معناها «ذهبي اللون» .

(٥) الكلمة مضبوطة ضبطاً صحيحاً في ط ليبزج، ولكنها ضبطت خطأً في ط القاهرة بفتح الراء مع تشديدها .

الغليل، ص ١١٢)، وصاحب التاج (مادة زرج، نقلا عن الخفاجي) . وفصل السيرافي فقال : « شبه لونها (أي لون الخمر) بلون الذهب، لأن (زر) بالفارسية الذهب و(جون) [يقصدگون] اللون ، وهم مما يعكسون المضاف والمضاف إليه عن وضع العرب » .

ومعنى الكلمة في الفارسية (ذهبيّ اللون) يفسر في يُسر معاني العنب والخمر والصبغ الأحمر . ومن معنى العنب جاء بالطبع معنى أشجار العنب ومعنى أغصانه .

وقد انتقلت الكلمة الفارسية إلى الأرامية اليهودية والعبرية المتأخرة أيضاً، فوجدنا في الأولى zargūn (زَرْجُون) وفي الثانية zargūnā (زَرجُونا) (١) ، وهما بمعنى « غصن العنب » . انظر ليڤي ٢ ، حـ ١، ص ٥٥٢ أ . (٢)

والظاهر أن الكلمة الفارسية دخلت السريانية أيضاً؛ انظر بروكلمان ٤ ص ٢٠٦ أ، مادة zargōzā (زَرْجُوزا) التي يرى أنهـا محرفة من zargōnā (زَرْجُونا)، والمعنى هنا « لون بين السواد والحمرة » .

. . .

والزرجون أخيراً المطر الصافي المستنقع في الصخرة (القاموس) ، أو الماء الصافي يستنقع في الجبل (اللسان) . ويقول صاحب اللسان، وكذلك صاحب التاج (مادة زرجن)، إن الزرجون في هذا المعنى عربي صحيح، فهو غير الزرجون السالف الذكر .

---

(١) أي زرجونة، فالفتحة الطويلة في الآخر (ā-) تقوم مقام تاء التأنيث .

(٢) انظر ملاحظة فليشر عـلى الكلمة في معجم ليڤي ، ص ٥٦٤ . ولكن انظر جاسترو، ص ٤١١ أ (المادتين الثالثة والرابعة)؛ ودالمان، ص ١٣٢ ب، س ٢ – ٤ من أسفل .

ولكن تشبيه الماء المستنقع الصافي بالخمر تشبيه قريب ؛ فلعل الزرجون بمعنى الماء المستنقع الصافي فرع من الزرجون بمعنى الخمر، وبهذا تكون الكلمة فارسية معربة في كلتا الحالين(١) .

ويؤيد هذا أن معنى الماء المستنقع الصافي لا أصل له في مادة زرج العربية . بل إن مادة زرج نفسها ليست وطيدة الموضع في العربية؛ فالجوهري وابن فارس يهملانها ؛ وهي تدور في الواقع على معنيين :

١) «زرَجه بالرمح يزرُجه زرْجاً إذا زجّه به، وليس باللغة العالية» (الجمهرة، حـ ٢، ص ٧٥، العمود الأول، س ١١ — ١٢)

٢) الزَّرْج جلبة الخيل وأصواتها(٢)، قال الأزهري : ولا أعرفه . (اللسان)

فالزرج في المعنى الأول لغة «غير عالية» في الزجّ(٣) أي الطعن بالزُّجّ (وهو الحديدة في أسفل الرمح) . أما المعنى الثاني للزرج فالأزهري لا يعرفه، وهذا مما يضعفه .

فالخلاصة أن الزرجون في معانيه جميعاً فارسي معرب، وأن مادة زرج ليست ثابتة في العربية حتى ينسب إليها الزرجون بمعنى الماء المستنقع الصافي وهو معنى لا أصل له في مادة زرج على أية حال .

---

(١) نتفق في هذا الرأي مع الأب أنستاس ماري الكرملي في مقاله «معاني الجريال والزرجون وأصلها» بمجلة المشرق، المجلد الثامن (١٩٠٥)، ص ٧٠٥ .

(٢) ينسب الفيروزابادي هذا المعنى في الزرج إلى بعض اللغات . وقد تابعه في ذلك صاحب معيار اللغة .

(٣) لعل الزرج نشأت عن الزج بإقحام راء لفك التشديد . وفك التشديد بإقحام أحد الحروف السيالة (الراء والميم واللام والنون) ظاهرة صوتية معروفة في اللغات السامية ولاسيما الأرامية .

وإذا صح أن الزرج تطورت صوتياً عن الزج (أي أنها ليست أصيلة) ،كان هذا هو السر في أنها اعتبرت لغة «غير عالية» .

٢٣) سِفْسِيرٌ وسِمْسارٌ

في المعرب للجواليقي (ط ليبزج ص ٨٣ = ط القاهرة ص ١٨٥ — ١٨٦) : «والسفسير(١) بالفارسية : السمسار(٢) . قال أبو عبيد عن الأصمعي في قول النابغة(٣) :

وقارفتْ وهي لم تَجْرَبْ وباع لها من الفصافص بالنُّمِّيِّ سِفْسِيرُ

قال : «باع لها» أي اشترى لها، يعني السمسار» .

وسنرى عند كلامنا عن الفصفصة (رقم ٢٤) والنمي (رقم ٢٦) أن ابن دريد فسر السفسير في هذا البيت بالخادم أو الفيج(٤) أو الرسول . ومثله قول ابن السكيت (كما في الصحاح) : «السفسير : الفيج والتابع» . وثمة تفسيرات أخرى للسفسير في هذا البيت . ففي اللسان (مادة سفسر) : «ابن سيده : السفسير الذي يقوم على الناقة، قال أوس بن حجر(٥) (البيت) وقيل هو الذي يقوم على الإبل ويصلح شأنها ... قال الأزهري : وهو معرب، وقيل هو القيّم بالأمر المصلح له؛ وأنكر أن يكون بيّاع القتّ ... قال ابن الأعرابي : السفسير القهرمان(٦) في قول أوس» .

---

(١) الجمع سفاسير (غير مصروفة) وسفاسرة (مصروفة) .

(٢) هذا القول منسوب إلى أبي عبيد في الصحاح (مادة سفسر) . وسنرى فيما يلي أن الأزهري أستاذ أبي عبيد، أشار إلى تعريب السفسير وإن لم يبين أصله . وفي شفاء الغليل للخفاجي (ص ١٢٠): «سفسير (في النص المطبوع سفسر بدون ياء، وهو تحريف) بمعنى سمسار معربة» . وانظر فرنكل ١ ، ص ١٦٨ .

(٣) يصف ناقة . وانظر شرحنا للبيت في صدر كلامنا عن فصفصة (رقم ٢٤) .

(٤) انظر كلامنا عن الفيج (رقم ٢٥) .

(٥) في نسبة البيت خلاف .

(٦) المقصود به هنا المدبر للأمور نيابة عن سيده . ومعنى القهرمان منسوب أيضاً إلى ابن الأنباري (المعرب للجواليقي، الموضع المذكور) .

ومرجع الخلاف في تفسير الكلمة أنها معربة . وينحسم هذا الخلاف بالرجوع إلى أصلها الفارسي وهو سِپْسار(١) أو سِفْسار، ومعناه (أ) المتوسط بين البائع والمشتري(ب) والمرأة التي تتوسط لعقد الزيجات . ومدار المعنيين واحد هو التوسط . انظر ستاينجاس (ص ٦٥٢ أ و ٦٨٥ أ) وفولرز (حـ ٢، ص ٢٠٨ ب و ٣٠١ ب) . والمعنى الأول بالطبع هو الذي تدل عليه سفسير المعربة في البيت .

فمعنى السمسار الذي أورده أبو عبيد ونقله الجواليقي هو الصحيح . أما المعاني الأخرى فهي مستنبطة من مجمل معنى البيت استنباطاً . فالذي اشترى للناقة فصافص لتكون علفاً طيباً لها يمكن أن يكون خادم صاحب الناقة أو تابعه (الفيج) أو وكيله المدبر لأموره (القهرمان)؛ وهذا المعنى الأخير كمعنى «القيّم بالأمر المصلح له» . والاستنباط بالغ الوضوح في معنى «الذي يقوم على الناقة» ومعنى «الذي يقوم على الإبل ويصلح شأنها» وهما في الحقيقة معنى واحد؛ فالشاعر يصف ناقة وقد اشترى لها سفسير علفاً طيباً، فيمكن أن يكون هذا السفسير (في رأي أصحاب ذلك التفسير) هو الذي يقوم على الناقة أو الإبل عامة ويتعهدها بالعناية . ومعنى «بياع القت» الذي أنكره الأزهري مستنبط هو أيضاً من البيت، ولكن على تقدير معنى البيع لا الشراء في قول الشاعر «وباع لها»، فيكون المعنى «وباع لها بياع القت فصافص» .

. . .

وسپسار أو سفسار الفارسية هي أيضاً أصل :

(أ) safsar (سَفْسار) «السمسار» (المتوسط بين البائع والمشتري) في العبرية المتأخرة .

---

(١) بكسر السين الأولى لا فتحها كما في أدي شير (ص ٩١) .

(ب) safsīra (سَفْسِيرا) «السمسار» في الأرامية اليهودية، ومنه safsīrūṯa (سَفْسِيرُوتا) «السمسرة».

(ج) safsāra (سَفْسارا) «السمسار» في السريانية، ومنه الفعل safsar (سَفْسَر) «جادلَ في الثمن، ماكسَ» واسم المعنى sufsāra (سُفْسارا) «المجادلة في الثمن، المِكاس». انظر پين سميث، العمود ٢٧٠٢؛ وبروكلمان ٤، ص ٤٩١ ب.

...

وكلمة السمسار(١) (المتوسط بين البائع والمشترى)، التي جعلها أبو عبيد مرادفة للسفسير في البيت المذكور، معربة هي أيضاً، وأصلها هو أصل سفسير (أي سپسار أو سفسار الفارسية) (٢). وقد ذكرها الجواليقي في المعرب (ط ليبزج ص ٩٠ = ط القاهرة ص ٢٠١)، وإن لم يبيّن الأصل الذي أخذت عنه(٣)؛ ولكن نص الليث على أنها فارسية معربة (اللسان، التاج).

وفي السريانية أيضاً samāra (سَمْسارا) بذاك المعنى. انظر پين سميث، العمود ٢٦٦٣؛ وبروكلمان ٤، ص ٤٨١ ب.

---

(١) الجمع سماسرة (منونة)، والمصدر السمسرة.

(٢) من معاني السمسار في العربية أيضاً «السفير بين المحبين» (القاموس)، كما في قول الأعشى (الديوان، ٦٤ : ١٢، ص ٢١٤):

وأصبحت ما أستطيع الكلام سوى أن أراجع سمسارها

وهذا المعنى قريب من المعنى الثاني الذي أوردناه للكلمة الفارسية (المرأة التي تتوسط لعقد الزيجات)

(٣) انظر الشواهد التي أوردها الجواليقي للكلمة، ومنها قول الأعشى المذكور في الهامش السابق. وانظر أيضاً الفائق للزمخشري (حـ ١، ص ٣٠٤) والنهاية لابن الأثير (حـ ٢، ص ١٨١) والمغرب للمطرزي (حـ ١، ص ٢٦٤).

وقد انتقلت كلمة السمسار (المعربة) إلى طائفة من اللغات الأوربية مثل sensale في الإيطالية و censal في الفرنسية؛ انظر لوكوتش (ص ١٤٦. رقم ١٨٣٦) وفرنكل ١ (ص ١٨٦) .

٢٤) فِصْفِصة

يقول ابن دريد في الجمهرة (حـ ١، ص ١٥٥، العمود الأول، س ١٠ وما بعدها) : « الفِصْفِص فارسية معربة، وهي القتّ(١) الرطب . قال الشاعر أوس بن حجر. ويقال النابغة الذبياني :

وقارفتْ وهي لم تَجْرَبْ وباع لها من الفصافص بالنُّمّيِّ سِفْسِيرُ

السفسير : الخادم والفَيْج(٢) . وقارفت : قاربت أن تجرب . والنمي فلوس من رصاص كانت تستعمل في الحيرة أيام ملك بني المنذر » (٣) .

ويقول ابن دريد في موضع آخر من الجمهرة (حـ٣، ص ٥٠٠، العمود الأول. س ٥) : « والفصافص فارسية معربة. وهي الرطبة ، اسفست »

وفي المعرب للجواليقي (ط ليبزج. ص ١٠٩ = ط القاهرة. ص ٢٤٠) « والفصافص : الرطبة . واحدتها فِصْفِصة ، وقيل فِصْفِص . فارسية معربة . وأصلها بالفارسية اسبست »(٤).

---

(١) القت جمع عند سيبويه واحدته قتة (اللسان) .

(٢) انظر كلامنا عن السفسير والفيج (الرقين ٢٣ و ٢٥) .

(٣) أي قاربت هذه الناقة أن يصيبها الجرب، واشترى لها سفسير فصافص بالفلوس لتكون علفاً (طيباً) لها . وانظر كلامنا عن النمي (رقم ٢٦) .

(٤) يقول ابن البيطار (حـ ٣، ص ١٦٣)، نقلا عن ابي حنيفة : « فصفصة ... هو رطب القت، ويسمى الرطبة ما دامت رطبة ، فإذا جفت فهي القت . وهي كلمة فارسية الأصل ثم عربت، وهي بالفارسية اسفست » .

ومجمل ما قاله ابن دريد والجواليقي أن الفصفص أو الفصفصة(١) أي الرطبة أو القت الرطب، وجمعه فصافص، معرب أصله بالفارسية اسفست أو اسبست .

وإيراد الأصل الفارسي مرة بالباء وأخرى بالفاء سببه أن هذا الأصل بالپاء (الفارسية) التي يعبر عنها في العربية بالباء أو الفاء؛ انظر صديقي، ص ٢٣ و ٧١ . ففي الفارسية الحديثة أَسْپِسْت (بفتح فسكون فكسر فسكون) أو أُسْپُسْت (بضم فسكون فضم فسكون) أو إِسْپِسْت (بكسر فسكون فكسر فسكون)؛ وهو نبـــات اسمه العلمي Medicago sativa (٢)؛ انظر ستاينجاس (ص ٤٨ ب)، وفولرز (حـ ١،

(١) نقل ابن منظور في مادة قتت الفسفسة بالسين عن التهذيب للأزهري، وقال في مادة فسس إن الفسفسة لغة في الفصفصة والصاد أعرب .

وقد اشتق فعل من الفصفصة هو فصفص فلان الدابة إذا أطعمها الفصفصة (اللسان مادة فصفص) .

(٢) من الفصيلة القرنية Leguminosae كما في معجم أسماء النبات لأحمد عيسى (ص ١١٦ ، رقم ٤)، ويسمى الفصة في الشام والبرسيم الحجازي في مصر (معجم الألفاظ الزراعية للأمير مصطفى الشهابي، ص ٤٠١) .

ويصفه ابن البيطار، نقلا عن ديسقوريدوس، بقوله (حـ ٣، ص ١٦٣): «تشبه (أي الفصفصة) في ابتداء نباتها الحندقوقا النابت في المروج، فإذا نمت صارت أرق ورقاً منه . ولها أغصان شبيهة بأغصان الحندقوقا، عليها بزر عظيم مثل عظم العدس في غلاف معوج مثل القرون إذا جف... ويستعمل هذا النبات الذين يعلفون الخيل والحمير والمواشي مكان النبات الذي يقال له أغرسطس » .
(الحندقوقا هو البرسيم الحلو، واسمه العلمي Melilotus . وأغرسطس هو *ἄγρωστις* « الثيل »)

ومن أسماء الفصفصة أيضاً، كما مر، القت الرطب، والرطبة؛ وقد أثبتها ابن البيطار (حـ ٢، ص ١٤١؛ و حـ ٤، ص ٤) كما أثبت اسفست (الفارسية) (حـ ١ ، ص ٣٤ أعلى) .

وللفصفصة اسم آخر هو القضب (بفتح فسكون)، وواحدته قضبة كما في اللسان والتاج . وقد أثبته ابن البيطار كذلك (حـ ٤ ، ص ٢٤ أعلى) . ويقول ابن فارس (حـ ٥، ص ١٠٠) إن الرطبة سميت القضب لأنها تقضب (أي تقطع ، على البناء المجهول) .

وثمة اسم خامس ذكره ابن البيطار (حـ ٢، ص ١٢٦) تشاركها فيه أنواع أخرى من النبات، هو «ذو ثلاث ورقات» . ومن الجلي أن هذا الاسم ترجمة *τρίφυλλον* (تريفولون) في اليونانية = trifolium في اللاتينية (= trefoil في الإنجليزية و trèfle في الفرنسية) .

ص ٩٠ ب) . والأصل في الفهلوية أَسْپَسْت (بفتح فسكون ففتح فسكون)؛ انظر هورن، ص ١٩ (رقم ٧٩) .

ويحلل نولدكه (بمجلة ZDMG ، المجلد ٣٢ (١٨٧٨)، ص ٤٠٨) أَسْپَسْت هذه إلى أَسْپ «حصان» وأَسْت «طعام» أي «علف الخيل» فقد كان ذلك النبات علفاً طيباً للخيل في فارس منذ القدم . وكانت لتربية الخيل أهمية بالغة في إيران، ولهذا كان يفرض خراج عظيم على الأرض التي يزرع فيها ذلك النبات ؛ انظر نولدكه أيضاً في كتابه ٧ ص ٥٤٤، الهامش الأول(١) .

وقد انتقلت اسپست الفارسية أيضاً إلى الأرامية اليهودية والسريانية؛ انظر لوف، ص ٩٥ أسفل — ٩٦ . ففي الأرامية اليهودية aspasta' (أَسْپَسْتا)؛ انظر ليفي ١، ح ١، ص ٤٩، وليفي ٢، ح ١، ص ١٢٩ أ ، ودالمان ، ص ٣١ أ . وفي السريانية espestā' (إسْپِسْتا) و pespestā (پسْپِسْتا)؛ انظر پين سميث (العمودين ٣١٦ و٣١٨٤)، وبروكلمان٤ (ص ٣٦ ب و٥٨٢ ب) .

وفي البابلية (المحدثة والمتأخرة) aspastu (أَسْپَسْتُ) ، وهي في رأي تسمرن (ص ٥٦ أسفل) إنما انتقلت إلى الأكدية من إحدى اللغات السامية الغربية ، ولكن يرى فون سودن ٢ (ص ٧٥ أ) أنها انتقلت من الإيرانية (asp-ast) مباشرة، كما يرى أن aspastua «الذي يعلف الخيل» في البابلية المتأخرة من asp - as - θwa في الإيرانية .

---

(١) كتب نولدكه هذا الهامش تعليقاً على قول الطبري في تاريخه (القسم الأول، ص ٩٦١ — ٩٦٢): «وإن كسرى اختار رجالا من أهل الرأي والنصيحة ... فاجتمعت كلمتهم على وضع الخراج على ما يعصم الناس والبهائم، وهو الحنطة والشعير والأرز والكرم والرطاب والنخل والزيتون» . (الرطاب جمع رطبة، وهي الفصافص كما مر) .

فاسْپسْت الفارسية هي أصل أَسْپَسْتا في الأرامية اليهودية وإسْپسْتا في السريانية (و aspastu في البابليــة) . وهي أيضاً أصل پسْپسْتا في السريانية، ولكن مع قلب الهمزة في صدر الكلمة پاء على سبيل المشابهة للپاء في الوسط . وپسپستا السريانية هذه لها نظير يطابقها تماماً في العربية هو فسفسة التي ذكرها الأزهري . أما فصفصة فقد نشأت عن فسفسة بإطباق السينين صاداً . وفصفصة (بتاء التأنيث) أقرب إلى الأصل الفارسي من فصفص (بدون تاء)؛ ولكن التاء في اسپست الفارسية ليست تاء التأنيث وإنما هي كما رأينا أصل من أصول الكلمة . والجمع فصافص(١) والفعل فصفص دليلان على أن فصفصة غلبت على فسفسة؛ ولهذا قال ابن المنظور إن الصاد أعرب .

٢٥) فَيْجٌ

يقول ابن منظور: «والفيج رسول السلطان على رجاله، فارسي معرب(٢) وقيل: هو الذي يسعى بالكتب(٣)، والجمع فيوج . وقول عدي (بن زيد):

---

(١) من شواهد الفصافص أيضاً (غير البيت السالف الذكر) قول الأعشى (الديوان، ١٩: ٢٤، ص ١١٠) :

ألم تر أن العرض أصبح بطنها نخيلا وزرعاً نابتاً وفصافصا

في الشرح المثبت بهامش الديوان: العرض (بكسر فسكون) واد باليمامة . وفي اللسان والتاج (مادة فصص) « الأرض » مكان « العرض » . وفي الفائق للزمخشري (حـ٢، ص ١٣٨) « العرض » كما في الديوان، ولكن « بطنه» مكان «بطنها» .

وفي حديث الحسن ، كما في الفائق للزمخشري (الموضع المذكور) والنهاية لابن الأثير (حـ ٣ ، ص ٢٠٣) : « ليس في الفصافص صدقة » .

(٢) أورده الجواليقي في المعرب (ط ليبزج، ص ١١١ = ط القاهرة، ص ٢٤٣)، والخفاجي في شفاء الغليل (ص ١٦٨) . وانظر أدي شير ، ص ١٢٢ أسفل .

(٣) في النهاية لابن الأثير (حـ ٣، ص ٢٢١): «هو المسرع في مشيه الذي يحمل الأخبار من بلد إلى بلد» .

ويقول الخوارزمي (ص ٦٤، وهو يذكر الألفاظ التي تستعمل في ديوان البريد) : « السكة الموضع الذي يسكنه الفيوج المرتبون من رباط أو قبة أو بيت أو نحو ذلك » .

أمْ كيف جُزْتَ فَيُوجاً حولهم حَرَسٌ   ومربضاً بابه بالسَّكِّ صَرّارُ(١)

قيل : الفيوج الذين يدخلون السجن ويخرجون يحرسون » .

أورد ابن منظور هنا معنيين للفيج : ١ً – رسول السلطان على رجليه أو الذي يسعى بالكتب ٢ً – والحارس (في السجن) .

والأصل الفارسي للكلمة، وهو پَيْك (كما في القاموس)، له معنيان متماثلان : ١ً – الذي ينقل الأخبار والرسائل ٢ً – والحارس . انظر ستاينجاس ص ٢٦٨ ب ؛ وفولرز، حـ ١ ص ٤٠٠ ب؛ وهورن، ص ٨٠ (رقم ٣٥٩) .

وهذه الكلمة الفارسية هي أيضاً أصل paiga (پَيْجَا) في السريانية، وهو الجندي من جنود الشرطة يسعى على رجليه . انظر دي لاجارد(٢)، ص ٧٤ (رقم ١٨٨) ؛ وهوفمان(٣) ، ص ٦٦ (والهامش ٥٨٨) ، وص ١١٣ (والهامش ١٠٢٤)؛ ونولدكه ٧، ص ٤٤٨ (مع الهامش الثاني) ؛ وبروكلمان٤، ص ٥٦٦ أ ؛ وپين سميث، العمود ٣٠٩٩، وملحقه ص ٢٦٣ ب .

٢٦) نُمِّيٌّ

يقول ابن دريد في الجمهرة (حـ ٣، ص ٥٠٢، العمود الأول، س

---

(١) روى الشطر الثاني في التكملة للصاغاني (وهو مخطوط، منه نسخة مصورة بمجمع اللغة العربية بالقاهرة) رواية أخرى نفضلها على رواية اللسان هي: « ومترّصا بابه بالسك صرارا » (المترّص: المحكم الشديد، ويقصد به بناء السجن . والسك : تضبيب الباب بالحديد . وصرار : من صر (الباب) مثل فر يصر صراً وصريراً صوت) .

(٢) P. de Lagarde, Gesammelte Abhandlungen ; Leipzig, 1866.

(٣) G. Hoffmann, Auszüge aus syrischen Akten persischer Märtyrer ; Leipzig, 1880.

١٢ وما بعده) : «والنمي بالرومية الفَلْس . قال الشاعر(١) أوس بن حجر :
وقارفت وهي لم تَجرَّب وباع لهـا من الفصافص بالنميّ سِفْسِيرُ
قارفت : قاربت أن تجرب . وباع لها : اشترى لها . والفصافص : واحدها فصفص، وهو القتّ الرطب . والنمي : فلوس رصاص كانت تتخذ أيام ملك بني المنذر يتعاملون بها . والسفسير : الفيج أو الخادم أو الرسول»(٢) .

ويقول ابن دريد في الجمهرة أيضاً (حـ ١، ص ١٥٥، العمود الأول) : «والنمي فلوس من رصاص كانت تستعمل في الحيرة أيام ملك بني المنذر» .

ويقول في موضع ثالث (حـ ١، ص ٣٧٤، العمود الثاني) : «والنُّمِّيّ ويقال النِّمِّيّ بالضم والكسر(٣) فلوس كانت تتخذ بالحيرة في أيام ملك بني نصر بن المنذر» .

هذه مواضع ثلاثة للنمي في الجمهرة، وقد نقلها الجواليقي مجملة في المعرب (ط ليبزج، ص ١٤٤ — ١٤٥ = ط القاهرة، ص ٣٣٠) ؛ ومضمونها أن النمي فلوس من رصاص(٤) كانوا يتعاملون بها في الحيرة أيام ملك المناذرة، وأنها في هذا المعنى رومية الأصل(٥) .

---

(١) يصف ناقة (الجمهرة، حـ ٣، ص ٣٧٤، العمود الثاني) .
(٢) انظر كلامنا عن السفسير والفصافص والفيج (الأرقام ٢٣ — ٢٥) .
(٣) أي بضم النون أو كسرها . ونص الصحاح والقاموس واللسان على الضم .
وواحدة النمي نمية (الصحاح والقاموس)، والجمع نمامي (مثل كراسي) (القاموس) . وفي النهاية لابن الأثير (حـ ٤، ص ١٧٨) : «وفي حديث ابن عبد العزيز أنه طلب من امرأته نمية (أو نمامي) ليشتري به عنباً فلم يجدها» .
(٤) قال أبوعبيد : هو الدرهم الذي فيه رصاص أو نحاس (الصحاح) . وكذلك في القاموس : «الفلوس أو الدراهم التي فيها رصاص أو نحاس» .
(٥) نسبها أيضاً إلى أصل رومي الجوهري والفيروزابادي وابن منظور والخفاجي (ص ٢٢٦) . وفي معجم مقاييس اللغة لابن فارس (حـ ٥، ص ٣٥٩) : «وقولهم للفلس نميا ليس عربياً» . وقد شط الزمخشري في الفائق (حـ ٢، ص ٢٩٢ أسفل — ٢٩٣) حين جعل النمي في هذا المعنى

فما هو هذا الأصل الرومي ؟ هو ، كما قال الأب أنستاس ماري الكرملي (النقود العربية وعلم النميات ، القاهرة ١٩٣٩، ص ١٦١)، الكلمة اللاتينية nummus، ويراد بها ١ً– القطعة من العملة إطلاقاً، ٢ً– وعملة فضية رومانية تسمى أيضاً sestertius (nummus) ، وكانت حتى عهد الإمبراطور أوغسطس تساوي بنسين و ١/٨ بنس (بالعملة الإنجليزية) أو أربعة سنتات و ١/١٠ سنت (بالعملة الأميركية)، ثم قلّت قيمتها بعد ذلك بنمو الثُّمن، ٣ً– و(مجازاً) قطعة النقد الصغيرة، والثمن البخس الخ .

عربياً فقال « سمي بذلك لأنه من جوهر الأرض ، وهو الصفر أو النحاس أو الرصاص، يقال لجوهر الرجل نميه... وقيل لجوهر الرجل نميه لأنه ينم عليه في أفعاله ومخائله . وروى بعضهم عن أبي زيد أنها كلمة رومية» .

صحيح أن النمي بمعنى الجوهر عربي من مادة نمم، ومثله النمي في « ما بها نمي » أي ما بها أحد «كأنهم يريدون ذو حركة تدل عليه » (ابن فارس، الموضع المذكور)، ولكن أين النمي بمعنى الفلوس من مادة نمم ؟

ويؤخذ من كلام الزمخشري أن أبا زيد القرشي قال إن الكلمة رومية . وأبو زيد (المتوفى عام ٢١٥هـ) متقدم بقرن كامل على ابن دريد (المتوفى عام ٣٢١ هـ) .

المراجع

أ) المراجع العربية

– **ابن الأثير،** النهاية في غريب الحديث، أربعة أجزاء، القاهرة ١٣١١هـ.
– **ابن الأنباري،** كتاب الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين الكوفيين والبصريين ، ليدن ١٩١٣ .
– **ابن البيطار،** كتاب الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، أربعة أجزاء، بولاق ١٢٩١ هـ . ترجمه إلى الفرنسية لكلرك L. Leclerc في ثلاثة أجزاء، باريس ١٨٧٧ و ١٨٨١ و١٨٨٣ .
– **ابن دريد،** الجمهرة، ثلاثة أجزاء، حيدرآباد الدكن ١٣٤٥ هـ .
– **ابن السكيت،** تهذيب الألفاظ ، مع شرح التبريزي، نشره لويس شيخو، بيروت ١٨٩٥ .
– **ابن سينا،** القانون، ثلاثة أجزاء، بولاق ١٢٩٤ هـ.
– **ابن عقيل،** شرح الألفية، تحقيق الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد، القاهرة ١٩٦٠ (الطبعة الثانية) .
– **ابن فارس،** معجم مقاييس اللغة، نشره عبد السلام هارون، ستة أجزاء، القاهرة ١٣٦٦ – ١٣٧١ هـ .
– **ابن هشام،** مغني اللبيب، تحقيق الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد، القاهرة (بدون تاريخ) .
– **ابن يعيش،** شرح المفصل، ط القاهرة .
– **احمد عيسى،** معجم أسماء النبات، القاهرة ١٣٤٩ هـ .

– **أدّيْ شير**، الألفاظ الفارسية المعربة، بيروت ١٩٠٨ .
– **الأزهري**، تهذيب اللغة، نشر حديثاً بالقاهرة في خمسة عشر جزءاً .
– **أشعار الهذليين ما بقي منها في النسخة اللغدونية غير مطبوع**، نشرها فلهاوزن J. Wellhausen في كتابه Skizzen und Vorarbeiten ، الجزء Heft الأول، برلين ١٨٨٤ .
– **الأعشى**، الديوان، نشره جاير R. Geyer ، لندن ١٩٢٨ .
(Gibb Mem. NS VI)
– **الأنباري**، شرح المفضليات، نشره ليال C. J. Lyall ، أكسفورد ١٩٢١ .
– **البغدادي**، خزانة الأدب، ط السلفية .
– **البكري**، معجم ما استعجم، ط ڤستنفلد F. Wüstenfeld ، جزءان، جوتنجن ١٨٧٦ – ١٨٧٧ .
– **الجواليقي**، المعرب، ط ساخاو E. Sachau (ليبزج ١٨٦٧)، وط أحمد محمد شاكر (دار الكتب المصرية ١٣٦١ هـ = ١٩٤٢ م) .
– **الخفاجي**، شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل، بولاق ١٢٨٢ هـ.
– **الخوارزمي**، مفاتيح العلوم، ط فان فلوتن G. van Vloten ، ليدن ١٨٩٥ .
– **داود الأنطاكي**، تذكرة أولي الألباب والجامع للعجب العجاب، جزءان، الطبعة الثالثة، المطبعة الأزهرية بالقاهرة، ١٩٢٣ و١٩٢٤.
– **الرضي** (١) شرح الشافية، القاهرة ١٩٣٩ .
(٢) شرح الكافية، ط صحافية عثمانية شركتنك ١٣١٠ هـ.
– **رؤبة**، الديوان : في «مجموع أشعار العرب»، حـ ٣ .
– **الزمخشري** (١) الفائق في غريب الحديث، حيدرآباد الدكن ١٣٢٤ هـ .
(٢) أساس البلاغة، ط دار الكتب المصرية ١٩٢٢ .
– **سمط اللآلي**، للوزير أبي عبيد البكري الأوْنَبي، نشره عبد العزيز الميمني، لجنة التأليف والترجمة والنشر، جزءان، القاهرة ١٩٣٦ .
– **سيبويه**، ط بولاق .

– **العجاج**، الديوان : في «مجموع أشعار العرب»، حـ ٢ .
– (أبو علي) **القالي**، الأمالي، ط بولاق ١٣٢٤ هـ، وط دار الكتب المصرية ١٩٢٦ م.
– **الكنز اللغوي** :
Texte zur arabischen Lexikographie, nach Handschriften herausgegeben von August Haffner, Leipzig 1905.
– **لغات العالم** : انظر Les Langues du Monde (في المراجع الإفرنجية) .
– **لكلرك** : انظر ابن البيطار .
– **مجموع أشعار العرب** :
Sammlungen alter arabischer Dichter, herausgegeben von W. Ahlwardt. ثلاثة أجزاء، برلين ١٩٠٢ – ١٩٠٣
– (الأمير) **مصطفى الشهابي**، معجم الألفاظ الزراعية، الطبعة الثانية، من مطبوعات الإدارة الثقافية بجامعة الدول العربية .
– **المطرزي**، المغرب في ترتيب المعرب، جزءان، حيدرآباد الدكن ١٣٢٨هـ.
– **معيار اللغة** لميرزا محمد علي، جزءان، الهند ١٣١١ هـ.
– **النقائض** : نقائض جرير والفرزدق، نشرها بيفان A. A. Bevan، ثلاثة أجزاء، ليدن ١٩٠٥ – ١٩١٢ .
– **ياقوت**، معجم البلدان، ط ڤستنفلد F. Wüstenfeld، ستة أجزاء، ليبزج ١٨٦٦ – ١٨٧٣ .

ب) المراجع الافرنجية

أسماء المؤلفين مكتوبة بالحروف العربية :

— ا —

إڤالد	Ewald
أنجناد	Ungnad

— ب —

بارت	Barth
باور وليااندر	Bauer & Leander
براون	Browne
برجشترسر	Bergsträsser
بروكلمان	Brockelmann
بول	Böhl
بيستون	Beeston

— پ —

پين سميث	Payne Smith

— ت —

ترمپ	Trumpp
تسمرن	Zimmern

— ج —

جاسترو	*Jastrow*
جاير	Geyer
جزنيوس-بول	Gesenius-Buhl
جزنيوس-كاوتش	Gesenius-Kautzsch
جوردون	Gordon

— د —

دالمان	Dalman
درايفر	Driver
دِلْمان	Dillmann

— ر —

رايت	Wright
ركندورف	Reckendorf
ريكمانز	Ryckmans

— س —

ستاينجاس	Steingass

— ش —

شپولر	Spuler
شتاده	Stade

— ص —

صِدّيقي	Siddiqi

— ف —

فرنكل	Fränkel
فليشر	Fleischer
فولرز	Vullers
فون سودن	von Soden

	— ن —		— ك —
Nöldeke	نولدكه	König	كونيج
	— هـ —		— ل —
Harris	هاريس	Löw	لوف
Horn	هورن	Lokotsch	لوكوتش
Höfner	هوفنر	Levy	ليفي
		Lane	لين
	— و —		— م —
Woolner	ولنر		
Winnett	وينت	Moscati	موسكاتي

قائمة المراجع الإفرنجية :

BARTH (J) — (1) *Vergleichende Studien; ZDMG,* Vol. 41 (1887), p. 603 — 641 (*I. Ueber biliterale Nomina*).

(2) *Die Nominalbildung in den semitischen Sprachen,* Leipzig 1894.

(3) *Die Pronominalbildung in den semitischen Sprachen,* Leipzig 1913.

(4) *Die Etymologie von arab.* إنْ *«nicht» ...; ZDMG,* Vol. 68 (1914), p. 360 - 364.

(5) *Die Kasusreste im Hebräischen; ZDMG,* Vol. 53 (1899), p. 593-599.

(6) *Etymologische Studien zum semitischen, insbesondere zum hebräischen Lexicon,* Leipzig 1893.

BAUER (H.) *and* LEANDER (P.), *Historische Grammatik der hebräischen Sprache des Alten Testaments,* Halle 1918-1922.

BEESTON (A.F.L.), *A Descriptive Grammar of Epigraphic South Arabian,* London 1962.

BERGSTRÄSSER (G.), *Einführung in die semitischen Sprachen,* München 1928.

BÖHL (Fr. M. Th.), *Die Sprache der Amarna Briefe,* Leipzig 1909.

BROCKELMANN (C.) — (1) *Das Arabische und seine Mundarten;* in *Semitistik (Handbuch der Orientalistik, herausgegeben von Bertold Spuler.* III Band. Leiden 1954), p. 207 - 245.

(2) *Grundriss der vergleichenden Grammatik der semitischen Sprachen,* Vol. *I*, Berlin *1908.*

(3) *Syrische Grammatik,* 6th. ed., Leipzig 1951.

(4) *Lexikon Syriacum,* 2nd. ed., Halis Saxonum 1928.

BROWNE (E.G.), *A Literary History of Persia,* Cambridge 1928.

DALMAN (G.), *Aramäisch-Neuhebräisches Handwörterbuch,* Göttingen 1931.

DILLMANN (A.) — (1) *Ethiopic Grammar,* 2nd. ed., enlarged and improved (1899) by Carl Bezold, translated by James A. Crichton, London *1907.*

(2) *Lexicon Linguae Aethiopicae,* Lipsiae 1865, Reprint New York 1954.

DRIVER (G.R.), *Canaanite Myths and Legends,* Edinburgh 1956.

EWALD (H.), *Ausführliches Lehrbuch der hebräischen Sprache,* 8th. ed., Göttingen 1870.

FLEISCHER (H.L.), *Kleinere Schriften,* Vol. 1, Leipzig 1885.

FRÄNKEL (S.) — (1) *Die aramäischen Fremdwörter im Arabischen,* Leiden 1886.

(2) *Zum sporadischen Lautwandel in den semitischen Sprachen;* BA, Vol. 3 (1898), p. 60 - 86.

GESENIUS-BUHL — *Gesenius' Hebräisches und aramäisches Handwörterbuch über das Alte Testament, in Verbindung mit H. Zimmern, W. Max Müller und O. Weber bearbeitet von Frants Buhl, siebzehnte Auflage,* Leipzig 1921.

GESENIUS - KAUTZSCH — *Gesenius' Hebrew Grammar as edited and enlarged by the late E. Kautzsch, 2nd English edition, revised in accordance with the 28th German ed.* (1909) *by A.E. Cowley,* Oxford 1910.

GEYER (R.), *Zwei Gedichte von al-A'sa, hersg., übers. u. erläutert von...,* Wien 1905.

GORDON (C.H.) — (1) *Ugaritic Textbook,* Roma 1965.

(2) *The Dialect of the Nuzu Tablets; Orientalia, N.S.,* Vol. 7 (1938), p. 32 - 63, 215 - 232.

HARRIS (Z.S.) — (1) *A Grammar of the Phoenician Language,* New Haven 1936.

(2) *Development of the Canaanite Dialects,* New Haven 1939.

HÖFNER (MARIA), *Altsüdarabische Grammatik,* Leipzig 1943.

HORN (P.), *Grundriss der neupersischen Etymologie,* Strassburg 1893.

JASTROW (M.), *A Dictionary of the Targumim, the Talmud Babli and Yerushalmi, and the Midrashic Literature, New York — Berlin — London 1926.*

KÖNIG (E.), *Historisch-kritisches Lehrgebäude der hebräischen Sprache,* Vol. 2, Leipzig 1895.

LANE (E. W.), *Madd al-Qamus. Book I, parts* 1 - 5, London 1863 - 1874. *Ed. by Stanley Lane Poole, parts* 6 - 8 (*and Supplement*), London 1877 - 1893.

LES LANGUES DU MONDE, *par un groupe de linguistes sous la direction de A. Meillet et Marcel Cohen.* Nouvelle édition. Paris 1952.

LEVY (J.) — (1) *Chaldäisches Wörterbuch über die Targumim und einen grossen Teil des rabbinischen Schrifttums,* 2 vols., Leipzig 1867 - 1868.

(2) *Neuhebräisches und chaldäisches Wörterbuch über die Talmudim und Midrashim,* 4 vols., Leipzig 1876 - 1889.

LOKOTSCH (K.), *Etymologisches Wörterbuch der europaïschen (germanischen, romanischen und slavischen) Wörter orientalischen Ursprungs,* Heidelberg 1927.

LÖW (I.), *Aramäische Pflanzennamen,* Leipzig 1881.

MOSCATI (Sabatino) — (1) *Ancient Semitic Civilizations,* London 1957.

الإشارات في النص إلى ترجمتنا لهذا الكتاب، وقد نشرتها دار الكاتب العربي للطباعة والنشر في القاهرة عام ١٩٦٨ بعنوان « الحضارات السامية القديمة »، وقد ذيلنا هذه الترجمة بزيادات مستفيضة تبلغ نحو مائتي صفحة.

(2) Editor of: *An Introduction to the Comparative Grammar of the Semitic Languages, by Sabatino Moscati, Anton Spitaler, Edward Ullendorff and Wolfram von Soden,* Wiesbaden 1964. (Porta Linguarum Orientalium. Neue Serie, VI).

NÖLDEKE (Th.) — (1) *Beiträge zur semitischen Sprachwissenschaft,* Strassburg 1904.

(2) *Compendious Syriac Grammar, translated by J.A. Crichton,* London 1904.

(3) *Zur semitischen Pluralendung;* ZA, Vol. 18 (1904 - 1905), p.68 - 72.

(4) *Neue Beiträge zur semitischen Sprachwissenschaft,* Strassburg 1910.

(5) *Zur Grammatik des classischen Arabisch,* Wien 1896.

(6) *Mandäische Grammatik,* Halle 1875.

(7) *Geschishte der Perser und Araber,* Leiden 1879.

PAYNE SMITH (R.), *Thesaurus Syriacus;* tomus I, Oxonii 1879, tomus II, Oxonii 1901.

Supplement to the Thesaurus Syriacus of R. Payne Smith, collected and arranged by his daughter J.P. Margoliouth, Oxford 1927. (ملحق پين سميث)

RECKENDORF (H.) — (1) *Die syntaktischen Verhältnisse des Arabischen,* Leiden 1898.

(2) *Arabische Syntax,* Heidelberg 1921.

RYCKMANS (G.), Les noms propres sud-sémitiques, 3 vols., Louvain 1934 - 1935.

SIDDIQI (A.), *Studien über die persischen Fremdwörter im klassischen Arabisch,* Göttingen 1919.

SODEN (WOLFRAM VON) — (1) *Grundriss der akkadischen Grammatik,* Roma 1952.

(2) *Akkadisches Handwörterbuch, Wiesbaden* 1959 —.

SPULER (BERTOLD) — (1) *Der semitische Sprachtypus;* in *Semitistik* (see Brockelmann 1), p. 3 - 25.

(2) *Die Ausbreitung der arabischen Sprache;* in *Semitistik* (see Brockelmann 1), p. 245 - 252.

STADE (B.), *Lehrbuch der hebräischen Grammatik,* Leipzig 1879.

STEINGASS (F.), *Persian-English Dictionary,* London 1892.

TRUMPP (E.), *Der Bedingungssatz im Arabischen,* München 1881.
(*Königlich-Bayerische Akademie der Wissenschaften. Sitzungsberichte der Philosophisch-Philologischen und Historischen Klasse.* Bd. II, Heft IV, p. 337 - 448).

UNGNAD (A.) — (1) *Zur Erklärung der hebräischen nomina segolata; ZA,* Vol. 17 (1903), p. 333 - 343.

(2) *Das Wesen des Ursemitischen,* Leipzig 1925.

VON SODEN. See SODEN.

VULLERS (I.A.), *Lexicon Persico-Latinum, Bonnae;* Tomus I, 1855, Tomus II, 1864.

WINNETT (F.V.), *A Study of the Lihyanite and Thamudic Inscriptions,* Toronto 1937.

WOOLNER (A.C.), *Languages in History and Politics,* Oxford 1938.

WRIGHT (W.), *A Grammar of the Arabic Language,* 3rd. ed., Cambridge, Vol. 1., 1896, Vol. 2, 1898.

ZIMMERN (H.), *Akkadische Fremdwörter als Beweis für babylonischen Kultureinfluss,* 2nd. ed., Leipzig 1917.